البيان والتبيين

لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

الجاحظ

كتب الجاحظ تعلم العقل أولا
والأدب ثانيا ابن العميد

مصدر بترجمة للجاحظ مستفيضة

بقلم محققه وشارحه

حسن السندوبي

صاحب جريدة الثمرات

الجزء الثاني

الطبعة الأولى —

١٣٤٥ — ١٩٢٧

---

obeikandl.com

استدراك وتكميل

لترجمة الجاحظ المصدر بها الجزء الأول

كان من أثر العجلة التى دفعتنا إلى تسليم ترجمة الجاحظ إلى الطابع أن سقطت منها أوراق لم يفطن إليها لعدم شهودنا تجارب الطبع ، فرأينا أن نستدركها هنا ، وجلها مما لخصناه عن كتاب « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » المعروف « بمعجم الأدباء » لمؤلفه « ياقوت الرومى » مع ما اقتبسناه من كتاب «الكامل» لأبى العباس « محمد بن يزيد المبرد » وغيره من الكتب . وأن ننشره على نسق ذلك القسم وتنسيقه ليؤلف ذلك ترجمة تامة كاملة لهذا الكاتب العظيم . وسنخلى هذا القسم مما ذكر في القسم الأول إلا ما كان فيه زيادة بيان أو فضل إيضاح :

نسبه وكنيته وأوليته

كان الجاحظ مولى لأبى القاسم عمرو بن قلع الكنانى . قال يموت بن المزرع : الجاحظ خال أمى وكان جده أسود يقال له فزارة وكان جمالا لعمرو بن قلع الكنانى وقال المرزبانى : حدث المادى قال: حدثنى من رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان

مقامه ومنزلته

قال أبو حيان التوحيدى في كتابه الذى ألفه في « تقريظ الجاحظ » حدثنى ابو سعيد السيرافي — وهمك من رجل ، وناهيك من عالم ، وشرعك من صدوق — قال : حدثنا جماعة من الصابئين الكتاب : أن ثابت بن قرة قال : ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس :

أولهم : عمر بن الخطاب في سياسته ويقظته ، وحذره وتحفظه ، ودينه ويقينه ، وجزالته وبذالته ، وصرامته وشهامته ، وقيامه في صغير أمره وكبيره بنفسه ، مع قريحة صافية ، وعقل وافر ، ولسان عضب ، وقلب شديد ، وطوية مأمونة ، وعزيمة مأمومة ،

وصدر منشرح ، وبال منفسح ، وبديهة نضوح ، وروية لقوح ، وسر طاهر ، وتوفيق حاضر ، ورأى مصيب ، وأمر عجيب ، وشأن غريب ؛ دعم الدين وشيد بنيانه ، وأحكم آساسه ورفع أركانه ، وأوضح حجته وأنار برهانه ؛ ملك فى زى مسكين ؛ ما جنح في أمر إلى ونا ، ولا غض طرفه على خنا ؛ ظهارته كالبطانة ، وبطانته كالظهارة ؛ جرح وأسا ، ولان وقسا ، ومنع وأعطى ، واستخذى وسطا

كل ذلك في الله ولله . لقد كان من نوادر الرجال

والثانى : الحسن بن أبي الحسن البصرى ، فلقد كان من دراري النجوم علماً وتقوى ، وزهداً وورعاً ، وعفة ورقة ، وتألهاً وتنزهاً ، وفقهاً ومعرفة ، وفصاحة ونصاحة ؛ مواعظه تصل إلى القلوب ، وألفاظه تلتبس بالعقول ، وما أعرف له ثانياً ، لا قريباً ولا مدانياً ؛ كان منظره وفق مخبره ، وعلانيته في وزن سريرته ؛ عاش سبعين سنة لم يُقرف بمقالة شنعاء ، ولم يُزَن بريبة ولا فحشاء ، سليم الدين ، نقى الأديم ، محروس الحريم ، يجمع مجلسه ضروباً من الناس ، وأصناف اللباس ، لما يوسعهم من بيانه ، ويفيض عليهم بافتنانه ، هذا يأخذ عنه الحديث ، وهذا يلقن منه التأويل ، وهذا يسمع منه الحلال والحرام ، وهذا يتبع في كلامه ، وهذا يجرد له المقالة ، وهذا يحكى له الفتيا ، وهذا يتعلم الحكم والقضاء ، وهذا يسمع الموعظة ، وهو فى جميع هذا كالبحر العجاج تدفقاً ، وكالسراج الوهاج تألقاً ، ولا تنس مواقفه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند الأمراء وأشباه الامراء ، بالكلام الفصل ، واللفظ الجزل ، والصدر الرحب ، والوجه الصلب ، واللسان العضب ؛ كالحجاج وفلان وفلان ، مع شارة الدين ، وبهجة العلم ، ورحمة التقى ؛ لا تثنيه لائمة فى الله ، ولا تذهله رائمة عن الله ؛ يجلس تحت كرسيه قتادة صاحب التفسير ، وعمرو وواصل صاحبا الكلام ، وابن أبى إسحق صاحب النحو ، وفرقد السبخى صاحب الدقائق ، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم

فمن ذا مثله ، ومن ذا يجرى مجراه ؟

والثالث : أبو عثمان الجاحظ ، خطيب المسلمين ، وشيخ المتكلمين ، ومدره المتقدمين والمتأخرين ؛ إن تكلم حكى سحبان البلاغة ، وإن ناظر ضارع النظام في الجدال ، وإن جد خرج في مَسك عامر بن عبد قيس ، وإن هزل زاد على مزيد حبيب القلوب ، ومراح الأرواح ، شيخ الأدب ، ولسان العرب ، كتبه رياض زاهرة ، ورسائله أفنان مثمرة ، ما نازعه منازع إلا رشاه آنفاً ، ولا تعرض له منقوص إلا قدم له التواضع استبقاء ؛ الخلفاء تعرفه ، والامراء تصفه وتنادمه ، والعلماء تأخذ عنه ، والخاصة

تسلم له ، والعامة تحبه ، جمع بين اللسان والقلم ، وبين الفطنة والعلم ، وبين الرأى والأدب ؛ وبين النثر والنظم ، وبين الذكاء والفهم ؛ طال عمره ، وفشت حكمته ، ووطىء الرجال عقبه ، وتهادوا أدبه ، وافتخروا بالانتساب اليه ، ونجحوا بالاقتداء به .

لقد أوتى الحكمة وفصل الخطاب .

هذا قول ثابت ، وهو قول صابىء لا يرى للاسلام حرمة ، ولا للمسلمين حقاً ، ولا يوجب لأحدمنهم ذماما ، قدانتقد هذا الانتقاد ، ونظر هذا النظر ، وحكم هذا الحكم وأبصر الحق بعين لا غشاوة عليها من الهول ، ونفس لا لطخ بها من التقليد ، وعقل ما تحيل بالعصبية . ولسنا نجهل مع ذلك فضل غير هؤلاء من السلف الطاهر ، والخلف الصالح ، ولكنا عجبنا فضل عجب من رجل ليس منا ، ولا من أهل ملتنا ولغتنا ، ولعله ما خبر عمر بن الخطاب كل الخبرة ، ولا استوعب ماللحسن من المنقبة، ولا وقف على جميع ما لا بى عثمان من البيان والحكمة . يقول هذا القول ، ويعجب هذا العجب ، ويحسد أمتنا بهم هذا الحسد ، ويختم كلامه بأبى عثمان ويصفه بما يأبى الطاعن عليه أن يكون له شىء منه ، ويغضب اذا أدعى ذلك له ، وأنه للموفر عليه ، هل هذا الا الجهل الذى يرحم المبتلى به ....؟

وقال أبو الفضل بن العميد : ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس : أما الفقه ، فعلى أبى حنيفة ، لانه دون وخلد ما جعل من يتكلم فيه بعده مشيراً اليه ، ومخبراً عنه . وأما الكلام، فعلى أبى الهذيل . وأما البلاغة والفصاحة ، واللسن والعارضة ، فعلى أبى عثمان الجاحظ

وقال أبو محمد الحسن بن عمرو النجيرمى : كنت بالأندلس فقيل لى : إن ههنا تلميذا لأبى عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن يزيد ، ويكنى أبا خلف . فأتيته فرأيت شيخاً هما فسألته عن سبب اجتماعه مع أبى عثمان ، ولم يقع أبوعثمان إلى الأندلس ؟ فقال : كان طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بلقاء أبى عثمان ، فوقع إلينا كتاب « التربيع والتدوير » له، فأشاروا إليه ، ثم أردفه عندنا كتاب « البيان والتبيين» له.فبلغ الرجل الصكاك بهذين الكتابين . قال : فخرجت لا أعرج على شىء حتى قصدت بغداد فسألت عنه فقيل : هو بسر من رآى . فأصعدت إليها فقيل لى : قد انحدر إلى البصرة فانحدرت إليها وسألت عن منزله فأرشدت ودخلت إليه فاذا هوجالس وحواليه عشرون صبياً ليس فيهم ذو لحية غيره ، فدهشت ، فقلت : أيكم أبو عثمان ؟ فرفع يده وحركها في وجهى وقال : من أين ؟ قلت : من الأندلس . فقال : طينة حمقاء . فما الاسم ؟

قلت : سلام . قال : اسم كلب القراد. ابن من ؟ قلت : ابن يزيد . قال : بحق ماصرت. أبو من ؟ قلت : أبو خلف . قال : كنية قرد زبيدة . ما جئت تطلب ؟ قلت : العلم . قال : ارجع بوقت فانك لا تفلح . قلت له : ما أنصفتنى، فقد اشتملت على خصال أربع : جفاء البلدية ، وبعد الشقة ، وغرة الحداثة ، ودهشة الداخل . قال : فترى حولى عشرين صبياً ليس فيهم ذو لحية غيرى ، كان يجب أن تعرفنى بها ؟ ؟

فأقمت عليه عشرين سنة

قال أبو حيان : وحدثنا ابن مقسم [قال : قيل لأبى هفان] وقد طال ذكر الجاحظ [له] لم لا تهجو الجاحظ وقد ندد بك ، وأخذ بمخنقك ؟ فقال : أمثلى يخدع عن عقله ؟ والله لو وضع رسالة فى ارنبة أنفى لما أمست إلا بالصين شهرة ، ولو قلت فيه ألف بيت لما طن منها بيت فى ألف سنة

وقال أبو حيان : ومن عجيب الحديث فى كتبه ماحدثنا به على بن عيسى النحوى، الشيخ الصالح ، قال : سمعت ابن الاخشاد شيخنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان فى أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست ، ومر بى في جملتها « الفرق بين النبى والمتنبى » وكتاب « دلائل النبوة » وقد ذكرها هكذا على التفرقة ، وأعاد ذكر « الفرق » فى الجزء الرابع لشىء دعاه إليه ، فأحببت أن أرى الكتابين ولم أقدر إلا على واحد منهما ، وهو كتاب « دلائل النبوة » وربما لقب « بالفرق » خطأ ، فهمنى ذلك وساءنى في سوء ظفرى به . فلما شخصت من مصر ودخلت مكة حرسها الله تعالى حاجاً أقمت منادياً بعرفات ينادى — والناس حضور من الآفاق على اختلاف بلدانهم وتنازح أوطانهم ، وتباين قبائلهم وأجناسهم ، من المشرق الى المغرب ، ومن مهب الشمال إلى مهب الجنوب ، وهو المنظر الذى لا يشابهه منظر — رحم الله من دلنا على كتاب « الفرق بين النبى والمتنبى » لأبى عثمان الجاحظ ، على أى وجه كان . قال : فطاف المنادى في ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال : حجت الناس منى ، ولم يعرفوا هذا الكتاب ، ولا اعترفوا به . قال ابن الاخشاد : وانما أردت بهذا أن أبلغ نفسى عذرها

قال ياقوت : وحسبك بها فضيلة لأبى عثمان أن يكون مثل ابن الاخشاد — وهو هو في معرفة علوم الحكمة ، وهو رأس عظيم من رؤس المعتزلة — يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام . وهذا الكتاب موجود فى أيدى الناس اليوم لا تكاد تخلو خزانة منه ، ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر

مولده ومنشؤه وأساتذته

قال الجاحظ : أنا أسن من أبي نواس بسنة . ولدت في أول سنة ١٥٠ (٧٦٧ م) وولد في آخرها. قلت: وهذا هو الصحيح ، وليس بعده نص

وقال أبو القاسم البلخي : الجاحظ كناني من أهل البصرة .

سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري ، وأخذ النحو عن أبي الحسن الأخفش ، وكان صديقه ، وأخذ الكلام عن النظام ، وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد

معارفه

حدث أبو هفان قال : لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فانه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان ، حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر ؛ والفتح بن خاقان ، فانه كان يحضر لمجالسة المتوكل فاذا أراد القيام ــ يعني المتوكل ــ لحاجة أخرج كتاباً من كمه أو خفه وقرأه في مجلس المتوكل إلى حين عوده إليه، حتى في الخلاء ؛ واسماعيل بن اسحق القاضي ، فاني ما دخلت اليه إلا رأيته ينظر في كتاب ، أو يقلب كتباً ، أو ينفضها

وقال أبو بكر أحمد بن علي : كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام ، وكان واسع العلم بالكلام ، كثير التبحر فيه ، شديد الضبط لحدوده ، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا ، وله كتب كثيرة مشهورة جليلة في نصرة الدين ، وفي حكاية المخالفين ، و[في] الآداب والأخلاق ، وفي ضروب من الجد والهزل ، وقد تداولها الناس وقرأوها وعرفوا فضلها ، وإذا تدبر العاقل المميز أمر كتبه علم أنه ليس في تلقيح العقول ، وشحذ الأذهان ، ومعرفة أصول الكلام وجواهره ، وايصال خلاف الاسلام ومذاهب الاعتزال الى القلوب ، كتب تشبهها ، والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال ويميزون الأمور

الجاحظ في ديوان الرسائل

حدث عبد الرحمن بن محمد الكاتب قال : كان الجاحظ يتقلد خلافة ابرهيم بن العباس الصولي على ديوان الرسائل ، فلما جاء إلى الديوان جاءه أبو العيناء ، فلما أراد الانصراف تقدم الجاحظ الى حاجبه : إذا وصل الى الدهليز أن لا يدعه يخرج ، ولا

يمكنه من الرجوع إليه ، فخرج أبو العيناء ففعل به ذلك ، فنادى بأعلى صوته : يا أبا عثمان ، قد أريتنا قدرتك ، فأرنا عفوك ؟

وقال أبو دلف الكاتب : صدر الجاحظ في ديوان الرسائل أيام المأمون ثلاثة أيام ثم استعفى فأعفى ، وكان سهل بن هرون يقول : إن ثبت الجاحظ فى هذا الديوان أفل نجم الكتاب

تخطئة الجاحظ وتصويبه

قال على بن يحيى المنجم : قلت للجاحظ : مثلك في علمك ومقدارك في الأدب يقول في كتاب « البيان والتبيين » ويكره للجارية أن تشبه بالرجال فى فصاحتها ، ألا ترى قول مالك بن أسماء الفزارى :

وحديث ألذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا

فتراه من لحن الاعراب ، وإنما وصفها بالظرف والفطنة ، وإنما تلحن أى تورى فى لفظها عن أشياء وتتنكت ما قصدت له ؟ فقال : فطنت لذلك . فقلت : فغيره . قال : فكيف لى بما سارت به الركبان ؟ فهو في كتابه على خطائه

قال أبو محلم : أراد الفزارى بقوله هذا أن خير الحديث ما أومأت إلىّ به وورت عن الافصاح به لئلا يعلمه غيرنا ، ومثله قول الكلابى :

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا ووحيت وحياً ليس بالمرتاب

ومنه قوله تعالى « وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ » أى فيما يتوحونه بينهم من النفاق والطعن

قال أبوحيان التوحيدى : وعندى أن المسألة محتملة للكلام ، لأن مقابل المنطق الصائب المنطق الملحون ، واللحن من الغوانى والفتيات غير منكر ولا مكروه ، بل يستحب ذلك لأنه بالتأنيث أشبه ، وللشهوة أدعى ، ومع الغزل أجرى ، والاعراب جد ، وليس الجد من التغزل والتعشق والتشاجى في شىء ، وعلى مذهب على بن يحيى أن المنطق الصائب هو الكلام الصريح ، وأن اللحن هو التعريض ، وأنها تعرف هذا وهذا ، فهب أن هذا المعنى مقبول ؟ لم ينبغى أن يكون المعنى الآخر لهو جاو مردودا ؟ وقد يجوز أن يكون مراد الشاعر ذاك ، لأن الشاعر يشعر بهذا كما يشعر بهذا ؟

جوائز بعض كتبه

قال ميمون بن هرون : قلت للجاحظ : ألك بالبصرة ضيعة ؟ فتبسم وقال : إنما أنا وجارية وجارية تخدمها وخادم وحمار :

أهديت «كتاب الحيوان »إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأعطانى خمسة آلاف دينار

وأهديت كتاب « البيان والتبيين » إلى ابن أبى دؤاد فأعطانى خمسة آلاف دينار

وأهديت كتاب « الزرع والنخل » إلى ابرهيم بن العباس الصولى فأعطانى خمسة آلاف دينار. فانصرفت إلى البصرة ومعى ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد

نخب من رسائله الخاصة

من كتاب له إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

لا والله ما عالج الناس داء قط أدوى من الغيظ ، ولا رأيت شيئاً هو أنفذ من شماتة الأعداء ، ولا أعلم باباً أجمع لخصال المكروه من الذل ، ولكن المظلوم ما دام يجد من يرجون ، والمبتلى ما دام يجد من يرثى له ، فهو على سبب درك وإن تطاولت به الأيام ؛ فكم من كربة فادحة، وضيقة مصمتة . قد فتحت أقفالها ، وفككت أغلالها ، ومهما قصرت فيه فلم أقصر في المعرفة بفضلك ، وفي حسن النية بيني وبينك، لا مشتت الهوى ، ولا مقسم الأمل ، على تقصير قد احتملته ، وتفريط قد اغتفرته، ولعل ذلك أن يكون من ذنوب الادلال ، وجرائم الاغفال ، ومهما كان من ذلك فلن أجمع بين الاساءة والانكار ، وإن كنت كما تصف سن التقصير ، وكما تعرف من التفريط ، فانى من شاكرى أهل هذا الزمان ، وحسنى الحال ، ومتوسطى المذهب ؛ وأنا أحمد الله على أن كانت مرتبتك في المنعمين ، فوق مرتبتى في الشاكرين ؛ وقد كانت على بك نعمة أذاقتنى طعم العز ، وعودتنى روح الكفاية ....

وكتبت إلى ابرهيم بن المدبر :

قال عبد الله بن جعفر الوكيل : كنت عند ابرهيم بن المدبر فرأيت بين يديه رقعة يردد النظر إليها فقلت له: ما شأن هذه الرقعة ؟ كأنه استعجم عليك شيء فيها ؟ فقال : هذه رقعة أبي عثمان الجاحظ ، وكلامه يعجبنى ، وأنا أردده على نفسى لشدة إعجابى . فقلت : هل يجوز أن أقرأها ؟ قال : نعم . وألقاها إلى فاذا فيها :

ماضاء لى نهار ولا دجا ليل،مذفارقتك،إلا وجدت الشوق إليك قد حز فى كبدى، والأسف عليك قد أسقط في يدى ، والنزاع نحوك قد خان جلدى ، فأنا بين حشا

خافقة ، ودمعة مهراقة ، ونفس قد ذبلت بما تجاهد ، وجوانح قد بليت بما تكابد ، وذكرت وأنا على فراش الارتماض ، ممنوع من لذة الاغتماض،قول بشار :

إذا هتف القمرى نازعنى الهوى بشوق، فلم أملك دموعى من الوجد
أبى الله إلا أن يفرق بيننا وكنا كماء المزن شيب مع الشهد
لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما كان بين المسك والعنبر الوردى

فانتظم وصف ما كنا نتعاشر عليه ، ونجرى في مودتنا إليه ، فى شعره هذا ، وذكرت أيضاً ما رمانى به الدهر من فرقة أعزائى من إخوانى الذين أنت أعزهم ، ويمتحنى بمن نآى من أحبائى وخلصانى الذين أنت أحبهم وأخلصهم ، ويجرعنيه من مرارة نأيهم وبعد لقائهم ، وسألت الله أن يقرن آيات سرورى بالقرب منك ، ولين عيشى بسرعة أوبتك ، وقلت أبياتاً تقصر عن صفة وجدى وكنه ما يتضمنه قلبى، وهى:

بخدى من قطر الدموع ندوب وبالقلب منى مذ نأيت وجيب
ولى نفس حتى الدجى يصدع الحشا ورجع حنين للفؤاد مذيب
ولى شاهد من ضر نفسى وسقمها يخبر عنى أننى لكئيب
كأنى لم أفجع بفرقة صاحب ولا غاب عن عينى سواك حبيب

فقلت لابن المدبر :هذه رقعة عاشق ،لارقعة خادم ، ورقعة غائب ، لارقعة حاضر؟ فضحك وقال : نحن نتبسط مع أبى عثمان إلى ما هو أدق من هذا وألطف . فأما الغيبة فاننا نجتمع في كل ثلاثة أيام، وتأخر ذلك لشغل عرض لى فخاطبنى مخاطبة الغائب، وأقام انقطاع العادة مقام الغيبة

شذور من كلماته

قال أبو عثمان : ليس جهد البلاء مد الأعناق وانتظار وقع الصيف ،لأن الوقت قصير ، والحين مغمور ، ولكن جهد البلاء أن تظهر الحلة . وتطول المدة ، وتعجز الحيلة ، ثم لا تعدم صديقاً مونبا ، وابن عم شامتا ، وجاراً حاسداً ، ووليا قد تحول عدواً ، وزوجة مختلعة ، وجارية مسبعة ، وعبداً يحقرك ، وولداً ينتهرك

وقال : إذا سمعت الرجل يقول : ما ترك الأول للا خر شيئاً ، فاعلم أنه مايريد أن يفلح

وقال : إحذر من تأمن، فانك حذر ممن تخاف

وقال : أجمع الناس على أربع : انه ليس في الدنيا أثقل من اعمى ، ولا أبغض من

أعور ، ولا أخف روحاً من أحول ، ولا أقود من أحدب

وقال: اربعة أشياء ممسوخة :أكل الرز البارد ، والنيك في الماء ، والقبل على النقاب، والغناء من وراء ستار

وقال للسدرى مرة : إذا كانت المرأة عاقلة ظريفة كاملة كانت قحبة . فقال السدرى : وكيف ؟ قال : لأنها تأخذ الدراهم ، وتمتع بالناس والطيب ، وتختار على عينها من تريد ، والتوبة معروضة لها متى شاءت . فقال له السدرى : فكيف عقل العجوز ؟ قال : هي أحمق الناس وأقلهم عقلا

وقال : كل عشق يسمى حباً ، وليس كل حب يسمى عشقاً ، لأن العشق اسم لما فضل عن المحبة ، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود ، والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد، والجبن اسم لما فضل عن شدة الاحتراس ، والهوج إسم لما فضل عن الشجاعة

وقال : إن تهيأ لك فى الشاعر أن تبره وترضيه وإلا فاقتله ! !

وقال : يجب للرجل أن يكون سخياً لا يبلغ التبذير ، شجاعاً لا يبلغ الهوج ، محترساً لا يبلغ الجبن ، ماضياً لا يبلغ القحة ، قوالا لا يبلغ الهذر ، صموتاً لا يبلغ العى ، حليماً لا يبلغ الذل ، منتصراً لا يبلغ الظلم ، وقوراً لا يبلغ البلادة ، نافذاً لا يبلغ الطيش

وقال أبو زيد اللحنى : ما أحسن ما قال الجاحظ : عقل المنشىء مشغول ، وعقل المتصفح فارغ !

الجاحظ وابن أبى دؤاد

نشرنا هذه الرواية ضمن ترجمة الجاحظ فى الجزء الأول ملخصة ؛ ثم رأينا أن ننشرها هنا مفصلة لما فيها من زيادات طريفة . ولنصحح بها رواية ياقوت التى وردت فى كتابه « معجم الادباء » محرفة

قال أبو عبيد (١) الله المرزبانى : حدث اسحق الموصلى وأبو العيناء قالا(٢) : كنا (٣) عند أحمد بن أبى دؤاد بعد أن قتل ابن الزيات ؛ فجيء بالجاحظ مقيداً ، وكان من أصحاب ابن الزيات وفي ناحيته ؛ فلما نظر [إليه] قال : والله ماعلمتك إلا متناسياً للنعمة كفوراً للصنيعة ، معدنا (٤) للمساوى ، وما فتئ باستصلاحى لك ، ولكن الأيام لا تصلح

(١) في معجم الادباء : أبو عبد الله (٢) وفيه : قال (٣) وفيه : كنت (٤) وفيه معدداً

منك(١) لفساد طويتك ، ورداءة دخلتك(٢) وسوء اختيارك ، وتغالب طبعك

فقال الجاحظ : خفض عليك ، والله لأن أسيء وتحسن ، أحسن [في الاحدوثة] عنك من أن أحسن وتسيء ، وأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل [بك] من الانتقام مني

فقال له ابن أبي دؤاد : قبحك الله ، [والله] ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام ، وقد جعلت بيانك(٣) أمام قلبك ثم اضطغنت(٤) فيه النفاق والكفر . ما تأويل هذه الآية ؟ « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ »؟

قال : تلاوتها تأويلها ، أعز الله القاضي

فقال : جيئوا بحداد

فقال : أعز الله القاضي ، ليفك عني أو ليزيدني ؟

فقال : بل ليفك عنك

فجيء بالحداد فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساقه ويطيل أمره قليلا ، فلطمه الجاحظ وقال : اعمل عمل شهر في يوم ، وعمل يوم في ساعة ، وعمل ساعة في لحظة ، فان الضرر على ساقي وليس بجذع ولا ساجة . فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه . وقال ابن أبي دؤاد لمحمد بن منصور — وكان حاضراً — أنا أثق بظرفه ، ولا أثق بدينه . ثم قال : يا غلام ، صر به إلى الحمام ، وأمط عنه الأذى . الخ

شيء من أخباره ونوادره

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : حدثني عمرو بن بحر قال : أتيت أبا الربيع الغنوي ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم ، ومعي رجل من بني هاشم ، فقلت : أأبا الربيع هاهنا ؟ فخرج إلي وهو يقول : خرج إليك رجل كريم . فلما رأى الهاشمي استحيا من فخره بحضرته فقال : أكرم الناس رديفاً ، وأشرفهم حليفاً(٥) . فتحدثنا مليا فنهض الهاشمي

---

(١) وفيه : إلا لفساد (٢) وفيه : داخلتك (٣) وفيه : ثيابك (٤) وفيه : اصطفيت . والكلمات التي بين المعقفين ليست هناك (٥) أكرم الناس رديفاً : فان أبا مرثد الغنوي كان رديف رسول الله ﷺ . وأشرفهم حليفاً : كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب

فقلت لأبي الربيع : يا أبا الربيع ؛ من خير الخلق ؟

فقال : الناس ، والله

قلت : من خير الناس ؟

قال : العرب ، والله

قلت : فمن خير العرب ؟

قال : مضر ، والله

قلت : فمن خير مضر ؟

قال : قيس ؛ والله

قلت : فمن خير قيس ؛

قال : يعصر ؛ والله

قلت : فمن خير يعصر ؟

قال : غنى ، والله

قلت : فمن خير غنى ؟

قال : المخاطب لك ، والله

قلت : أفأنت خير الناس ؟

قال : نعم إي والله

قلت : أيسرك أن تحتك بنت يزيد بن المهلب ؟

قال : لا ؛ والله

قلت : ولك ألف دينار ؟

قال : لا ، والله

قلت : فألفا دينار ؟

قال : لا ، والله

قلت : ولك الجنة ؟ فأطرق

ثم قال : على أن لا تلد مني . وأنشد :

تأبى لأعصر أعراق مهذبة ... من أن تناسب قوماً غير أكفاء

فإن يكن ذاك حتما لا مرد له ... فاذكر حذيف فإني غير أبّاء (١)

(١) فاذكر حذيف : أراد حذيفة بن بدر الفزاري ، وإنما ذكره من بين الأشراف. لأنه أقربهم إليه نسباً ، وذاك أن يعصر بن سعد بن قيس ، وهؤلاء بنو ريث بن عطفان بن سعد بن قيس بن عيلان

وقال الجاحظ : كان رجل من أهل السواد تشيع ، وكان ظريفاً ، فقال ابن عم له : بلغنى أنك تبغض علياً عليه السلام ، ووالله لئن فعلت لتردن عليه الحوض يوم القيامة ولا يسقيك ؟ قال : والحوض فى يده يوم القيامة ؟ قال: نعم. قال : وما لهذا الرجل الفاضل يقتل الناس في الدنيا بالسيف ، وفي الآخرة بالعطش ؟ فقيل له : أتقول هذا مع تشيعك ودينك ؟ قال : والله لا تركت النادرة ولو قتلتنى في الدنيا وأدخلتنى النار في الآخرة

وقال الجاحظ : كان يحضر إلى رجل فصيح من العجم ، فقلت له : هذه الفصاحة وهذا البيان لو ادعيت فى قبيلة من العرب لكنت لا تنازع فيها ؟ فأجابنى إلى ذلك ، فجعلت أحفظه نسباً حتى حفظه وهذه هذاً ، فقلت له : الآن لا تته علينا ؟ فقال : سبحان الله ، إن فعلت ذلك فأنا إذاً دعى ؟

نبذ من شعره

قال فى أحمد بن أبى دؤاد :

وعويص من الأمور بهيم غامض الشخص مظلم مستور
قد تسنمت ما توعر منه بلسان يزينه التحبير
مثل وشى البرود هلهله النسج وعند الحجاج در نثير
حسن الصمت والمقاطع إما نصت القوم والحديث يدور
ثم من بعد لحظة تورث اليسر وعرض مهذب موفور

وكتب اليه يقول :

لا ترانى وإن تطاولت عمداً بين صفيهم وأنت تسير
كلهم فاضل على بمال ولسانى يزينه التحبير
فاذا ضمنا الحديث وبيت وكأنى على الجميع أمير
رب خصم أرق من كل روح ولفرط الذكا يكاد يطير
فاذا رام غايتى فهو كاب وعلى البعد كوكب مبهور

وقال في ابرهيم بن رباح :

وعهدى به والله يصلح أمره رحيب مجال الرأى منبلج الصدر
فلا جعل الله الولاية سبة عليه فانى بالولاية ذو خبر
فقد جهدوه بالسؤال وقد أبى به المجد إلا أن يلج ويستشرى

وقال فى أبى الفرج نجاح بن سلمة يسأله إطلاق رزقه، من قصيدة :

أقام بدار الخفض راض بخفضه ... وذو الحزم يسرى حيث لا أحد يسرى
يظن الرضا شيئاً يسيراً مهوناً ... ودون الرضا كأس أمر من الصبر
سواء على الأيام صاحب حنكة ... وآخر كاب لا يريش ولا يبرى
خضعت لبعض القوم أرجو نواله ... وقد كنت لا أعطى الدنية بالقسر
فلما رأيت القوم يبذل بشره ... ويجمل حسن البشر واقية الوفر
رجعت على ظلعى وراجعت منزلى ... فصرت حليفاً للدراسة والفكر
وشاورت إخوانى فقال حليمهم ... عليك الفتى المرى ذا الخلق الغمر
أعيذك بالرحمن من قول شامت: ... أبو الفرج المأمول يزهد فى عمرو
ولو كان فيه راغباً لرأيته ... كما كان دهراً فى الرخاء وفي اليسر
أخاف عليك العين من كل حاسد ... وذو الود منخوب الفؤاد من الذعر
فان ترع ودى بالقبول فأهله ... ولا يعرف الأقدار غير ذوى القدر

شيء من هجو الجماز له

هجا الجاحظ الجماز فرد عليه الجماز فقال :

يا فتى نفسه إلى الكفر بالله تائقه
لك فى الفضل والتزهد والنسك سابقه

وقال الجماز فيه

قال عمرو مفاخراً نحن قوم من العرب
قلت في طاعة لربك أبليت ذا النسب

خبر وفاته

قال يزيد بن محمد المهلبي : قال لى المعتز بالله : يا يزيد ، ورد الخبر بموت الجاحظ فقلت : لأمير المؤمنين طول البقاء ، ودوام النعماء . وذلك في سنة ٢٥٥

ولما مات رثاه أبو شراعة القيسى بقوله :

في العلم للعلماء أن يتفهموه مواعظ
وإذا نسيت وقد جمعت علا عليك الحافظ

ولقـد رأيت الظرف دهرا ما حواه اللافظ
حتى أقام طريقـه عمرو بن بحر الجاحظ
ثم انقضى أمد به وهو الرئيس الفائظ

قلت : قد نص الجاحظ على أن مولده كان في أول سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧ م وقد أجمع المحققون على أن وفاته كانت في أول سنة ٢٥٥ هـ ٨٦٨ م وذلك في اخر سنة من خلافة المعتز . ومن المعروف أن مرضه كان في خلافة المتوكل ولا شك في أنه أصيب في سنة ٢٤٧ هـ ٨٦١م فيكون قد ظل مريضاً بالفالج ثمان سنين

بقية مؤلفاته مما لم يذكر هناك

كتاب المعرفة
« مسائل كتاب المعرفة
« جوابات كتاب المعرفة
« مسائل القرآن
« الامامة على مذهب الشيعة
« حكاية قول اصناف الزيدية
« العثمانية
« الرد على العثمانية
« إمامة معاوية
« الاخبار وكيف تصح
« القواد
« ذكر ما بين الزيدية والرافضة
« صياغة الكلام
« المخاطبات في التوحيد
« تصويب على في تحكيم الحكمين
« وجوب الامامة
« الشارب والمشروب
« افتخار الشتاء والصيف
« المعلمين
« الجوارى
« نوادر الحسن

كتاب الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم
« العرجان والبرصان
« الطفيليين
« أخلاق الملوك
« الرد على اليهود
« المعاد والمعاش
« النعل
« السلطان وأخلاق أهله
« البلدان
« الدلالة على أن الامامة فرض
« الاستطاعة وخلق الافعال
« المغنين والغناء والصنعة
« الاخوان
« الرد على من ألحد في كتاب الله
« آى القرآن
« الناشى والمتلاشى
« حانوت عطار
« التمثيل
« فضل العلم
« المزاح والجد
« جمهرة الملوك

كتاب الصوالجة
« ذم الزنا
« التفكر والاعتبار
« الحجر والنبوة
« آل ابرهيم بن المدبر في المكاتبة
« إحالة القدرة على الظلم
« الاعتزال وفضله على الفضيلة
« الأخطار والمراتب والصناعات
« أحدوثة العالم
« الرد على من زعم أن الانسان جزء لا يتجزأ
« أبي النجم وجوابه
« التفاح
« الانس والسلوة
« الكبر المستحسن والمستقبح
« نقض الطب
« الحزم والعزم
« عناصر الآداب
« تحصين الأموال
« الأمثال
« فضل الفرس على الهملاج
« الرسالة إلى أبي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الأولياء
« رسالة أبي النجم في الخراج
« « في القلم
« « « فضل اتخاذ الكتب
« « « كتمان السر
« « « مدح النبيذ
« « « ذم النبيذ
« « « العفو والصفح

كتاب رسالته في إثم السكر
« « « الأمل والمأمول
« « « الحلية
« « « مدح الكتاب
« « « مدح الوراق
« « « ذم الوراق
« « « من يسمى من الشعراء عمراً
« « اليتيمة
« « في فرط جهل يعقوب بن اسحق الكندى
« « إلى أبي الفرج بن نجاح في الكرم
« « في موت أبي حرب الصفار البصرى
« « في الميراث
« « « الأسد والذئب
« « « كتاب الكيمياء
« الاستبداد والمشاورة في الحرب
« رسالته في القضاة والولاة
« الملوك والأمم السالفة والباقية
« رسالته في الرد على القولية
« العالم والجاهل
« النرد والشطرنج
« خصومة الحول والعور
« أخلاق الشطار
« أمهات الأولاد
« الأمصار (١)
ومما نسب اليه قديماً
« الابل
« الهدايا

(١) هذا الكتاب ذكره المسعودى في كتابه « مروج الذهب » ولعله هو المسمى هنا بكتاب « البلدان » ولكنا ذكرناه لاحتمال التغاير

وهذا ما أمكن استدراكه مما قد سقط أثناء الطبع من ترجمتنا لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . ومن رأينا أن ما أثبتناه هنا من كتب الجاحظ قد يكون في ضمنه ماهو مذكور هناك لأن لبعض كتب الجاحظ كثيراً من العنوانات ؛ وأكثر مايكون ذلك من تصرف النساخ . مع العلم بأن كتاب « الحيوان » يحوى كتباً عدة ، وكذلك كتاب « البيان والتبيين » فهو عبارة عن عدة كتب ، والمعروف أن الجاحظ وضع منه نسختين كانت الثانية منهما أصح وأجود ، ولا ندرى أيتهما التى بين أيدينا . غير أننا بذلنا جهداً عظيما في تحقيقها وضبطها وتجويدها ، فاذا لم تكن هي الأصح الأجود من صنيع الجاحظ فهى الأقرب إلى الصحة والجودة من صنيعنا . والله حسبنا ونعم الوكيل .

حسن السندوبى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان الجاحظ :

الحمد لله رب العالمين . ولا حول ولا قوة إلا بالله . وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة

أردنا أبقاك الله أن نبتدئ صدر هذا الجزء الثانى من « البيان والتبيين » بالرد على الشعوبية فى طعنهم على خطباء العرب ، إذ وصلوا أيمانهم بالمحاصر ، واعتمدوا على وجه الأرض بأطراف القِسِيِّ والعُصِيِّ ، أشاروا عند ذلك بالقضبان والقنا ، وفى كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق ، والمثل السائر

ولكنا أحببنا أن نصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجلة من التابعين ، الذين كانوا مصابيح الظلام ، وقادة هذا الأنام ، وملح الأرض ، وحلى الدنيا ، والنجوم التى لا يضل معها السارى ، والمنار الذى إليه يرجع الباغى ، والحزب الذى كثَّر الله به القليل ، وأعز به الذليل ، وزاد الكثير فى عدده . والعزيز فى ارتفاع قدره . وهم الذين جلوا بكلامهم الأبصار العليلة ، وشحذوا بمنطقهم الأذهان الكليلة ، فنبهوا القلوب من رقدتها ، ونقلوها من سوء عادتها ، وشفوها من داء القسوة وغباوة الغفلة ، وداووا من العى الفاضح ، ونهجوا الطريق الواضح ، ولولا الذى أملت فى تقديم ذلك وتعجيله من العمل بالصواب ، وجزيل الثواب ، لقد كنت بدأت بالرد عليهم ، وبكشف قناع دعاويهم ، على أنا سنقول فى ذلك بعد الفراغ مما هو أولى بنا وأوجب علينا . والله الموفق والمستعان

وعلى أن خطباء السلف الطيّب ، وأهل البيان من التابعين باحسان ، مازالوا يسمون الخطبة التى لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد « البتراء » ويسمون التى لم توشح بالقرآن ، وتزين بالصلاة على النبى ﷺ « الشوهاء » .

وقال عِمرانُ بنُ حِطَّان : خطبت عند زِيادٍ خطبة ظننت أنى لم أقصر فيها عن غاية ، ولم أدع اطاعن علة ، فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول : هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن . وخطب أعرابى فلما أعجله بعض الامر عن التصدير بالتحميد ، والاستفتاح بالتمجيد ، فقال : أما بعد ، بغير ملال لذكر الله ، ولا إيثار غيره عليه ، فانا نقول كذا ، ونسأل كذا . فراراً من أن تكون خطبته بتراء ، أوشوها . وقال شبيب بن شيبة : الحمدلله وصلى الله على رسوله . أما بعد ، فانانسأل كذا ، ونبذل كذا .

وبنا حفظك الله أشد الحاجة الى أن يسلم كتابنا هذا من البتر القبيح ، واللقب السميج المعيب . بل قد نحب أن نزيد فى بهائه ، ونستميل القلوب الى اجتبائه ، إذ كان الامل فيه بعيداً ، وكان معناه شريفاً ثميناً

ثم اعلم بعد ذلك أن جميع خطب العرب ، من أهل المدر والوبر ، والبدو والحضر ، على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار ، ولكل ذلك مكان يليق به ، وموضع يحسن فيه . ومن الطوال ما يكون مستوياً فى الجودة ، ومُشاكلا فى استواء الصنعة . ومنها ذات الفِقَر الحسان ، والنتَف الجياد . وليس فيها بعد ذلك شىء يستحق الحفظ ؛ وإنما حظّها التخليد فى بطون الصحف . ووجدنا عدد القِصار أكثرُ ، ورُواة العلم الى حفظها أسرع . وقد أعطينا كل شكل من ذلك قسطه من الاختيار ، ووفينا حقه من التمييز ، ونرجو أن لا نكون قصرنا فى ذلك والله الموفق .

هذا سوى مارسمناه فى كتابنا هذا من مقطعات كلام العرب الفُصحاء ، وجُمل كلام الاعراب الخُلص ، وأهل اللَّسَنِ من رجالات قريش والعرب أهل

الخطابة من أهل الحجاز ؛ ونتفٍ من كلام النساك ، وأواعظ من كلام الزهاد ، مع قلة كلامهم وشدة توقِّيهم . ورب قليل يغنى عن الكثير ، كما أن رب كثير لا يتعلق به صاحب القليل ، بل رب كلمة تغنى عن خطبة ، وتنوب عن رسالة ، بل رب كناية تُربى على إفصاح ، ولَحظ يدل على ضمير ، وإن كان ذلك الضمير بعيدَ الغاية على النهاية .

ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه ، وأعرب عن مخواه ، وكان لتلك الحال وِفقاً ، ولذلك القدر لفِقاً ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قميناً بحسن الموقع ، وبانتفاع المستمع ، وأجدرَ أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين ، ويحمى عِرضه من اعتراض العايبين ، ولا تزال القلوب به معمورة ، والصدور مأهولة

ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً فى نفسه ، متخيِّراً فى جنسه ، وكان سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد ، حُبب إلى النفوس ، واتصل بالأذهان ، والْتحم بالعقول ، وهشت إليه الاسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخف على ألسن الرواة ، وشاع فى الآفاق ذكره ، وعظم فى الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ، ورياضة للمتعلم الرّيض

فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ، ومصلحة حال الخاصة ، وكان ممن يعم ولا يخص ، وينصح ولا يغش ، وكان مشغوفا بأهل الجماعة ، شَنِقا [1] لأهل الاختلاف والفرقة ، جُمعت له الحظوظ من أقطارها ، وسيقت اليه القلوب بأزِمَّتها ، وجُمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبته ، وجُبلت على تصويب ارادته . ومن أعاره الله من معرفته نصيباً ، وأفرغ عليه من محبته ذَنُوبا ، حنت اليه المعانى ، وسلس له نظام اللفظ ، وكان قد أغنى المستمع من كدّ التكلف ، وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم

(١) شنقا : راغباً طامحاً

ولم أجد فى خطب السلف الطيب ، والأعراب الأقحاح ، ألفاظاً مسخوطة ولا معانى مدخولة ، ولا طبعاً رديئاً ، ولا قولا مستكرهاً . وأكثر ما نجد ذلك فى خطب المولدين البلديين المتكلفين ، ومن أهل الصنعة المتأدبين ، وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب ، أو كان من نتاج التخير والتفكر

ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتاً (١) ، وزمنا طويلا ، يردد فيها نظره ، ويقلب فيها رأيه ، إتهاماً لعقله ، وتتبعاً على نفسه ، فيجعل عقله زماماً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ، إشفاقاً على أدبه ، وإحرازاً لما خوّله الله من نعمته

وكانوا يسمون تلك القصائد « الحَوْلِيَّات » و « المقلَّدات » و« المنقحات » و « المحكَّمات » ليصير قائلها فحلاً خِنذيذاً ، وشاعراً مفلقا

وفى بيوت الشعر الامثال والأوابد ، ومنها الشواهد ، ومنها الشوارد

والشعراء عندهم أربع طبقات : فأولهم الفحل الخِنذيذ . والخنذيذ هو التام ، قال الاصمعى : قال رُؤبة (٢) : هم الفحولة الرواة . ودون الفحلِ الخِنذيذِ الشاعرُ

---

(١) حولا كريتا : حولا كاملا

(٢) رؤبة : هو روبة بن العجاج . ويكنى أبا الجحاف وأبا العجاج . كان من محضرمى الدولتين . مدح بنى أمية وبنى العباس ونال جوائزهما . وهو أحد الرجاز الفصحاء المذكورين المقدمين . أخذ عنه وجوه أهل اللغة واحتجوا بقوله وجعلوه إماماً . وقد روى رؤبة الحديث . قال الأصمعى : قيل ليونس بن حبيب : من أشعر الناس؟ قال : العجاج ورؤبة . فقيل : ولم ؟ ولم نعن الرجاز ؟ فقال : هم أشعر من أهل القصيد ، إنما الشعر كلام فأجوده أشعره . وعن أبى عبيدة قال : قال روبة بن العجاج : بعث إلى أبو مسلم لما أفضت الخلافة إلى بنى هاشم . فلما دخلت عليه رآى منى جزعاً فقال : أسكن فلا بأس عليك ، ما هذا الجزع الذى ظهر منك ؟ قلت : أخافك . قال : ولم ؟ قلت : لانه بلغنى أنك تقتل الناس . قال : إنما أقتل من يقاتلنى ويريد قتلى ، أفأنت منهم ؟ قلت : لا . قال : فهل ترى بأساً ؟ قلت : لا . فأقبل على جلسائه ضاحكا ثم قال : أما ابن العجاج فقد رخص لنا . ثم قال : انشدنى قولك « وقاتم الأعماق خاوى

المفلق ، ودون ذلك الشاعر فقط ، والرابع الشُّعرور . ولذلك قال الاول فى هجاء بعض الشعراء :

يَا رَابِعَ الشُّعَرَاءِ فِيمَ هَجَوْتَنِي ... وَزَعَمْتَ أَنِّي مُفْحَمٌ لاَ أَنْطِقُ[1]

فجعله سكّيتاً مخلفاً ومسبوقاً مؤخّرا

وسمعت بعض العلماء يقول : طبقات الشعراء ثلاثة :شاعر ، وشُوَيْعِرٌ ، وشُعْرُور . قال :

المخترق » فقلت . أو أنشدك أصلحك الله أحسن منه ؟ قال : هات .فأنشدته :

قلت ونسجى مستجداً حوكا ☆ لبيك إذ دعوتنى لبيكا ☆ أحمد ربا ساقنى إليكا

قال : هات كلمتك الأولى . قلت : أو أنشدك أحسن منها ؟ قال : هات.فأنشدته:

ما زال يبنى خندقاً ويهدمه ☆ ويستجيش عسكراً ويهزمه ☆ ومغنما يجمعه ويقسمه

مروان لما أن تهاوت أنجمه ☆ وخانه فى حكمه منجمه

قال : دع هذا وأنشدنى « وقاتم الأعماق » قلت : أو أحسن منه ؟ قال : هات . فأنشدته :

رفعت بيتاً وخفضت بيتاً ☆ وشدت ركن الدين إذ بنيتا ☆ فى الأكرمين من قريش بيتا

قال : هات ما سألتك عنه ؟ فأنشدته :

مازال يأتى الأمر من أقطاره ☆ على اليمين وعلى يساره ☆ مشمراً لا يصطلى بناره

حتى أقر الملك فى قراره ☆ وفر مروان على حماره

قال : ويحك ، هات ما دعوتك له ، وأمرتك بانشاده ، ولا تنشد شيئاً غيره ؟ فأنشدته « وقاتم الأعماق خاوى المخترق » فلما صرت إلى قولى « يرمى الجلاميد بجلمود مدق » قال : قاتلك الله ، لشد ما استصلبت الحافر. ثم قال : حسبك ، أنا ذلك الجلمود المدق (قال) وجىء بمنديل فيه مال فوضع بين يدى فقال أبو مسلم يارؤبة ، إنك آتيتنا والأموال مشفوهة ، وان لك لعودة إلينا وعلينا معولا والدهر أطرق مستتب ، فلا تجعل بيننا وبينك الا سدة . قال رؤبة : فأخذت المنديل منه وتالله ما رأيت أعجمياً أفصح منه . وما ظننت أن أحداً يعرف هذا الكلام غيرى وغير أبى . . وكان رؤبة يتراوح فى إقامته بين البادية والبصرة . مات سنة ١٤٥هـ ٧٦٢م

(١) فى الأصل «مقحم» ولا معنى له هنا، والصواب ما أثبتناه . والمفحم: العيى الذى لا يكاد يبين

والشويعر مثل: مُحمد بن حَمران بن أبي حَمران ، سماه بذلك امرؤ القيس ابن حُجر .

ومنهم ثم من بني ضبة : المُفَوف شاعر بني حَميس وهو الشُّويعر ، ولذلك قال العبدي :

أَلاَ تَنْهَى سَرَاةُ بَنِي حَمِيسٍ شُوَيْعِرَهَا فُوَيْلِيَةَ الأَفاعِي
قَبِيلَةٌ تَرَدَّدُ حَيْثُ شاءَتْ كَزَائِدَةِ النَّعامَةِ فِي الْكُرَاعِ

فُويلية الأفاعي : دويبة سوداء فوق الخنفساء

والشويعر أيضاً : صفوان بن عبد ياليل من بني سعد بن ليث ، ويقال إن اسمه ربيعة بن عثمان ، وهو الذي يقول :

فَسائِلْ جَعفراً وَبَنِي أَبِيهَا بَنِي البِرْزَا بِطِخْفَةَ والمِلاَحِ (١)
وأَفْلَتَنا أَبا لَيْلَى طُفَيْلاً صَحِيحَ الجِلْدِ مِنْ أَثَرِ السِّلاَحِ

وقد زعم ناس أن الخِنْذيد من الخيل هو الخصي ، وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر :

يا لَيْتَنِي يا لَيْتَ لم أَرَ مِثْلَهَا أَمرٌ قَرِىً مِنها وأَكثَرَ باكِيا
وأَكثَرَ خِنْذِيذًا يَجُرُّ عِنانَهُ إلى الماءِ لم يَتْرُكْ لهُ المَوْتُ ساقِيا

وقال بشر بن أبي خازم (٢) :

---

(١) طخفة : اسم جبل حدثت بجواره معركة يوم طخفة من أيام العرب . والملاح: اسم مكان أيضاً

(٢) بشر بن أبي خازم الأسدي : شاعر جاهلي قديم،من طبقة النابغة الذبياني وعبيد ابن الأبرص : قال أبو عمرو بن العلاء : فحلان من فحول الجاهلية كانا يقويان :بشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني . فأما النابغة فدخل بشر فغنى بشعره فلم يعد ، وأما بشر فقال له أخوه سوادة : إنك لتقوى ، فقال : وما الأقواء ؟ قال : قولك

ألم تر أن طول الدهر يسلي وينسي مثل ما نسيت جذام

ثم قلت :

وخِنْذِيذٍ تَرَى الغُرْمُولَ مِنهُ كَطَيِّ الزِّقِّ عَلَّتْهُ التِّجارُ

وأبين من ذلك قول البُرْجُمِي :

وخَنَاذِيذَ خِصْيَةً وفُحُولا

ويدل على ما قلنا قول العبسى :

دَعَوْتُ بَنِي سَعْدٍ إلَيَّ فَشَمَّرَتْ خَنَاذِيذُ مِنْ سَعْدٍ طِوَالُ السَّوَاعِدِ

وكان زهير بن أبى سُلمى يسمى كبار قصائده «الحوليات»

وقد فسر سُويد بن كُراع العُكلى (١) ما قلنا فى قوله :

أَبِيتُ بِأَبْوَابِ القَوَافِي كَأَنَّمَا أُصَادِي بِهَا سَرْبًا مِنَ الوَحْشِ نُزَّعَا
أُكَالِئُهَا حَتَّى أُعَرِّسَ بَعْدَ مَا يَكُونُ سُحَيْرٌ أَوْ بُعَيْدٌ فَأَهْجَعَا
عَوَاصِيَ إِلَّا مَا جَعَلْتُ أَمَامَهَا عَصَا مِرْبَدٍ تَغْشَى نُحُورًا وَأَذْرُعَا
أَهَبْتُ بِغُرِّ الآبِدَاتِ وَرَاجَعَتْ طَرِيقًا أَمَلَّتْهُ القَصَائِدُ مَهْيَعَا
بَعِيدَةَ شَأْوٍ لَا يَكَادُ يَرُدُّهَا لَهَا طَالِبٌ حَتَّى يَكِلَّ وَيَظْلَعَا
إِذَا خِفْتُ أَنْ تَرْدَى عَلَيَّ رَدَدْتُهَا وَرَاءَ التَّرَاقِي خَشْيَةً أَنْ تَطَلَّعَا

وكانوا قومنا فبغوا علينا فسقناهم إلى البلد الشآم

فلم يعد للاقواء . والبيت الذى جاء به الجاحظ في الأصل هو من قصيدة آية فى البلاغة ،اختارها المفضل الضبى في مفضلياته وشرحناها بقلمنا ،أنظرها هناك ص ١٦٢

(١) سويد بن كراع العكلى : شاعر مقدم من شعراء الدولة الأموية ، وكان رجل بنى عكل وذا الرأى والتقدم فيهم . وعكل ، وضبة ، وعدى ، وتيم يقال لهم الرباب . وأول هذه الأبيات التى رواها له الجاحظ فى الأصل :

تقول ابنة العوفي ليلى ألا ترى إلى ابن كراع لا يزال مفزعا
مخافة هذين الأميرين سهدت رقادى وغشتنى بياضاً تفرعا
على غير جرم غير أن جار ظالم على فجهزت القصيد المقرعا
وقد هابنى الأقوام لما رميتهم بفاقرة إن هم أن يتشجعا

وفي رواية صاحب الأغانى لهذه الأبيات تغيير وتبديل وزيادة ونقص .

وجشّمني خوفُ ابن عفّان رَدَّها فثقّفتُها حَوْلاً جَريداً ومَرْبَعا (١)
وقد كانَ في نفسي عليها زِيادَةٌ فلَمْ أرَ إلاَّ أن أُطيعَ وأسْمَعا

ولا حاجة بنا مع هـذه الفقر إلى الزيادة فى الدليل على ما قلنا ، ولذلك قال الحطيئة (٢): خير الشعر الحوليُّ المُحكك

وكان الأصمعى يقول : زهير بن أبى سلمى ، والحطيئة ، وأشباههما عَبيدُ الشعر . وكذلك كل من يجوّد فى جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية فى الجودة .

وكان يقال : لولا أن الشعر كان قد استعبدهم واستفرغ مجهودهم ، حتى أدخلهم فى باب التكلف وأصحاب الصنعة ، ومن يلتمس قعر الكلام واغتصاب الألفاظ ، لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعانى سهلاً ورهواً ، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا . وإنما الشعر المحمود كشعر النابغة الجعدى ورؤبة ، ولذلك

(١) وابن عفان : هو سعيد بن عثمان بن عفان

(٢) الحطيئة : هو جرول بن أويس بن مالك العبسى : شاعر مخضرم من فحول الشعراء ومقدميهم وفصحائهم ، كان متصرفاً فى فنون الشعر ، مجيداً في كل ضرب من ضروبه . مع سلاطة ودناءة وخسة فى النفس . ولم تقف به الخسة عند حد أن يهجو من يحسن إليه بل تناول بالهجو أباه وأمه وزوجته ، وحتى نفسه . هجا الزبرقان بن بدر فرفع أمره إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فحبسه عمر . وهي أول عقوبة وقعت فى الاسلام على بذاءة القول وقذعه . فقال وهو في الحبس :

ما ذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الامام الذى من بعد صاحبه ألقت اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر
أهلى فداؤك كم بينى وبينهم من عرض داوية يعمى بها الخبر

فبكى عمر وعفا عنه وأخذ عليه العهد ألا يعود ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم . مات سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ م

قالوا فى شعره : مِطرَف بآلاف ، وخِمار بواف . وكان يخالف فى جميع ذلك الرواة والشعراء

وكان أبو عبيدة يقول ،ويحكى ذلك عن يونس : ومن تكسّب بشعره والتمس به صِلات الأشراف والقادة ، وجوائز الملوك والسادة ، فى قصائد السِّمَاطين ، وبالطوال التى تنشد يوم الحفل ، لم يجد بُدا من صنيع زُهير والحُطَيئة وأشباههما، وإذا قالوا فى غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود ، ولم ترهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم فى طوال القصائد ، وفى صنعة طوال الخطب ، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب اقتداراً عليه ، وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه

وكانوا مع ذلك اذا احتاجوا الى الرأى فى معاظم التدبير ، ومهمات الأمور ، بيتوه فى صدورهم ، وقيدوه على أنفسهم ، فإذا قوّمه الثقاف ، وأُدخل الكير ، وقام على الخلاص ، أبرزوه مُحككا مُنقحاً ، ومصفى من الأدناس مهذبا

وقال الربيع بن أبى الحُقَيْق[1] لأبى ياسر النضيرى :

فَلَا تُكْثِرِ النَّجْوَى وأَنْتَ مُحَارِبٌ ... تُؤَامِرُ فِيها كلَّ نِكْسٍ مُقَصِّرِ

وكان عبد الله بن وهب الراسبى يقول : إياى والرأى الفطير . وكان يستعيذ بالله من الرأى الدَّبَرى .

---

(١) الربيع بن أبى الحقيق : رئيس من رؤساء بنى قريظة ، وشاعر من أكابر شعراء اليهود ، وكان على بنى قريظة يوم بعاث. قال أبو عبيدة : أقبل النابغة الذبيانى يريد سوق بنى قينقاع فلحقه الربيع نازلا من أطمه فلما أشرفا على السوق سمعا الضجة ، وكانت سوقا عظيمة ، فخاصت بالنابغة ناقته فأنشأ يقول: كادت تهال من الأصوات راحلتى

فقال الربيع : والنفر منها إذا ما أوجست خلق

فقال النابغة : لولا أنهنهها بالسوط لاجتذبت

فقال الربيع : منى الزمام وإنى راكب لبق

فقال النابغة : قد ملت الحبس فى الآطام واشتعفت

فقال الربيع : إلى مناهلها لو أنها طلق

فقال النابغة : أنت يا ربيع أشعر الناس

وقال سحبان وائل : شر خليطيك السؤوم المُحزم . لأن السؤوم لا يصبر ، وانما التفاضل فى الصبر . والمحزم صعب لا يعرف ما يراد به ، وليس الحزم الا بالتجارب ، ولأن عقل الغريزة مُسلم إلى عقل التجربة . ولذلك قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : رأىُ الشيخ أحب إلى من جلَد الشباب . ولذلك كرهوا ركوب الصعب حتى يذل ، والمهر الأرِن[1] الا بعد طول الرياضة ، ولم تحوّل المعانِيقُ هماليجَ الا بعد طول التخليع . ولم يحلبوا الزَّبون الا بعد الابساس .

وسنذكر من كلام رسول الله ﷺ مما لم يسبقه اليه عربى ، ولم يشاركه فيه عجمى ، ولم يدّع لاحد ولا ادّعاه أحد ، مما صار مستعملا ومثلا سائراً

فمن ذلك قوله « ياخيل الله اركبى » ومن ذلك قوله « مات حتف أنفه » ومن ذلك قوله « لا ينتطح فيه عنزان » ومن ذلك قوله « الآن حمِىَ الوطيس »

ولما قال عدى بن حاتم فى قتل عثمان رضى الله تعالى عنه : لا تحبق فيه عناق[2] قال له معاوية بن أبى سفيان رحمهما الله — بعد أن فقئت عينه وقتل ابنه — : ياأبا طَريف ، هل حَبقت فى قتل عثمان عَناق ؟ قال : إى والله ، والتيسُ الأضجم . فلم يصر كلامه مثلا ، وصار كلام رسول الله ﷺ مثلا

ومن ذلك قوله لأبى سفيان بن حرب « كلُّ الصيد فى جوف الفَرَا » ومن ذلك قوله « هُدنة على دَخَن وجماعة على أقذاء »[3] ومن ذلك قوله « لا يُلسع المؤمن من جحر مرتين »

ألا ترى أن الحارث بن خَدّان حين أُمر بالكلام عند مقتل يَزيد بن المُهلب[4] قال : ياأيها الناس ، اتقوا الفتنة فانها تُقبل بشبهة ، وتُدبر ببيان ، وإن

(١) المهر الأرن : المرح النشيط الذى لم يمرن

(٢) لا تحبق فيه عناق : لا تضبرط فيه عنز صغيرة

(٣) على دخن : على علة وفساد نية

(٤) يزيد بن المهلب . كان أميراً من أمراء الدولة الأموية وقائداً من قوادها العظام

المؤمن لا يُلسع من جُحر مرتين ، فضرب بكلام رسول الله ﷺ المثل ثم قال : اتقوا عُصباً تأتيكم من الشام كأنها دِلاء قد انقطع وَذَمُها[1]

وقال أبن الأشعث[2] لأصحابه وهو على المنبر : قد علمنا إن كنا نعلم ، وفهمنا إن كنا نفهم ، أن المؤمن لا يُلسع من جُحر مرتين ، وقد والله لُسعت بكم من جحر ثلاث مرات ، وأنا أستغفر الله من كل ما خالف الإيمان ، وأعتصم به من كل ما قرب من الكفر

وأنا أذكر بعد هذا فنا آخر من كلامه ﷺ ، وهو الكلام الذى قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجلَّ عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد « وما أنا مِنَ المُتكلِّفينَ » فكيف وقد عاب التَّشْدِيقَ ، وجانَب أصحابَ التقعير ، واستعمل المبسوط فى موضع البسط ، والمقصور فى موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشى ، ورغب عن الهجين السُّوقى ،

أبلى مع أبيه المهلب بن أبى صفرة في حروب الخوارج بلاء حسنا.وكان شجاعا بطلا . ولى خراسان بعد أبيه وسنه ثلاثون سنة فعزله عبد الملك بمشورة الحجاج وكان له مبغضاً مع أن أخت يزيد كانت تحت الحجاج،ثم حبسه الحجاج وعذبه فهرب من حبسه ومضى الى الشام مستشفعاً بسليمان بن عبد الملك فشفع له الى الوليد بن عبد الملك فأمنه وكف عنه ، ثم ولاه سليمان خراسان حينما أفضت الخلافة اليه . فافتتح جرجان ودهستان ثم أقبل يريد العراق ومعه الغنائم فعلم بموت سليمان فمال الى البصرة فخادعه عدى بن أرطاة وأوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز فحبسه فهرب من محبسه ، ثم خرج على يزيد بن عبد الملك فوجه اليه مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد فى جيش كثيف فالتقوا بالعقر من أرض بابل فقتل يزيد سنة ١٠٢ هـ ٧٢٠ م

(١) وذم الدلاء سيورها

(٢) ابن الاشعث . هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث كان شجاعا بطلاأبلى فى حروب الخوارج بلاء حسنا ، وكان تقياًغيوراً ، هالهما رأى من ظلم الحجاج وجوره فخرج عليه وتبعه القراء والعلماء والمحدثون وكانت له معه وقائع هائلة ، ومنها وقعة الاهواز ووقعة الزاوية ووقعه دير الجماجم ووقعةدجيل . وقتل سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م

فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم الا بكلام قد حُفّ بالعصمة ، وشُيّد بالتأييد ، ويُسر بالتوفيق

وهذا الكلام الذى ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى مُعاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يَبُذ الخطبَ الطوالَ بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفَلَجَ[1] الا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهمز ، ولا يلمز ، ولا يبطئ ، ولا يعجل ، ولا يُسهب ، ولا يُحصر . ثم لم يسمع الناسُ بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين فى فحواه ، من كلامه ﷺ كثيراً . ولم أرهُم يذمون المتكلف للبلاغة فقط ، بل كذلك يرون المتظرّف والمتكلف للغناء ، ولا يكادون يضعون اسم المتكلف إلا فى المواضع التى يذمونها . قال قَيس بنُ خَطيم[2] :

فَمَا المَالُ وَالأَخْلاَقُ إلا مُعارَةٌ ... فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِها فَتَزَوَّدِ

وإنِّى لأَغْنى النَّاسِ عَنْ مُتكلِّفٍ ... يَرَى النَّاسَ ضُلاَّلاً وَلَيْسَ بِمُهْتَدِ

---

(١) الفلج : الظفر والغلب

(٢) قيس بن خطيم : هو قيس بن الخطيم الأوسى شاعر جاهلى فحل. قتل أبوه وهو صغير فلما بلغ قتل قاتل أبيه، وبسبب ذلك نشأت حروب بين الاوس والخزرج. وزعموا أن قيساً كان جميلا ، مقرون الحاجبين ، أدعج العينين ، أحمر الشفتين ، براق الثنايا ، وكانت زوجته حواء بنت يزيد قد أسلمت دون علمه فلما قدم مكة عرض عليه النبى الاسلام فاستنظره قيس حتى يقدم النبى المدينة، فسأله النبى ان يجتنب زوجته وأوصاه بها خيراً، ففعل وحفظ الوصية فقال النبى ﷺ : وفى الاديبج . مات قبل أن يسلم وقبيل الهجرة

وقال ابن قميئة[1] :

وَحَمَّالِ أَثْقَالٍ إِذَا هِيَ أُعْرِضَتْ عَنِ الأَصْلِ لاَ يَسْطِيعُهَا المُتَكَلِّفُ

وقال محمد بن سلام، قال يونس بن حبيب : ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ

وقد جمعنا في هذا الكتاب جُملا التقطناها من أفواه أصحاب الاخبار . ولعل بعض من لم يتسع في العلم، ولم يعرف مقادير الكلام، يظن أن تكلفنا له من الامتداح والتشريف، ومن التزيين والتجويد، ما ليس عنده ولا يبلغه قدره، كلا والذى حَرَّمَ التَّزَيُّدَ على العلماء، وقبح التكلف عند الحكماء، ويهرج الكذابين عند الفقهاء، لا يظن هذا إلا من ضل سعيه

فمن كلام رسول الله ﷺ حين ذكر الأنصار فقال « أما والله ما علمتكم إلا تَقِلُّون عند الطمع، وتكثرون عند الفزع » وقال « الناس كلهم سواء كأسنان المشط » و « المرء كثير بأخيه » و « لا خير في صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه »

وقال الشاعر :

سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الحِمَارِ فَلاَ تَرَى لِذِي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلى ناشِئٍ فَضْلاً

وقال آخر :

شَبَابُهُمُ وشَيْبُهُمُ سَوَاءٌ فَهُمْ فِي اللَّوْنِ أَسْنَانُ الحِمَارِ

وإذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته، وتشبيه النبي ﷺ وحقيقته، علمت فضل ما بين الكلامين .

---

(١) ابن قميئة : هو عمرو بن قميئة بن ذريح البكرى . شاعر جاهلى قديم، وهو أقدم من امرىء القيس . لقيه امرؤ القيس فى آخر عمره وأخرجه معه إلى قيصر بالقسطنطينية فمات فى طريقه . ويعد في فحول الطبقة الثانية فى الشعراء . وزعموا أنه كان جميلا حسن الوجه مديد القامة . ومات عن سن عالية سنة ٥٦٠ م

وقال رسول الله ﷺ « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ويرد عليهم أقصاهم ، وهم يَدٌ على من سواهم »

فتفهَّم رحمك الله قلة حروفه وكثرة معانيه .

وقال ﷺ « اليـدُ العُليا خير من اليد السفلى » و « ابْدأ بمن تعول » وقال « لا تجن يمينك على شمالك » وذكر الخيل فقال « بطونها كنز ، وظهورها حِرز » وقال « خير المال مُهرة مأمورة ، وسكة مأبورة »(١) وقال « خير المال عين ساهرة لعين نائمة » وقال « نعمت العمة لكم النخلة تغرس فى أرض خوارة(٢) وتشرب من عين خرارة » وقال « المطعمات فى المحل ، الراسخات فى الوحل » وقال « الحِمَى(٣) فى أصول النخل » وذكر الخيل فقال « أعوانها أدفاؤها ، وأذنابها مذابها » و « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة » وقال « ليس منا من حَلق أو صَلق أو شَق »(٤) وقال « نهيتكم عن عقوق الامهات ، ووأد البنات ، ومنع وهات » وقال « الناس كإبل مِئَة لا تجد فيها راحلة »(٥) وقال « ما أملق تاجر صدوق » وجاء فى الحديث « ماقل وكفى خير مما كثر وألهى » وقال « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المُبطلين ، وتأويل الجاهلين »

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ « الخير فى السيف ، والخير مع السيف ، والخير بالسيف » وقال « لأُورِدَنّ مُجْرِبٌ على مُصِح »(٦) وقال « لا تزال أمتى صالحاً أمرها ما لم تر الامانة مَغْنما ، والصدقة مَغْرما » و « رأس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس » و « لن يهلك امرؤ بعد

---

(١) مأموره : منتجة . وسكة مأبورة : السكة ، الطريقة المصطفة من النخل ، أو الأرض المصلحة المعدة للحرث (٢) خوارة : سهلة لينة (٣) الحمى : الممنوع الدنو منه (٤) الصلق : الصوت الرائع من البواكى والنوائح عند الفواجع (٥) يعنى أن خيار الناس في الندرة كالراحلة الصالحة في الابل (٦) يعنى أن ذا الابل الجرباء يحظر عليه الدخول بها على ذى الابل الصحيحة لئلا تنتقل اليها عدواها

مَشُورة » وقال « المستشار مؤتمن » وقال « المستشار بالخيار ، إن شاء قال ، وإن شاء أمسك » وقال « رحم الله عبدا قال خيرا فغنم ، أو سكت فسلم » وقال « افصلوا بين حديثكم بالاستغفار » وقال « استعينوا على طول المشى بالسعى » وقال للختانة « يا أم عطية ، أشمِّيه ولا تنهكيه ، فانه أسرى للوجه ، وأحظى عند الزوج » وقال « لا تجلسوا على ظهور الطريق ، فان أبيتم فغضوا الابصار ، وردوا السلام ، واهدوا الضال ، وأعينوا الضعيف » وقال « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تتفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم . ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » وقال « يقول ابن آدم : مالى مالى ، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لَبِست فأبليت ، أو وهبت فأمضيت » وقال « لو أن لابن آدم واديين من ذهب لسأل إليهما ثالثاً » و « لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » و « يتوب الله على من تاب » وقال « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستعملكم فيها فناظر كيف تعملون » وقال « إن أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجالس [1] يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، الموطّؤن أكنافا ، الذين يألفون ويُؤلفون ، وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة ، الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » وقال « إياى والتشادق » وقال « إياى والفُرج فى الصلاة » وقال « لا يؤمن ذو سلطان فى سلطانه ، ولا يُجلس على تكرمته إلا باذنه » وقال « إياكم والمُشارَّة فإنها تميت الغِرّة ، وتحيى العِرّة » وقال « لا ينبغى لصديق أن يكون لعّاناً » وقال « أعوذ بالله من الاعميين وبوار الأيِّم » وكان يقول « أعوذ بالله من دعاء لا يسمع ، وقلب لا يخشع ، وعلم لا ينفع »

وقال رجل : يارسول الله ، أوصنى بشىء ينفعنى الله به قال « أكثر ذكر الموت يُسلِّكَ عن الدنيا ، وعليك بالشكر فان الشكر يزيد فى النعمة ، وأكثر الدعاء

(١) فى الأصل : مجلساً ، والصواب ما أثبتناه ، عن النهاية لابن الأثير

فانك لا تدرى متى يُستجاب لك » وقال « أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم » و « إياك والبغى فان الله قد قضى أنه من بغى عليه لينصرنه الله » و « إياك والمكر فان الله قد قضى أن لا يَحيق المكر السيئ إلا بأهله » وقيل : يارسول الله ، أى العمل أفضل ؟ فقال « اجتناب المحارم ، ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله » وقيل له : أى الأصحاب أفضل ؟ فقال « الذى إذا ذَكرت أعانك ، وإذا نَسيت ذكرك » وقيل : أى الناس شر ؟ قال « العلماء إذا فسدوا » وقال « دَبَّ إليكم داءُ الامم من قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشَّعَر . والذى نفس محمد بيده لا تؤمنون حتى تحابوا ، أولا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » وقال « تهادوا تحابوا »

وعن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « أوصانى ربى بتسع : أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، وبالعدل فى الرضا والغضب ، وبالقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكراً ، ونطقى ذكراً ، ونظرى عبرا »

وثلاث كلمات رُويت مرسلة ، وقد رويت لاقوام شتَّى ، وقد يجوز أن يكون إنما حكوها ولم يبتدؤها ، منها قوله « لو تكاشفتم لما تدافنتم » ومنها قوله « الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم » ومنها قوله « ماهلك امرؤ عرف قدره »

وقال اسماعيل بن عَياش ، عن عبد الله بن دينار قال : قال النبى ﷺ « ان الله كره لكم العَبَث فى الصلاة ، والرَّفَث فى الصيام ، والضحك عند المقابر » وقال « إذا أذَّنتَ فَترسَّل ، وإذا أقمتَ فاجزم »

وحدثنا اسماعيل بن عَياش الحمصى ، عن الحسن بن دينار ، عن الحصيب بن جُحدر ، وهو من حديث مَعاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « ليس من أخلاق المؤمن الملَق إلا فى طلب العلم » ومن حديث أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال

« قيّدوا العلم بالكتاب » قال « ويقول الله : لولا رجال خُشَّع ، وصبيان رُضَّع ، وبهائم رُتَّع ، لَصببتُ عليكم العذاب صَبًّا »

ومن حديث عبد الله بن المبارك ، رفعه، قال « إذا ساد القبيلَ فاسقُهم ، وكان زعيمَ القوم أرذلُهم ، وأُكرِمَ الرجلُ اتّقاءَ شره ، فلينتظروا البلاء »

ومن حديث ابن أبي ذئب، عن المغيرة ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ﷺ « ستحرصون على الامارة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة »

ومن حديث عبد الملك بن عُمير، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ « لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان »

ومن حديث عبد الله بن المبارك قال : كان رسول الله ﷺ يقول « إن قوما ركبوا سفينة في البحر فاقتسموا فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له : ما تصنع ؟ فقال : هو مكاني أصنع فيه ما شئتُ ، فان أخذوا على يديه نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا » وقال « علِّقْ سوطك حيث يراه أهلك »

ودخل السائب بن أبي صبي على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أتعرفني ؟ قال « كيف لا أعرف شريكي الذي كان لا يشاريني ولا يماريني ؟ »

وقال رسول الله ﷺ « يُؤتَى بالوالي يجلد فوق ما أمر الله به فيقول له الرب : عبدي ، لم جلدت فوق ما أمرتك به ؟ فيقول : ربي ، غضبت لغضبك . فيقول : أكان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي ؟ ثم يُؤتَى بالمقصّر فيقول : عبدي ، لم قصّرت عما أمرتك به ؟ فيقول : ربي ، رحمته . فيقول : أكان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتي ؟ قال : فيأمر فيهما بشيء قد ذكره لا أعرفه، إلا أنه صيرهما إلى النار

قال وكيع : حدثنا عبد العزيز بن عمر، عن قُزَعة قال : قال لي ابن عمر : أودّعك كما ودّعني رسول الله ﷺ « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » وقال « كل أرض بسمائها »

وروى سعيد بن عُفير ، عن ابن لَهيعة ، عن أشياخه أن النبى ﷺ كتب لوائل بن حجر الحضرمى ولقومه :

« من محمد رسول الله إلى الاقيال العباهلة[1] من أهل حَضْرَمَوت باقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، على التَّيعة شاة ، والتيمة لصاحبها ، وفى السيوب[2] الخُمس . لا خِلاط ، ولا وراط ، ولا شِناق ، ولا شِغار[3] فمن أجبى فقد أربى[4] . وكل مُسكر حرام »

ومن حديث راشد بن سعد أن رسول الله ﷺ قال « لا تقالوا فى النساء فانما هن سُقيا الله » وقال رسول الله ﷺ « خير نساء ركبن الابل صوالح نساء قريش ، أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على بعل فى ذوات يده »

وقال مجالد عن الشعبى قال رسول الله ﷺ « اللهم اذهب مُلك غَسان ، وضع مُهور كِندة »

والذى يدلك على أن الله قد خصه من الايجاز وقلة عدد اللفظ مع كثرة

---

(١) الاقيال العباهلة : هم الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه . وواحد العباهلة : عبهل

(٢) التيعة : اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان . وهى كالخمس من الابل . والأربعين من الغنم . والتيمة : الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، أو هي الشاة تكون لصاحبها فى منزله يحتلبها وليست بسائمة . والسيوب : قال الزمخشرى : السيوب جمع سيب يريد به المال المدفون في الجاهلية أو المعدن لأنه من فضل الله تعالى وعطائه لمن أصابه (٣) الخلاط : أن يخالط الرجل ماله من ماشية بما لغيره ليبخس حق الله فى الزكاة . والوراط : أن تخفى مالك من ماشية في وهدة من الأرض ، أو تغيبها فى مال غيرك لكيلا يراها المصدق فيأخذ زكاتها . والشناق : أن لا يؤخذ في الزائد على الفريضة زكاة إلى أن تبلغ الفريضة الأخرى . والشغار : أن تزوج الرجل بنتك أو أختك أو التى تلى أمرها من محارمك على أن يزوجك نظيرتها دون أن يكون بينكما مهر . وقد كان هذا النكاح معروفاً فى الجاهلية فأبطله الاسلام بهذا الحديث (٤) أجبى : الاجباء بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه ، أو هو مواراة المال عن المصدق فراراً من الزكاة ، وقيل : هو العينة ، وهو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثمن الذى باعها به

المعانى ، قوله ﷺ « نُصرت بالصَّبا ، واعطيت جوامع الكلم » ومما روى عنه ﷺ من استعمال الأخلاق الكريمة ، والأفعال الشريفة ، وكثرة الامر بها والنهى عما خالف عنها ، قوله « من لم يقبل عذراً من مُتنصلٍ ، صادقا كان أو كاذباً ، لم يرد علىَّ الحوض » وقال فى آخر وصيته « اتقوا الله فى الضعيفين » وكلمته جارية فى السَّبْي فقال لها : « من أنت ؟ » قالت : « أنا بنت الرجل الجواد حاتم » فقال النبى ﷺ « إرحموا عزيزاً ذلّ ، إرحموا غنياً افتقر ، إرحموا عالما ضاع بين جهال » وقال النبى ﷺ « سُرعة المشى تَذهب بهاء المؤمن »

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الأحاديث ستكثر عنى بعدى كما كثرت عن الأنبياء من قبلى ، فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فهو عنى قلته أو لم أقله »

وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خُلق النبى ﷺ فقالت : خلُق القرآن . وتلت قول الله « وإنك لَعلَى خُلُق عظيم »

وقال محمد بن على : أدب الله محمداً ﷺ بأحسن الآداب فقال : « خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » فلما وعى قال : « مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ »

قال : حدثنا على بن مجاهد قال : حدثنا هِشامُ بن عُروة قال : سمع عُمر بنُ الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا ينشد :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

فقال عمر : ذاك رسول الله ﷺ

وقد كان الناس يستحسنون قول الأعشى :

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ

فلما قال الحطيئة البيت الذى كتبناه قبل هذا سقط بيت الأعشى

وقال رسول الله ﷺ « لا يزال المسروق منه فى تهمة من هو برىء حتى يكون أعظم جرماً من السارق »

وقال أبو الحسن : أجرى ﷺ الخيل وسابق بينها فجاء فرس له أدهم سابقاً فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه وقال : « ما هو إلا البحر »

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كذب الحطيئة حيث يقول :

وإنّ جِيَادَ الخَيْلِ لاَ تَسْتَفِزُّنا ولاَ جاعِلاَتُ العاجِ فوْقَ المعاصِمِ

وقد زعم ناس من العلماء أنه لم يستفزه سبق فرسه ولكنه أراد إظهار حب الخيل وتعظيم شأنها

وكان رسول الله ﷺ يأكل على الأرض ، ويجلس على الأرض ، ويلبس العباء ، ويجالس المساكين ، ويمشى فى الأسواق ، ويتوسد يده الشريفة ، ويقص من نفسه ، ويلطع أصابعه (١) ، ولا يأكل متكئاً ، ولم يُرقط ضاحكا ملء فيه . وكان يقول « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأشرب كما يشرب العبد ، ولو دُعيت إلى ذراع لأجبت ، ولو أهدى إلىَّ كُراع (٢) لقبلت » لم يأكل قط وحده ، ولا ضرب عبده ، ولا ضرب أحداً بيده إلا فى سبيل ربه . ولو لم يكن من كرم عفوه ، ورجاحة حلمه ، إلا ما كان منه يوم فتح مكة لقد كان ذلك من أكمل الكمال . وذلك أنه حين دخل مكة عَنوة ، وقد قتلوا أعمامه وبنى أعمامه وأولياءه وقادة أنصاره ، بعد أن حصروه فى الشِّعاب ، وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب ، وجرحوه فى بدنه ، وآذوه فى نفسه ، وسفهوا عليه ، وأجمعوا على كيده ، فلما دخلها بغير حمدهم ، وظهر عليهم على ضغن (٣) منهم ، قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أقول كما قال أخى يوسف : « لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وهُوَ أرحَمُ الرَّاحِمِينَ »

وإنما نقول فى كل باب بالجملة من ذلك المذهب . وإذا عرفتم أولَ كل باب كنتم خُلقاء أن تعرفوا الأواخر بالأوائل ، والمصادر بالموارد

(١) يلطع أصابعه : يلحسها (٢) الكراع : مستدق الساق (٣) في نسخة : على صغر ، ولا معنى لذلك ههنا . وإنما هو على ضغن كما أثبتناه

﴿ خطبة الوادع ﴾

ومن خطبه ﷺ خطبة حجة الوَدَاع . وهى :

« الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذى هو خير .

أما بعد أيها الناس ، اسمعوا منى أبين لكم فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا

أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

فمن كانت عنده أمانة فليؤدِّها إلى من ائتمنه عليها . وإنّ ربا الجاهلية موضوع ، وإنّ أولَ رباً أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب . وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أولَ دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . وإن مآثر الجاهلية موضوعة ، غيرَ السِّدَانَةِ . والسِّقَايَةِ . والعمدُ قَوَدٌ وشِبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس « إنما النَّسِى[1] زيادة فى الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ويحرِّمونه عاماً ، ليواطئوا عِدَّة ماحرم الله » . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . و « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خَلق السموات والأرض منها أربعة حُرُم » ، ثلاثة متواليات

(١) فى نسخة : إن النسىء ، والصواب : إنما النسىء كما جاء فى الكتاب القديم

وواحد فرد : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم، ورجب الذى بين جمادى وشعبان

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقًّا ولكم عليهن حق : لكم عليهن أن لا يُوطِئن فُرُشكم غيركم . ولا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ؛ فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تَعْضُلُوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهنْ ضرباً غير مبرِّح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقُهن وكسوتُهن بالمعروف . وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

فلا ترجِعُنَّ بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده ، كتابَ الله .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس ، ربُّكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ؛ أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربىٍّ على عَجمى فضلٌ إلا بالتقوى .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس ، إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية ، ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث . والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه صَرف ولا عَدل . والسلام عليكم ورحمة الله »

وعن الحسن قال : جاء قَيسُ بنُ عَاصم المنقرى [١] الى رسول الله ﷺ فلما نظر إليه قال : هذا سَيدُ أهل الْوَبَرِ . فقال : يارسول الله، خبّرنى عن المال الذى لاتكون علىَّ فيه تبعَةٌ من ضيف ضافنى ، أو عيال إن كثروا علىَّ . قال : نعم ، المال الأربعون ، والأكثر الستون ، وويل لأصحاب المئين إلا من أعطى فى رَسْلها ونجدتها [٢] وأطرق فحلها ، وأفقر ظهرها ، ونحر سمينها ، وأطعم القَانِع والمُعتر . قال : يارسول الله ، ماأكرم هذه الاخلاق وأحسنها ؟ وما بحل بالوادى الذى أكون فيه أكثر من إبلى . قال : فكيف تصنع بالطَّروقة ؟ قال : تغدو الابل ويغدو الناس فمن شاء أخذ برأس بعير فذهب به . قال : فكيف تصنع بالافقار؟ [٣] قال : إنى لافقر البَكر الضَّرِع والناب المسنة . قال : فكيف تصنع بالمنيحة ؟ قال : إنى لامنح فى كل سنة مائة . قال : فاى المال أحب إليك، أمالك أم مال مواليك ؟ قال : بل مالى . قال : فمالَك من مالِك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت ، وماسوى ذلك للمواريث

وذكر أبو المقدام هِشام بن زياد عن محمد بن كعب القرظى [٤] قال : دخلت

---

(١) قيس بن عاصم المنقرى : هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد ، ويكنى أبا على. كان سيداً شريفاً موصوفاً بالحلم قدم على رسول الله ﷺ فى وفد تميم بعد الفتح فأسلم . وكان الأحنف بن قيس يقول : تعلمت الحلم من قيس بن عاصم ، أوتى بقاتل ابنه فقال : أزعجتم الفتى ، وكان ابن عمه، ثم أقبل عليه وقال : يا بنى، نقصت من عددك، وأوهنت من ركنك ، وفتت في عضك ، وأشمت عدوك ، وأسأت بقومك . خلوا سبيله . وما حل حبوته ولا تغير وجهه . وقال ابن الاعرابى : قيل لقيس : بماذا سدت قومك؟ فقال : بثلاث ، بذل الندى. وكف الأذى ، ونصر الولى . وكان شاعراً فحلا . وشجاعاً باسلا ، كثير الغارات في الجاهلية والاسلام مظفراً فى غزواته . توفي سنة ٤٧ هـ ٦٦٧ م

(٢) رسلها ونجدتها : يقال : بعير رسل وناقة رسله لينة السير ، والرسل : القطيع من الابل (٣) الافقار : الابل التى تعار للغير

(٤) محمد بن كعب القرظى : راوية إخبارى قاص يكنى ، أبا حمزة . والقرظى نسبة

على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى مرضه الذى مات فيه فجعلت أحدّ النظر إليه . فقال لى : يا ابن كعب ، مالك تحد النظر إلىّ ؟ قلت : لما نحل من جسمك، وتغير من لونك . قال : فكيف لو رأيتنى بعد ثلاثة فى قبرى وقد سالت حَدَقتاى على وجنتىّ وابتدر فمى وأنفى صديدا ودودا كنت لى أشد نَكرة ، أعد علىّ حديثا كنت حدثتنيه عن ابن عباس . قلت : سمعت ابن عباس يقول : كان رسول الله ﷺ يقول « إن لكل شىء شرفا ، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ، ومن أحب أن يكون أعزّ الناس فليتق الله ، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحبّ أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده » ثم قال « ألا أنبئكم بشرار الناس ؟ » قالوا : بلى يارسول الله . قال « من نزل وحده ، ومنع رفده ، وجلد عبده » ثم قال « ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ » قالوا : بلى يارسول الله . قال « من لا يُقيل عثرةً ، ولا يَقبل مَعذِرة » ثم قال : « ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ » قالوا : بلى يارسول الله . قال « من لا يُرجى خيره ، ولا يُؤمن شره » ثم قال «ألا أنبئكم بشر من ذلك؟» قالوا : بلى يارسول الله . قال « من يُبغض الناس ويُبغضونه . ان عيسى بن مريم قام خطيبا فى بنى اسرائيل فقال : يابنى اسرائيل، لاتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولاتمنعوها أهلها فتظلموهم ، ولا تكافئوا ظالما فيبطل فضلكم . يابنى اسرائيل ، الامور ثلاثة : أمر تَبين رُشده فاتّبِعوه ، وأمر تَبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فإلى الله ردوه »

وقال النبى ﷺ : كل قوم على زينة من أمرهم ، ومفلحة من أنفسهم ، يزرون على من سواهم . ويتبين الحق من ذلك بالمقايسة بالعدل عند ذوى الالباب من

إلى بنى قريظة : انتسب يوماً قرظياً فقيل له : لم لا تنتسب أنصارياً ؟ فقال : أكره ان أمن على الله بما لم أفعل . كان يقص في مسجده فسقط عليه وعلى أصحابه فقتلهم . قيل أن ذلك كان فى سنة ١١٧ هـ ٧٣٥ م

الناس . وقال « من رَضِى رقيقه فليمسكه ، ومن لم يرض فليبعه ، ولا تعذبوا عباد الله » وقال فى آخر ما أوصى به « اتقوا الله فى الضعيفين » .

ابن ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن جُبير بن نُفير ، عن مالك بن يحامر ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح قُسطنطينية ، وفتح قسطنطينية خروج الدجال » ثم ضرب بيده على فخذ الذى حدثه أو منكبه ثم قال « إن هذا لحق كما أنك هاهنا » أو « كما أنك قاعد » يعنى معاذا (١) .

صالح المرى (٢) عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا البلاء بالدعاء »

كثير بن هشام ، عن عيسى بن ابرهيم ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الجمعه حج المساكن »

عوف ، عن الحسن ، أن النبى ﷺ قال « اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عَوان ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله »

الواقدى ، عن موسى بن محمد بن ابرهيم التيمى ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله يحب الجواد من خلقه »

أبو عبد الرحمن الاشجعى ، عن يحيى بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ماخلا يهودى بمسلم قط إلا همّ بقتله » ويقال « حدث نفسه بقتله »

أبو عاصم النبيل قال : حدثنا عبيد الله بن أبى زياد ، عن شهر بن حَوشب ، عن

---

(١) لعل هذا الحديث من تسقطات الجاحظ التى أخذه بعضهم بها . وإلا فليس مثل الجاحظ من يروى مثل هذا الحديث على أنه سليم من الشوائب

(٢) صالح المرى : كان مولى لبنى مرة من عبد القيس ، وكان من أهل الخير والصلاح ، وكان يرى رأى أهل القدر . مات بالبصرة

أسماء بنت يزيد قالت :قال النبي ﷺ :«مَن ذَبَّ عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقاً على الله أن يُحَرِّمَ لحمه على النار »

اسماعيل بن عَياش،عن الحسن بن دينار،عن الخصيب بن جُحدر،عن رجل، عن مَعاذ بن جبل، عن النبي ﷺ قال: « ليس من أخلاق المؤمن الملَق إلا في طلب العلم »

عبد ربه بن أعْيَن ،عن عبد الله بن ثُمامة بن أنس،عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : « قيِّدوا العلم بالكتاب » وقال: « فَضل جاهك تعود به على أخيك الذى لاجاه له صدقةٌ منك عليه ، وفضل لسانك تُعبِّر به عن أخيك الذى لالسان له صدقةٌ منك عليه ، وفضل قوَّتك تعود بها على أخيك الذى لا قوَّة له صدقة منك عليه ، وفضل علمك تعود به على أخيك الذى لا علم له صدقةٌ منك عليه ، وإماطتك الأذى عن الطريق صدقةٌ منك على أهله »

وإنما مدار الأمر والغاية التى يُجرَى اليها : الفهم ثم الافهام، والطلب ثم التثبت

وقال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أملهم : جليسى ما فهم عني ، ودابتى ماحملت رحلى ، وثوبى ما ستر عورتى

وذكر الشعبي[1] ناساً فقال : ما رأيت مثلهم أشد تنابذاً فى مجلس ، ولا أحسن تفهماً عن محدث .

ووصف سَهل بن هُرون رجلا فقال : لم أر أحسن منه فهماً لجليل ، ولا أحسن تفهماً لدقيق .

---

(١) الشعبي : هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي . وأصله من حمير ، وعداده في همدان . وكان يكنى أبا عمرو ، وكان ضئيلا نحيفاً ، وكانت أمه من سبي جلولاء ، وهي قرية بنواحي فارس . كتب لعبد الله بن مطيع العدوى ، ولعبد الله بن يزيد الخطمى عامل ابن الزبير على الكوفة ، وكان راوية قاصا إخبارياً معروفاً بالمزح . مات سنة ١٠٥ هـ ٧٢٣ م

وقال سعيد بن سلم[1] لأمير المؤمنين المأمون : لو لم أشكر الله إلا على حسن ما بلاني في أمير المؤمنين من قصده إليَّ بحديثه ، وإشارته إليَّ بطرفه ، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة ، وتوجبه الحرية . قال المأمون : لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حُسن الإفهام إذا حدَّثت ، وحسن الفهم إذا حُدِّثت ، ما لم يجده عند أحد فيمن مضى ، ولا يَظن أنه يَجده فيمن بقي . وقال له مَرة : والله إنك لتستقي حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتخبر عنه بما كنت قد أغفلته

قال أبو الحسن : قالت امرأة لزوجها : مالك إذا خرجتَ إلى أصحابك تَطَلَّقْتَ[2] وتحدثت ، وإذا كنت عندي تعقّدت وأطرقت ؟ قال : لأني أجل عن دقيقك ، وتدقين عن جليلي

وقال أبو مُسهر بن المبارك : ما حدثت رجلا قط إلا أعجبني حسن إصغائه حفظ عني أم ضيع

وقال أبو عقيل بن درست : نشاط القائل على قدر فهم المستمع .

وقال أبو عباد كاتب ابن أبي خالد : للقائل على المستمع ثلاث : جمع البال ، والسكتمان ، وبسط العُذر . وقال أبو عباد : إذا أنكر القائل عَيْنَيِ المستمع فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن السبب الذي أجرى ذلك القول له ، فان

---

(١) سعيد بن سلم : هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي . كان من أمراء الدولة العباسية ، ولي لها أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة . وكان شجاعاً باسلا ضابطاً لأموره مع أدب بارع ورواية طريفة : حدث عن نفسه فقال : مدحني شاعر ببيتين لم أسمع أحسن منهما وهما قوله :

أيا سارياً بالليل لا تخش ضلة سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
لنا مقرم أربى على كل مقرم جواد حشا في وجه كل جواد

فأغفلت صلته فهجاني ببيتين لم أسمع أهجى منهما ، وهما قوله :

لكل أخي مدح ثواب علمته وليس لمدح الباهلي ثواب
مدحت ابن سلم والمديح مهزة فكان كصفوان عليه تراب

(٢) تطلقت : ذهبت في انبساطك وانطلاق لسانك بالحديث كل مذهب

وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وإن كان لاهياً عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير فى حق المحدث

وأبو عباد هذا هو الذى قال : ما جلس بين يدىَّ رجل قطّ إلا تمثل لى أنى سأجلس بين يديه

وذكر رجل من القرشيين عبد الملك بن مروان — وعبد الملك يومئذ غلام — فقال : إنه لآخذٌ بأربع ، وتارك لأربع : آخذ بأحسن الحديث إذا حدَّث ، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث ، وبأيسر المؤنة إذا خُولف ، وبأحسن البِشر إذا لَقِى . وتارك لمحادثة اللئيم ، ومنازعة اللجوج ، وممارات السفيه ، ومصاحبة المأفون

وذم بعض الحكماء رجلا فقال : يجزم قبل أن يعلم ، ويغضب قبل أن يفهم .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى بعض رسائله إلى قضاته : الفهم الفهم مما يختلج فى صدرك

ولا يمكن تمام الفهم إلا مع تمام فراغ البال

وقال مجنون بنى عامر :

أتانى هَوَاهَا قَبْلَ أنْ أعْرِفَ الْهَوَى ... فَصَادَفَ قَلْبِى فارِغاً فتمكَّنا

وكتب مالك بن أسماء بن خارجة إلى أخيه عُيينة بن أسماء :

أَعُيَيْنُ هَلاَّ إذْ شُغِفْتَ بِهَا ... كُنْتَ اسْتَعَنْتَ بِفارِغِ الْعَقْلِ

أقْبَلْتَ تَرْجُو الْغَوْثَ مِنْ قِبَلِى ... والْمُسْتَغَاثُ إلَيْهِ فى شُغْلِ

وقال صالح المرى : سوء الاستماع نفاق . وقد لا يفهم المستمع إلا بالتفهم ، وقد يتفهم أيضاً من لا يفهم

وقال الحارث بن حِلِزَة[1]

---

(١) فى نسخة ابن جلذه ، وليس هنالك والصواب ماأثبتناه . وهو الحارث بن حلزة اليشكرى وهذا البيت من قصيدة له بالمفضليات التى شرحناها بقلمنا ونشرناها حديثاً أولها :

وَحَبِسْتُ فِيهَا الرَّكْبَ أَحْدِسُ فِي كلِّ الأُمُورِ وكُنْتُ ذَا حَدْسِ

وقال النابغة الجعدى :

أَبا لِي البَلَاءَ وأنى امْرُؤٌ إذا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ

وقال آخر :

تحلَّم عَنِ الأَدنين واسْتَبْقِ وِدَّهُمْ ولَنْ تَسْتَطِيعَ الحِلْمَ حتى تحلَّمَا

والمثل السائر على وجه الدهر قولهم : العلم بالتعلم . وإذا كانت البهيمة إذا أحست بشيء من أسباب القاص أحدَّت نظرها واستفرغت قواها فى الاسترواح وجمعت بالها للتسمع ، كان الإنسان العاقل أولى بالتثبت وأحق بالتعرف .

ولما اتهم قتيبة بن مسلم [1] أبا مِجْلَز لاحق بن حُميد [2] ببعض الأمر قال له أبو مِجْلَز : أيها الأمير تثبت فإن التثبت نصف العفو .

وقال الأحنف : تعلمت الحلم من قَيس بن عاصم . وقال فيروز بن حُصين : كنت أختلف إلى دار « الاستخراج » أتعلم الصبر .

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس
لا شيء فيها غير أصورة سفع الخدود يلحن في الشمس
وغير اثار الجياد بأعراض الجماد وآية الدعس
فحبست فيها الركب أحدس في كل الأمور وكنت ذا حدس

(١) قتيبة بن مسلم : أبو حفص الباهلى . كان قائداً عظيماً ، وشجاعاً باسلا ، وسيدا كريماً ، ولاه عبد الملك بن مروان الرى ثم أشار عليه الحجاج فولاه خراسان ، وكانت هناك ردة فقام بأمرها وفتح خوارزم وسمرقند وبخارا وظل فى ولايته ثلاث عشرة سنة ثم عزل وثار به وكيع بن أبى سود الغدانى بفرغانة منتقما فقتله وهو ابن خمس وأربعين سنة وذلك في سنة ٩٧ هـ ٧١٥ م

(٢) أبو مجلز لاحق بن حميد بن سدوس بن شيبان : كان يقيم بخراسان فاستقدمه عمر بن العزيز إليه ليسأله عنها ، ثم ولاه بيت المال وضرب السكة (دار الضرب) . توفي سنة ١٠١ هـ ٧١٩ م

وقال سهل بن هرون : بلاغة الإنسان رِفق ، والعى خُرق . وكان كثيراً ماينشد قول شُتَيم بن خُوَيلد :

ولا يَشْعُبُون الصَّدْعَ بَعْدَ تَفاقمٍ وفى رِفْقِ أيْدِيكُمْ الذى الصَّدْعُ شَاعِبُ

﴿ خطبة لأبى بكر الصديق ﴾

وقال ابرهيم الأنصارى ، وهو ابرهيم بن محمد المفلوج من ولد أبى زيد القارى : الخلفاء والأئمة وأمراء المؤمنين ملوك ، وليس كل ملك يكون خليفةً وإماماً . قال : ولذلك فصل بينهم أبو بكر رضى الله تعالى عنه فى خطبته فإنه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبى ﷺ قال :

إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك . فرفع الناس رؤسهم فقال : مالكم أيها الناس : إنكم لطعانون عجلون ، إن من الملوك من إذا ملك زهَّده الله فيماعنده ، ورغبه فيمافى يدى غيره ، وانتقصه شطر أجله ، وأشرب قلبه الإشفاق[1] فهو يَحسد على القليل ، ويتسخط الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع عنه لذة الماء ، لا يستعمل العبرة ، ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القَسىِّ[2] ، والسراب الخادع ، جَذِلُ الظاهر ، حزين الباطن ، فاذا وجبت نفسه ، ونضب عمره ، وضحى ظله ، حاسبه الله فأشد حسابه ، وأقل عفوه . ألا إن الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه ﷺ وإنكم اليوم على خلافة النبوَّة ومَفرق المحجة ، وسترون بعدى ملكاً عضوضاً[3] ومُلكاً عنوداً ، وأمة شَماعاً[4] ودماً مفاحاً[5] فإن كانت للباطل نَزْوة ، ولأهل الحق جولة ، يعفو بها الأثر ، ويموت لها البشر ، فالزموا المساجد ، واستشيروا القرآن ، والزموا الطاعة ، ولاتفارقوا الجماعة ، وليكن الابرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلادكم خرسة إن الله سيفتح عليكم أقصاها ، كما فتح عليكم أدناها

---

(١) الاشفاق : الخوف (٢) الدرهم القسى : أى الزائف (٣) عضوضا أى يصيب الناس فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضاً (٤) شعاعاً : ذاهبة فرقاً مختلفة (٥) مفاحا : سائلا

﴿ وصية أبي بكر الصديق لعمر الفاروق ﴾

إني مستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله : إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تُقبل نافلة حتى تُؤدَّى الفريضة ، فإنما ثَقُلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثِقَله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً . إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إنى أخاف أن لا أكون من هؤلاء . وذكر أهل النار فذكرهم بأسوإ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إنى لأرجو أن لا أكون من هؤلاء . وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقى بيده إلى التهلكة . فاذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولستَ بمعجز الله

﴿ وصية عمر للخليفة من بعده ﴾

وأوصى عُمر رضى الله تعالى عنه الخليفةَ من بعده فقال :

أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ، أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبَل من مُحسنهم وتجاوز عن مُسيئهم ، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء العدو وجباة الفيء ، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً فإنهم أصل العرب ومادَّة الإسلام أن تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين

طوعاً أو عن يد وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقته أن يَطَّلِعَ منك على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله فى الناس وتخشى الناس فى الله ، وأوصيك بالعدل فى الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم ، فإن ذلك بإذن الله سلامةٌ لقلبك وحطٌّ لوِزْرِكَ وخير فى عاقبة أمرك ، حتى تفضى من ذلك إلى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك . وآمرك أن تشتد فى أمر الله وفى حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ، ثم لا تأخذك فى أحد رأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرم الله . واجعل الناس عندك سواء لا تبالى على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك فى الله لومة لائم . وإياك والأَثَرة والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسَّعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فان اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك اقترفت به إيمانا ورضوانا ، وإن غلبك الهوى اقترفت به سُخط الله . وأوصيك أن لا ترخص لنفسك ولا لغيرك فى ظلم أهل الذمة .

وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك فابتغ بذلك وجهَ الله والدارَ الآخرة. وأخترتُ من دَلالتك ما كنت دالاً عليه نفسى وولدى ، فان عملت بالذى وعظتك وانتهيت إلى الذى أمرتك أخذت به نصيبا وافراً وحظا وافيا ، وان لم تقبل ذلك ولم يهمك ولم تُنزل معاظم الامور عند الذى يرضى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصا ورأيك فيه مدخولا ، لان الاهواء مشتركة ، ورأس كل خطيئة ابليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضل القرون السالفة قبلك ، فاوردهم النار ، ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة عدو الله الداعى إلى معاصيه . ثم اركب الحق وخض اليه الغمرات وكن واعظا لنفسك . أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين فاجللت كبيرهم ، ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم . ولا تضربهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفئ فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ، ولا تجمِّرْهم فى البعوث فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دُولة بين الاغنياء منهم ،

ولا تُغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعفهم . هذه وصيتى اياك ، وأشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام

﴿ رسالة عمر الى أبي موسى الاشعرى [1] ﴾

﴿ فى القضاء ﴾

رواها ابن عُيينة وأبو بكر الهذلى ومَسلمة بن محارب ، رووها عن قَتادة ، ورواها أبو يوسف يعقوب بن ابرهيم ، عن عُبيد الله بن حُميد الهذلى ، عن أبى المليح بن أسامة ، أن ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتب إلى أبى موسى الاشعرى:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فان القضاء فريضةٌ مُحكمة ، وسنةٌ متبعة . فافهم إذا أُدلى إليك ، فانه لا ينفع تكلّم بحق لا نفاذ له . آسِ بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك . والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالا أو أحل حراماً . ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه ، فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهمَ الفهمَ عند مايتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب الله ولا سنة النبى ﷺ إعرف الأمثال والأشباه ، وقس الامور عند ذلك ، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى ، واجعل للمدعى حقا غائبا أو بينة أمداً ينتهى إليه . فإن

---

(١) أبو موسى الأشعرى : هو الصحابى الجليل عبد الله بن قيس من الأشعريين من اليمن . قدم على رسول الله ﷺ فأسلم في أخوته وقومه وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد . وكان خفيف الجسم قصيراً طاحسن الصوت بالقراءة . ولى القضاء لعمر بن الخطاب وشهد مع على بن أبي طالب صفين واختير محكما عن على فأضاع صاحبه بسلامة صدره وتغلب عليه عمرو بن العاص بدهائه . وقد رى ابن قتيبة في «المعارف» أن أبا موسى عثر على قبر دانيال النبي بناحية السوس فأخرج رفاته وكفنها وصلى عليها ثم قبرها . توفى سنة ٥٢ هـ ٦٧٢ م

أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء ، فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ فى العذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجلوداً فى حد ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنيناً فى ولاء أو قرابة ، فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات . ثم إياك والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر ، فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله ، والسلام عليك

﴿ خطبة لعلى بن ابى طالب ﴾

وقال أبو عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى [1] : أول خطبة خطبها على بن أبى طالب

(١) أبو عبيدة معمر بن المثنى : الامام الراوية اللغوى البصرى كان مولى لتيم قريش . قال له رجل : من أبوك ؟ وما أصله ؟ فقال : حدثنى أبى أن أباه كان يهودياً يدا جروان . أخذ أبو عبيدة عن يونس بن حبيب وأبى عمرو . وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم السجستانى وأبو عثمان بكر بن محمد المازنى وأبو الحسن على بن المغيرة الأثرم وعمر بن شبة . كان أعلم بالانساب وأيام الناس من الاصمعى وأبى زيد . وكان أبو نواس يتعلم منه ويصفه ويذم الأصمعى ، وكان يقول : أبو عبيدة أديم طوى على علم ، والأصمعى بلبل فى قفص . لأن الأصمعى كان حسن الانشاء والزخرفة . أقدم الرشيد أبا عبيدة من البصرة إلى بغداد وقرأ عليه . وكان أبو عبيدة شعوبياً وكان يرى رأى الخوارج الأباضية . قال الجاحظ : لم يكن فى الأرض خارجى أعلم بجميع العلوم من أبى عبيدة . وقال ابن قتيبة : كان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامهم . وكان مع علمه ومعرفته ربما لم يقم البيت إذا أنشده ولا يقيم إعرابه ، وقد يروى الشعر مختلف العروض ويخطىء إذا قرأ القرآن نظراً . وكان يبغض العرب وله فى مثالبها كتاب . وله مصنفات كثيرة . وكان يقول شعراً ضعيفاً وأصلح ما روى له قوله :

يكلمنى ويخلج حاجبيه لأحسب عنده علماً دفينا
وما يدرى قبيلا من دبير إذا قسم الذى يدرى الظنونا

ولد سنة ١١٢ هـ ٧٣٠ م وتوفي سنة ٢١١ هـ ٨٢٦ م

رضى الله تعالى عنه . حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال :

أما بعد فلا يُرعين مُرع إلا على نفسه ، فإن من أرعى على غير نفسه شغل عن الجنة، والنار أمامه . ساع مجتهد ، وطالبٌ يرجو ، ومقصر فى النار ، ثلاثة . واثنان : ملَك طار بجناحيه ، ونبى أخذه الله بيده . ولاسادس . هلك من ادعى، وردى من اقتحم ، فان اليمين والشمال مَضلة ، والوُسطى الجادة ، منهج عليه باقى الكتاب والسنة وآثار النبوة . إن الله داوى هذه الامة بدوائين: السوط والسيف ، فلا هوادة عند الامام فيهما . استتروا ببيوتكم ، واصطلحوا فيما بينكم، والتوبة من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين ، أمَا إنى لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف . سبق الرجلان ونام الثالث كالغراب همته بطنه ، يا ويحه ، لو قصَّ جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له . انظروا إن أنكرتم فانكروا ، وإن عرفتم بارزوا . حق وباطل ، ولكلٍ أهل ، ولئن كثر أمر الباطل لقديماً فعل ، ولئن قل الحق لربما ولعل ، ما أدبر شئ فأقبل . ولئن رجعت عليكم أموركم إنكم لسعداء ، وإنى لأخشى أن تكونوا فى فترة ، وما علينا الا الاجتهاد

قال أبو عبيدة : وروى فيها جعفر بن محمد :

إن أبرار عترتى وأطايب أرومتى أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً ، ألا وإنا من أهل بيت من عِلم الله عَلمنا وبحكم الله حَكمنا ومن قول صادق سَمعنا ، وإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا . معنا راية الحق من تبعنا لحق ، ومن تأخر عنا غرق . ألا وإن بنا تُرد دَبرة كل مؤمن ، وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم ، وبنا فتح، وبنا ختم ، لا بكم

﴿ خطبة أخرى له ﴾

ومن خطب على أيضاً رضى الله تعالى عنه قالوا : أغار سُفيان بن عَوف الأزدى ثم الغامدى على الانبار زمان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

وعليها ابنُ حسان أو حسان البكرى، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها ، فخرج علىٌّ حتى جلس على باب السُّدة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال:

أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذِّلة ، وشَمله البلاء ، وألزمه الصَّغار ، وسيم الخسف ، ومُنع النَّصف . ألا وإنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهاراً سراً وإعلانا ، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ماغُزى قوم قط فى عقر دارهم إلا ذلوا . فتواكلتم وتخاذلتم ، وثقل عليكم قولى، واتخذتموه وراءكم ظهريا ،حتي شنت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار ، وقتل حسان ـ أو ابن حسان ـ البكرى، وأزال خيلكم عن مسالحها ، وقتل منكم رجالا صالحين ، وقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع أحجالها وقلبها ورعثها[1] ثم انصرفوا وافرين ما كُلم رجل منهم كَلما . فلو أن امرأ مسلماً مات من بعدها أسفاً ما كان عندى ملوماً ، بل كان عندى به جديراً . فياعجباً من جد هؤلاء القوم فى باطلهم وفشلكم عن حقكم ، فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يُرمَى وفيئاً ينهب. يغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزون ولا تَغزون ، ويُعصى الله وترضون . فاذا أمرتكم بالسير اليهم فى الحر قلتم : حمارَّة القيظ ، أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر . واذا أمرتكم بالسير فى البرد قلتم : أمهلنا حتى ينسلخ عنا القر . كل هذا فراراً من الحر والقر، فاذا كنتم من الحر والقر تفرون ،فأنتم والله من السيف أفر . يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا أحلام الأطفال، وعقول ربات الحجال ، وددت أن الله قد أخرجنى من بين ظهرانيكم وقبضنى إلى رحمته من بينكم ، والله لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرّت ندماً ، وورثت صدرى غيظاً ، وجرعتمونى الموت أنفاساً ، وأفسدتم علىّ رأيى بالعصيان والخذلان ، أحتى قالت قريش : ان ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب ؟ لله أبوهم ، وهل منهم أحد أشد لها مِراساً وأطول

(١) الأحجال: الخلاخيل: والقلب: السوار .والرعث: الأقراط .كذا رواه الاسكافي

لها تجربة مني ؟ لقد مارستها وما بلغت العشرين ، وقد نيفت فيها على الستين ، ولكنه لا رأى لمن لا يطاع

قال : فقام رجل من الازد يقال له فلان بن عفيف ثم أخذ بيد أخ له فقال : يا أمير المؤمنين أنا وأخي كما قال الله « رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي » فمرنا بأمرك ، فوالله لنضربن دونك وإن حال دونك جمر الغضا وشوك القتاد . قال: فأثنى عليهما وقال لهما خيراً وقال : أين تقعان مما أريد ؟ ... ثم نزل

﴿ خطبة أخرى له ﴾

وخطبة أخرى بهذا الاسناد فى شبيه بهذا المعنى ، قام فيهم خطيباً فقال :

أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم . كلامكم يُوهِى الصُّمَّ الصِّلَابَ ، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم . تقولون فى المجالس كيت وكيت، فاذا جاء القتال قلتم : حِيدِى حَيَادِ ، ما عزّت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم . أعاليل بأضاليل . وسألمونى التأخير دفاع ذى الدين المَطول ، هيهات لا يمنع الضيم الذليل ، ولا يُدرَك الحق إلاّ بالجدّ . أى دار بعد داركم تمنعون ؟ أم مع أىّ إمام بعدى تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب . أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع فى نصرتكم . فرق الله بينى وبينكم وأعقبنى بكم من هو خير لى منكم . لوددت أن لى بكل عشرة منكم رجلاً من بنى فِراس بن غُنم صرف الدينار بالدرهم

﴿ خطبة أخرى له ﴾

وخطب أيضاً على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال :

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوَداع ، وان الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع . وإن المِضمار اليوم والسباق غداً . ألا وإنكم فى أيام أمل ، من ورائه أجل ، فمن أخلص فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضره أمله ، ومن قصّر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضرّه أمله . ألا

فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة . ألا وإنى لم أرَ كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجرُّ به الضلال إلى الردى . ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل

﴿ خطبة عبد الله بن مسعود [1] ﴾

أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العُرَى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة ابرهيم عليه السلام ، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ ، وشر الأمور مُحدثاتها ، وخير الأمور عزائمها . ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها . خير الغنى غنى النفس . خير ما ألقى فى القلب اليقين . الخمر جماع الآثام . النساء حبالة الشيطان . الشباب شُعبة من الجنون . حب الكفاية مفتاح المعجزة . من الناس من لا يأتى الجماعة إلا دَبرا . ولا يذكر الله إلا هجرا . أعظم الخطايا اللسان الكذوب . سباب المؤمن فُسوق . وقتاله كفر . وأكل لحمه معصية . من يتألى على الله يكذبه . ومن يستغفر يُغفر له . مكتوب فى ديوان المحسنين : من عفا عُفى عنه . الشقى من شقى فى بطن أمه . السعيد من وُعظ بغيره . الأمور بعواقبها . مِلاك العمل خواتيمه . أحسن الهدَى هدى الانبياء ، أقبح الضلالة الضلالة بعد الهدى . أشرف الموت الشهادة . من يعرف البلاء يصبر عليه . من لا يعرف البلاء ينكره

---

(١) عبد الله بن مسعود : أصله من هذيل ، وكان من حلفاء بنى زهرة ، ويكنى أبا عبد الرحمن . شهد مع رسول الله بدرا وبيعة الرضوان وجميع المشاهد ، وكان على قضاء الكوفة وبيت مالها لعمر بن الخطاب وصدرا من خلافة عثمان . ثم صار إلى المدينة . وكان رجلا نحيفاً قصيراً يكاد الجلوس يوازونه من قصره ، وكان شديد الأدمة . توفي بالمدينة ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين سنة ، وذلك فى سنة ٣٢ هـ ٦٥٢ م

﴿ خطبة عُتبة بن غَزوان السلمى بعد فتح الأُبلة[1] ﴾

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال :

أما بعد فإن الدنيا قد تولت حَذَّاء مُدبرة ، وقد آذنت أهلَها بصرم ، وإنما بقى منها صُبابة كصُبابة الإناء يَصْطَبها صاحبها ، ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ، ففارقوها بأحسن ما بحضركم . ألا وإن من العجب أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الحجر الضخم يُلقى فى النار من شفيرها فيهوى فيها سبعين خريفاً . ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة ولتأتين عليه ساعة وهو كظيظ بالزحام . ولقد كنت مع رسول الله ﷺ سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق البَشام حتى قُرحت أشداقنا ، فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرة فشققتها بينى وبينه بنصفين ، والتقطت بُردة فشققتها بينى وبينه فأتزرت بنصفها ، وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، وإنه لم يكن نبوة قط إلا تناسختها جبرية . وأنا أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما . وفى أعين الناس صغيراً . وستجربون الأمراء من بعدى فتعرفون وتنكرون

﴿ خطبة لمعاوية بن أبى سُفيان ﴾

رواها شُعيب بن صفوان وزاد فيها اليَقْطرى وغيره . قالوا : لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نفر من قريش يتباشرون بموتك . فقال : ويحك ! ولم ؟ قال : لا أدرى . قال : فوالله ما لهم بعدى إلا الذى يسؤهم . وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال :

أيها الناس ، إنا قد أصبحنا فى دهر عَنود ، وزمن شديد ، يعدّ فيه المحسن

---

(١) عتبة بن غزوان بن ياسر : صحابى جليل ، قدم المدينة مهاجرا وله من العمر أربعون سنة ، وهو في عداد المهاجرين الأولين . شهد بدرا وكان من الرماة المذكورين . اختط البصرة وأمر محجن بن الأدرع فاختط مسجدها . وفتح الابلة . وكان رجلا طوالا . توفي وهو ابن سبع وخمسين سنة في طريق مكة بمعدن بنى سليم سنة ١٧ هـ ٦٣٨ م

مُسيئاً ، ويزداد فيه الظالم عُتوّاً ، لا ننتفع بما عَلمناه ، ولا نسأل عما جهلناه ، ولا نتخوّف قارعة حتى تحلّ بنا . فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد إلا مَهانةُ نفسه ، وكَلالُ حدِّه ، ونضيض وفره . ومنهم المصلت لسيفه ، المجلب بخيله ورجله ، والمعلن بشرِّه ، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه ، أو مِقنب [1] يقوده ، أو منبر يقرعه ، ولبئس المتجران تراهما لنفسك ثمناً ، ولما لك عند الله عوضاً . ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ، فقد طامَنَ مِنْ شخصه ، وقارب من خطوه ، وشمر من ثوبه ، وزخرف نفسه للأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة للمعصية . ومنهم من قد أقعده عن طلب الملك ضُؤُولة نفسه ، وانقطاع سببه ، فقصرت به الحال عن أمله ، فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس الزهاد ، وليس من ذلك في مَراح ولا مَغدى . وبقي رجال غضّ أبصارهم ذكرُ المرجع ، وأراق دموعهم خوف المحشر ، فهم بين شريد نافر ، وخائف منقمع ، وساكت مكعوم [2] وداع مخلص ، وموجَع ثكلان ، قد أخملتهم التقيّةُ . وشملتهم الذِّلة . فهم بحرٌ أُجاج . أفواههم ضامرة . وقلوبهم قرحة . قد وُعظوا حتى ملوا . وقُهروا حتى ذلوا . وقُتلوا حتى قلوا . فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُثالة القرظة وقُراضة الجلمين . واتعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتعظ بكم مَن كان بعدكم . فارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان أشغف بها منكم

وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروب من العجب : منها أن هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أن هذا المذهب — في تصنيف الناس وفي الاخبار عنهم وعما هم عليه من القهر والإذلال ، ومن التقية والخوف — أشبه بكلام علي وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية ، ومنها أنا لم نجد معاوية في حال

(١) المقنب جماعة الخيل (٢) مكعوم : أي كأن على فمه الكعام (الكمامه) وفي نسخة معكوم ولا معنى له هنا

من الحالات يسلك فى كلامه مسلك الزُّهاد . ولا يذهب مذاهب العُبَّاد . وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه . والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم

﴿ خطبة زياد بن أبى سفيان بالبصرة — البتراء[1] ﴾

قال أبو الحسن المدائنى : ذكر ذلك عن مَسلمة بن مُحارب ، وعن أبى بكر الهذلى قالا : قدم زيادٌ البصرة والياً لمعاوية بن أبى سفيان وضم إليه خُراسان وسجستان ، والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر . قالا : فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها . وقال غيرهما : بل قال :

الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه . اللهم كما زدتنا نعماً فألهمنا شكراً

أما بعد فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغَىّ الموفى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرؤا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، فى الزمن السرمدى الذى لا يزول . أتكونون كمن طَرفت عينيه الدنيا وسدَّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية . ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحَدَث الذى لم تُسبقوا إليه ، من تركُكم الضعيف يُقهر ويُؤخذ ماله ؟ ما هذه المواخير المنصوبة ،

---

(٢) زياد : هو زياد بن أبى سفيان ، ويكنى أبا المغيرة . ولد بالطائف عام الفتح . وكتب للمغيرة بن شعبة . ثم كتب لأبى موسى الأشعرى ، ثم كتب لابن عامر ، ثم كتب لابن عباس ، وكان زياد مع على بن أبى طالب فولاه فارس . فكتب إليه معاوية يتهدده ويتوعده تارة ، ويعده ويمنه أخرى ، وما زال به حتى استجاب له ، فولاه معاوية البصرة وأعمالها : خراسان وسجستان . ولما مات المغيرة بن شعبة جمع له العراقين فكان أول من جمعا له ، وهو أول من لبس الخفاف الساذجة وثياب الكتان بالبصرة . وهو بخطبته هذه أول من أعلن الأحكام العرفية فى الاسلام . فكانت ولايته ثمان سنين منها خمس على البصرة وأعمالها . وكان من نوابغ قريش . ولد سنة ٨ هـ ٦٢٩ م وتوفى بالكوفة سنة ٥٣ هـ ٦٧٢ م

والضعيفة المسلوبة فى النهار المبصر ، والعدد غير قليل ؟ ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دَلَج الليل وغارة النهار ؟ قرّبتم القرابة وباعدتم الدِّين . تعتذرون بغير العذر وتفضون عن المختلس ، كل امرئ منكم يذب عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف عاقبةً ولا يرجو معاداً

ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوساً فى مكانس الريب . حرام علىّ الطعام والشراب حتى أسوّيها بالأرض هدماً وإحراقا

إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عُنف . وإنى أقسم بالله لآخذن الولى بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والمطيع بالعاصى ، والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : أُنْجُ سعد ، فقد هلك سعيد . أو تستقيم قناتكم

إن كذبة المنبر بَلقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم علىّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتى ، فإذا سمعتموها منى فاغتمزوها فىّ ، واعلموا أن عندى أمثالها . من نقُب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه . فإياى ودَلَج الليل . فإنى لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ، وقد أجّلتكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع إليكم

وإياى ودعوى الجاهلية ، فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلا قَطعتُ لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة . فمن غرّق قوماً غرقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه حيًّا فيه ، فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم يدى ولسانى . ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه

وقد كانت بينى وبين أقوام إحن فجعلت ذلك دَبر أذنى وتحت قدمى ، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً ، ومن كان منكم مُسيئاً فلينزع من إساءته

إنى لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له ستراً ، حتى يبدى لى صفحته ، فإذا فعل ذلك لم أناظره . فاستأنفوا أموركم

وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدومنا سيسر ، ومسرور بقدومنا سيبتئس.

أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بفىء الله الذى خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا. واعلموا أنى مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو أتانى طارقا بليل ، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبّانه ، ولا مُجَمِّراً لكم بَعثا . فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذى اليه تأوون ، ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا له حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شراً لكم . أسأل الله أن يعين كلا على كل . وإذا رأيتمونى أنفذ فيكم الأمر فانفذوه على أذلاله[1] . وأيم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى

قال : فقام إليه عبد الله بن الأهتم فقال : أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب . فقال : كذبت ، ذاك نبى الله داود صلوات الله عليه

قال : فقام الأحنف بن قيس فقال : إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء وإنا ان نثنى حتى نبتلى . فقال له زياد : صدقت .

فقام أبو بلال مرداس بن أدية[2] وهو يهمس ويقول : أنبأنا الله بغير ما قلت قال الله « وابرهيم الذى وَفَّى ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَأَنْ لَيْسَ للإِنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى » وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم . والمطيع بالعاصى ،

---

(١) أذلاله : على حاله التى هو عليها (٢) كان في الأصل : ابن أمية. وليس بصواب والصحيح ما أثبتناه . وأبو بلال مرداس بن أدية هذا هو رأس كل حرورى . خرج على الدولة الاموية فبعث إليه عبيد الله بن زياد عباد بن علقمة المازنى فقاتله بتوج وقتل مرداس . فقال عمران بن حطان يذكره :

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

والمقبل بالمدبر . فسمعها زياد فقال : إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفى صحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً

خَلَّاد بن يزيد الأرقط قال: سمعت من يخبر أن الشَّعبيَّ قال : ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسىء ، إلا زياداً، فانه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً

أبو الحسن المدائنى قال : قال الحسن : أوعد عُمرُ فعفا ، وأوعد زياد فابتلى . قال : وقال الحسن : تشبه زِيادٌ بِعُمَرَ فأفرط ، وتشبه الحجاج بزيادٍ فأهلك الناس

قال أبو عثمان : قد ذكرنا من كلام رسول الله ﷺ وخطبه صدراً ، وذكرنا من خطب السلف جملا ، وسنذكر من مقطعات الكلام وتجاوب البلغاء ومواعظ النساك ، ونقصد من ذلك الى القصار دون الطوال ليكون ذلك أخف على القارئ وأبعد من السآمة والملال ، ثم نعود بعد ذلك الى الخطب المنسوبة الى أهلها ان شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله

﴿ مقطعات من كلام البلغاء ومواعظ النساك ﴾

قال أبو الحسن المدائنى : قدم عبد الرحمن بن سليم الكلبى على المُهلب بن أبى صُفرة فى بعض أيامه مع الأزارقة فرأى بَنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال : آنس الله الاسلام بتلاحقكم ، فوالله لئن لم تكونوا أسباطَ نُبوة إنكم لأسْباط مَلحمة .

قال أبو الحسن : دخل الهُذيل بن زُفر الكلابى على يزيد بن المُهلب فى حِمالات لزمته ، ونوائب نابته فقال : أصلحك الله ، إنه قد عظم شأنك عن أن يُستعان عليك ، ولست تصنع شيئاً من المعروف إلا وأنت أكبر منه ، وليس العجب بأن تفعل ولكن العجب بأن لا تفعل . فقال يزيد : حاجتك . فذكرها فأمر بها وأمر له بمائة ألف درهم ، فقال أما الحمالات فقد قبلتها ، وأما المال فليس هذا موضعه

عيسى بن يزيد بن دأب عمن حدثه عن رجل كان يجالس ابن عباس قال :

قال عثمان بن أبي العاص الثقفي لبنيه : يا بني : إني قد أجدتكم في أمهاتكم ، وأحسنت في مهنة أموالكم ، وإني ما جلست في ظل رجل من ثقيف أشتم عرضه والناكح مفترس . فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه . والعرق السوء قلّما يُنجب ولو بعد حين . قال : فقال ابن عباس : يا غلام اكتب لنا هذا الحديث

قال : ولما عمت ثقيف بالارتداد قال لهم عثمان : معاشر ثقيف ، لا تكونوا آخر العرب اسلاما . وأولهم ارتداداً .

قال : وسمعت أعرابيا ذكر يوما قريشا فقال : كفى بقريش شرفا أنهم أقرب الناس نسبا برسول الله ﷺ وأقربهم بيتا من رسول الله .

الأصمعي قال : قيل لعَقيل بن عُلفَة : لم تَهيج قومك ؟ قال : الغنم إذا لم يصفرلها لم تشرب . قال: وقيل لعَقيل بن عُلفة : لم لا تطيل الهِجاء ؟ قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق

قال: وسأل عمر رضي الله عنه عَمرو بنَ معديكرب عن سَعد فقال: كيف أميركم؟ قال : خير أمير نَبطيٌّ في حبوته ، عربيٌّ في نمرته ، أسد في نامورته [1] يعدل في القضية ، ويقسم بالسوية ، وينفر بالسَّرية ، وينقل إلينا حقنا كما تَنقل الذَّرَّة . فقال عمر : لشد ما تقارضتما الثناء

ولما تورد الحارث بن قَيس الجهضمي بعبيد الله بن زياد منزلَ مسعود بن عمرو العتكي عن غير إذن فأراد مسعود إخراجه من منزله قال عبيد الله . قد أجارتني بنت عمك عليك ، وعقدها العقد الذي يلزمك ، وهذا ثوبها عليّ ، وطعامها في مذاخري[2] وقد التف عليّ منزلك . وشهد له الحارث بذلك

مر الشَّعبي بناس من الموالي يتذاكرون النحو ، فقال : لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده

(١) نبطي في حبوته : أي يشبه القبطي في جلسته واحتبائه . نمرته : شملته . نامورته هنا بمعنى عرينه

(٢) مذاخري : أمعائي

وتكلم عبد الملك بن عُمَيْرٍ [١] وأعرابى حاضر فقيل له : كيف ترى هذا الكلام . قال : لو كان الكلام يؤتدم به لكان هذا . وقال : العذر طرف من البُخل . وقال أيضا : الخرس خير من الخلابة . وقال أبو عمر الضرير : ألبَكم خير من البذاء . وقدم الهيثم بن الاسود بن العُريان على عبد الملك بن مروان فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يَسودَّ ، واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ، ولان منى ما كنت أحب أن يشتد . ثم أنشد :

إسْمَعْ أُنَبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ ... نَوْمُ العِشاءِ وَسُعَالٌ بالسَّحَرْ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ ... وقِلَّةُ الطعْمِ إذَا الزَّادُ حَضَرْ
وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وتَحْمِيجُ النَّظَرْ ... وتَرْكِيَ الحَسْناءَ من قَبْلِ الطُّهُرْ
وحَذَرًا أزْدَادُهُ إلى حَذَرْ ... والنَّاسُ يَبْلُونَ كَمَا يَبْلَى الشَّجَرْ

وقال أكثم بن صيفى [٢] : الكرم حسن الفطنة ، واللؤم سوء الفطنة . وقال أكثم : تباعدوا فى الديار تقاربوا فى المودة . وقال لبنيه : تباذلوا تحابُّوا

ودخل عيسى [٣] بن طلحة بن عُبيد الله على عُروة [٤] بن الزبير وقد قطعت

---

(١) عبد الملك بن عمير : كان يكنى أبا عمرو ، ويلقب القبطى ، وأصله من لخم ، تولى قضاء الكوفة بعد الشعبى وظل فيه سنة ثم استعفى الحجاج فأعفاه . وكان بليغاً راوية وشاعراً صاحب أخبار ، وكان دميما جداً ولدمامته كان يلقبه المخنثون « منفر الغيلان » ولد سنة ٣٣ هـ ٦٥٦ م وتوفى سنة ١٣٦ هـ ٧٤٣ م

(٢) أكثم بن صيفى : هو من تميم من بطن منهم يقال له بنى شريف . حكيم من حكماء العرب ، وخطيب من خطبائهم ، أدرك البعثة ولم يسلم ، وكان يحرض قومه على اتباع الرسول ﷺ عاش ١٩٠ سنة وهو القائل :

وإن امرأ قد عاش تسعين حجة ... إلى مائة لم يسأم العيش جاهل
مضت مئتان غير ست وأربع ... وذلك من عد الليالى قلائل

(٣) عيسى بن طلحة بن عبيد الله : كان ناسكا بخيلا جيد الكلام وفد على عبد الملك بن مروان مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف وكلمه في عزل الحجاج عن الحجاز فعزله . توفي سنة ١٠١ هـ ٧١٩ م

(٤) عروة بن الزبير : هو ابن الزبير بن العوام يكنى أبا عبد الله . كان فقيها .

رجله فقال له عيسى : والله ما كنا نُعدّك للصراع . ولقد أبقى الله لنا أكثرك : أبقى لنا: سمعك، وبصرك، ولسانك، وعقلك، ويديك، وإحدى رجليك . فقال له عروة : والله يا عيسى ما عزانى أحد بمثل ما عزيتنى به

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : اقرؤا القرآن تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله . ولن يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله . ولن يقرّب من أجل ، ولن يباعد من رزق ، أن يقوم رجلٌ بحق أو يذكر بعظيم

وقال أعرابى لهشام بن عبد الملك : أنت علينا ثلاثة أعوام : فعام أكل الشحم ، وعام أكل اللحم ، وعام انتقى العظم ، وعندكم أموال ، فإن كانت لله فادفعوها إلى عباد الله ، وإن كانت لعباد الله فادفعوها اليهم ، وإن كانت لكم فتصدّقوا بها عليهم، فإن الله يجزى المتصدقين . قال : فهل من حاجة غير ذلك . قال: ما ضربت إليك أكباد الابل أدّرع الهجير وأخوض الدُّجى لخاص دون عام

قال شداد الحارثى ، ويكنى أبا عبيد الله : قلت لأمة سوداء بالبادية : لمن أنت يا سوداء ؟ قالت : لسيد الحضر يا أصلع . قال: قلت : ما غضبك من الحق ؟ قالت : الحق أغضبك ، لا تسبب ترهب ، ولأن تتركه أمثل

وقال الأصمعى : قال عيسى بن عمر : قال ذو الرمة : قاتل الله أمَة آل فلان ما كان أفصحها ! سألتها : كيف كان المطر عندكم . قالت : غثنا ما شئنا .

وأنا رأيت عبداً أسود لبنى أسيد قدم عليهم من شق اليمامة ، فبعثوه ناطوراً ، وكان وحشيًّا محرماً لطول تغربه كان فى الإبل وكان لا يلقى إلا الاكرة فكان

فاضلا وصبوراً جلداً . أصابته أكلة في رجله وهو عند الوليد بن عبد الملك فقطعت رجله والوليد حاضر فلم يتحرك ولم يشعر الوليد بقطعها حتى كويت وشم رائحة الكى ، وبقى بعد ذلك ثمان سنين . واحتفر بئراً بالمدينة يقال لها بئر عروة ليس بالمدينة بئر أعذب منها . مات بضيعة له قرب المدينة سنة ٩٤ هـ ٧١٢ م

لا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم . فلما رآني سكن إليَّ وسمعته يقول : لعن الله بلاداً ليس فيها عرب ، قاتل الله الشاعر حيث يقول : حُرُّ الثَّرَى مُسْتَغْرَبُ التُّرَابِ .

أبا عثمان : إن هذه العرب في جميع الناس ، كمقدار القُرحة في جميع جلد الفرس ، فلولا أن الله رقّ عليهم فجعلهم في حاشيةٍ لطمست هذه العُجمان آثارهم ، أترى الأعيار إذا رأت العتاق [1] لا ترى لها فضلا ؟ والله ما أمر الله نبيه بقتلهم إلا لضنه بهم ، ولا ترك قبول الجزية منهم إلا تنزيها لهم .

قال الاحنف : أسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياءً من الفرار .

ولما مات أسماء بن خارجة الفزاري فبلغ الحجاج موته قال : هل سمعتم بالذي عاش ثم مات حين شاء .

وقال سلم بن قتيبة : ربَّ المعروف أشد من ابتدائه [2]

أبو هلال عن قتادة قال : قال أبو الاسود [3] : إذا أردت أن تكذب صاحبك فتقنه . وقال أبو الاسود : إذا أردت أن تعظم فمت . وقال أبو الاسود : إذا أردت أن تفحم عالما فأحضره جاهلا .

قيل لاعرابي : ما يدعوك إلى نَومة الضُّحَى ؟ قال : مَبردة في الصيف، مَسخنة في الشتاء .

وقال أعرابي آخر: نومة الضحى مَعجزة مَبخرة . وجاء في الحديث : « الولد مَجبنة مَبخلة » .

---

(١) الأعيار : الحمير . العتاق : الخيل الأصائل (٢) رب المعروف : تعهده واصلاحه

(٣) أبو الأسود : هو ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي الكناني أول من وضع العربية ، وكان شاعراً مجيداً وعاقلا حازماً مبخلا . شهد صفين مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وولي البصرة لابن عباس ، وبها فلج وقد أسن . وكان يقول لولده : لا تجاودوا الله فانه أجود وأمجد ، ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم حتى لا يكون محتاج لفعل ، ولا تجهدوا أنفسكم في التوسعة فتهلكوا هزالا . وسمع رجلا يقول : من يعشي الجائع ؟ فعشاه ثم ذهب القائل ليخرج فقال له : هيهات ، على أن لا تؤذي المسلمين الليلة . ووضع رجله في الأدهم . مات بالبصرة سنة ٦٩ هـ ٦٨٨ م

ونظر أعرابى إلى قوم يلتمسون هلال رمضان فقال : أما والله لئن تُرتموه لتُمسكنّ منه بِذُنَابَى عَيش أغبر

وقال أسماء بن خارجة : اذا قدُمت المصيبة تركت التعزية . وقال : إذا قدم الاخاء قبح الثناء .

وقال اسحق بن حسان : لاتشمّت الامراء ، ولا الاصحاب القدماء [1]

وسئل أعرابى عن راع له فقال : هو السارح الآخر ، الرائح الباكر ، الحالب العاصر ، الحاذق الكاسر

وقال عتبة بن أبى سفيان [2] لعبد الصمد مؤدب ولده : ليكن أول ماتبدأ به من اصلاح بنىّ إصلاح نفسك ، فان أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم مااستحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم كتاب الله ، ولاتكرههم عليه فيملوه ، ولاتتركهم منه فيهجروه ، ثم روّهم من الشعر أعفّه ، ومن الحديث أشرفه . ولاتخرجهم من علم الى غيره حتى يُحكموه ، فان ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم . وتهددهم بى وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لايعجل بالدواء قبل معرفة الداء . وجَنِّبْهم محادثة النساء . وروّهم سِيَر الحكماء . واستزدنى بزيادتك إياهم أزدك . وإياك أن تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك . وزد فى تأديبهم أزدك فى برى إن شاء الله تعالى .

---

(١) يعنى إذا عطس أحدهم فلا تقل له : يرحمك الله

(٢) عتبة بن أبى سفيان : هو أخو معاوية شهد الجمل مع عائشة . وكان خطيباً بليغاً إلا أنه كان يضعف . ولاه معاوية مصر فبلغته أمور عن أهلها فصعد المنبر مغضباً وقال: أيا حاملين الأثم أنوف ركبت بين أعين ، إنما قلمت أظفارى عنكم ليلين مسى إياكم ، وسألتكم صلاحكم لكم إذ كان فسادكم راجعاً عليكم ؛ فأما إذا أبيتم إلا الطعن فى الولاة ، والتنقص للسلف ،فو الله لأقطعن على ظهوركم بطون السياط ، فان حسمت داءكم وإلا فالسيف من ورائكم ، فكم من موعظة منا لكم مجتها قلوبكم ، وزجرة صمت عنها اذانكم ، ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذ جدتم لنا بالمعصية ، ولا أويسكم من مراجعة الحسنى إن صرتم إلى التى هى أبر وأتقى

محمد بن حرب الهلالى قال : كتب ابرهيم بن أبى يحيى الاسلمى إلى المهدى يعزيه على ابنته : أما بعد فان أحق من عرف حق الله عليه فيما أخذ منه، من عظم حق الله عليه فيما أبقى له . واعلم أن الماضى قبلك هو الباقى لك ، وأن الباقى بعدك هو المأجور فيك ، وأن اجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه .

وقال سهل بن هرون : التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة

وقال صالح بن عبد القدوس :

إنْ يَكُنْ مَا بِهِ أُصِبْتَ جَلِيلاَ فَذَهَابُ العَزَاءِ فِيهِ أَجَلُّ
كُلُّ آتٍ لاَشَكَّ آتٍ وَذُو الْجَهْـ ـلِ مُعَنًّى وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ فَضْلُ

وقال لقمان لابنه : يابنى إياك والكسل والضجر ، فانك إذا كسلت لم تؤد حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق .

وكان يقال : أربع لاينبغى لاحد أن يأنف منهن وان كان شريفا أو أميراً: قيامه من مجلسه لابيه ، وخدمته لضيفه ، وقيامه على فرسه ، وخدمته للعالم . وقال بعض الحكماء : اذا رغبت فى المكارم فاجتنب المحارم . وكان يقال . لاتغتر بمودة الامير إذا غشك الوزير . وكتب آخر : أما بعد فقد كنت لنا كلك فاجعل لنا بعضك ، ولا ترض الا بالكل منا لك .

ووصف بعض البلغاء اللسان فقال : اللسان أداة يظهر بها حسن البيان ، وظاهر يخبر عن الضمير ، وشاهد ينبئك عن غائب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الحقائق ، ومعز ينفى به الحزن ، ومؤنس تذهب به الوحشة ، وواعظ ينهى عن القبيح ، ومزين يدعوا الى الحسن ، وزارع يحرث المودة ، وحاصد يستأصل الضغينة ، وملهِ يونق الاسماع [1] .

(١) فى نسخة : وملهم يوفق الأسماع . وليس لذلك من معنى صحيح فى هذا المقام ، والصواب ما أثبتناه

وقال بعض الأوائل : إنما الناس أحاديث، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثاً فافعل .

ولما وصل عبد العزيز بن زرارة إلى معاوية قال : يا أمير المؤمنين ، لم أزل أستدل بالمعروف عليك ، وأمتطى النهار إليك ، فاذا ألوى بى الليل فقبض البصر، وعفى الأثر، أقام بدنى وسافر أملى . والنفس تلوم والاجتهاد يعذر ، وإذ بلغتك فقَطْنِى (١)

وقال لقمان : ثلاثة لا يُعرفون إلا فى ثلاثة مواطن : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا فى الحرب ، ولا تعرف أخاك إلا عند حاجتك اليه

وقال أبو العتاهية :

أنتَ مَا استَغْنَيْتَ عَنْ صَا حِبِكَ الدَّهْرَ أخُوهُ
فإذَا احْتَجتَ إلَيْهِ ساعَةً مَجَّكَ فوهُ

وقال على بن الحسين لابنه : يا بنى اصبر على النائبة ، ولا تتعرض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى شىء ضرره عليك أعظم من منفعته له

وقال الاحنف : من لم يصبر على كلمةٍ سمع كلمات . وقال : رُبَّ غيظ تجرعته مخافة ماهو أشد منه . وقال : من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن طال صمته كثرت سلامته

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التَّنقل

وقال محمد بن حرب الهلالى عن أبى الوليد الليثى قال : خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظَّرِب العَدوانى ابنته عَمرة، وهى أم عامر بن صعصعة، فقال: يا صعصعة ، إنك أتيتنى تشترى منى كبدى وأرحم ولدى عندى ، أبغيتك أو زودتك ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب ، وقد انكحتك خشية أن لا أجد مثلك ، أفرّ من السر إلى العلانية أنصح أبنا وأودع ضعيفاً قويا، يا معشر عَدوان ، خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة ولا رغبة ،

(١) يكفينى

أقسم لو قسم الحظوظ على قدر الجدود ما ترك الأول للاخر ما يعيش به .

وقال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه : أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الابل لكنّ لها أهلا : لايرجونّ أحدكم إلاّ ربه ، ولا يخافنّ إلا ذنبه ولا يستحى أحد إذا سئل عما لايعلم أن يقول : لا أعلم ، وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه . واعلموا أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فاذا قطع الرأس ذهب الجسد ، وكذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان . وقال الأصمعى : أثنى رجل على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فأفرط ، فقال على — وكان يتهمه — أنا دون ماتقول ، وفوق مافى نفسك . وقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه : قيمة كل إنسان ما يُحسن . وقال له مالك الاشتر : كيف وجد أمير المؤمنين امرأته ؟ قال : كالخير من النساء إلا أنها قباء ، قال : وهل يريد الرجل من النساء غير ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، حتى تدفىء الضجيع ، وتروى الرضيع

ووقف رجل على عامر الشعبى فلم يدع قبيحاً إلا رماه به . فقال له عامر : إن كنت كاذباً فغفر الله لك ، وإن كنت صادقاً فغفر الله لى .

وقال ابرهيم النخعى لسليمان الأعمش ـ وأراد أن يماشيه ـ فقال : إن الناس إذا رأونا معاً قالوا : أعور وأعمش قال : وما عليك أن يأثموا ونؤجر ؟ قال ابرهيم : وما عليك أن يسلموا ونسلم ؟

قال أبو الحسن : كان هشام بن حسان إذا ذكر يزيد بن المهلب قال : إنه كانت السفن لتجرى فى جوده . قال : مكتوب فى الحكمة : التوفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير قرين ، والوحدة خير من قرين السوء

وكان مالك بن دينار يقول : ما أشد فطام الكبير ! وينشد قول الشاعر :

وَتَرُوضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمَتْ وَمِنَ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرِمِ

وقال صالح المرى : كن إلى الاستماع أسرع منك إلى القول ، ومن خطأ الكلام أشد حذراً من خطأ السكوت

وقال الحسن بن هانىء :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامِ

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خيرٌ لكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السالِمُ مَنْ أَلْجَمَ فاهُ بِلجام
رُبَّما اسْتَفْتَحْتَ بِالْمِـ ـزحِ مَغَالِيقَ الْحِمامِ

قال أبو عبيدة وأبو الحسن: تكلم جماعة من الخطباء عند مَسلمة بن عبد الملك فأسهبوا فى القول . ثم اقترع المنطقَ رجل من أُخريات الناس لا يخرج من حَسَنٍ إلاَّ إلى أحسن منه . فقال مَسلمةُ : ما شبهت كلام هذا بِعَقِبِ كلام هؤلاء إلا بسحابة لبدت عجاجة .

قال أبو الحسن : علم اعرابى بنيه الخراءة فقال : اتبعوا الخلاء ، وابعدوا من الملاء، واعلوا الضراء، واستقبلوا الريح، وأخفوا فجاج النعامة [1] وامتسحوا بأشملكم.

ويروى عن الحسن أنه قال: لما حضرت قَيسَ بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال : يا بنى احفظوا عنى ، فلا أحد أنصح لكم منى : إذا مت فسوِّدُوا كباركم ، ولا تسوّدوا صِغاركم فيسفّه الناس كباركم وتهونوا عليهم . وعليكم باستصلاح المال ، فانه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم . وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر كسب الرجل

سئل دَغْفل النسابة عن بنى عامر بن صعصعة قال : أعناق ظِباء ، وأعجاز نساء . قيل : فتميم . قال : حجر أخشن ، إن دنوت منه آذاك ، وإن تركته أعفاك . قيل : فلبن . قال : سيد وأنوك

وكانوا يقولون : لا تستشيروا معلماً ولا راعى غنم، ولا كثير القعود مع النساء

عفان بن شيبة قال : كنت رديف أبى ، فلقيه جرير على بغل فحياه أبى وألطفه فقلت له : أبعد ما قال لنا ما قال ؟ قال : يا بنى أفوسع جرحى ؟ قال: ودعا جرير رجلا من شعراء بنى كلاب إلى مهاجاته ، فقال الكلابى : إن نسائى بأمتعتهن ، ولم تدع الشعراء فى نسائك مُترقعاً . وقال جرير : أنا لا أبتدى ولكنى أعتدى

وكان الحسن فى جنازة فيها نوائح ومعه رجل ، فهمّ الرجل بالرجوع ، فقال

(١) أخفوا فجاج النعامة : أى باعدوا بين أرجلكم كما تفعل النعامة حينما ترمى بصومها

الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسنا أسرع ذلك فى دينك .

قال أبو عبيدة : لقى المخبل القريعى الزبرقان فقال : كيف كنت بعدى أبا شذره ؟ قال : كما يسرك محيلا مجرباً .

قال: وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع أبو زُرعة — يعنى روح بن زِنباع — طاعة أهل الشام ، ودهاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز

وذُكر لعمر بن الخطاب إتلاف شباب من قريش أموالهم، فقال عمر: خرقة[1] أحدهم أشد علىّ من عيلته . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : حرفة يعاش بها خير من مسألة الناس .

وقال زياد : لو أن لى ألف ألف درهم ولى بعير أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره ، ولو أن عندى عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمنى حق لوضعتها فيه

وقال عمرو بن العاص : البِطنة تُذهب الفطنة .

وقال معاوية بن أبى سفيان : ما رأيت رجلا مستهتراً بالباءة إلا تبينت ذلك فى مُنته

قال الأصمعى: قال أبو سليمان الفقعسى لاعرابى من طيء : أبامرأتك حَمل؟ قال : لا وذو بيته فى السماء ، ما أدرى والله ما لها ذنب تشال به ، وما أتيتها إلا وهى ضبعة

قال أبو الحسن المدائنى : اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً بخراسان فى داره ، فلما ولى قُتيبة خراسان جعل ذلك لابله ، فقال له مَرزبان مَروان : هذا كان بستانا ليزيد وقد اتخذته لابلك ! فقال قُتيبة : إن أبى كان أشتربان — يعنى رئيس الجمالين — وأبو يزيد كان بستان بان .

وقال الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان يوماً : لو كان رجل من ذهب لكنتُه ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لم تلدنى أمة بينى وبين آدم ماخلا

(١) خرقة يريد إن تجرد أحدهم من صنعة يحسنها أشد عليه من عيلته أى من فقره

هاجر . فقال : لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب

ومات ابن لعبيد الله بن الحسن فعزاه صالح المرى فقال : إن كانت مصيبتك فى ابنك أحدثت لك عظة فى نفسك فمصيبتك فى نفسك أعظم من مصيبتك فى ميتك .

وعزّى عَمرُو بنُ عُبيد أخاه على ابنٍ مات له فقال : ذهب أبوك وهو أصلك ، وذهب ابنك وهو فرعك ، فما حال الباقى بعد ذهاب أصله وفرعه ؟

وكان يزيد بن عمر بن هُبيرة[1] يقول : احذفوا الحديث كما يحذفه مُسلم ابن قُتيبة .

وقال رجل من بنى تميم لصاحب له : أصحب من يتناسى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه .

وعذل عاذلٌ شُعيب بن زياد على شرب النبيذ ، فقال : لا أتركه حتى يكون شر عملى .

وقال المأمون : أشربه ما استبشعته حتى إذا سهل عليك فاتركه

وقال النبى ﷺ « إذا كتب أحدكم فليترب كتابه ، فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة » ونظر ﷺ إلى رجل فى الشمس فقال : « تحول إلى الظل فانه مبارك »

---

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى : كان أميراً جليلا وسيداً شريفا ، تولى العراقين لمروان بن محمد خمس سنين وكان شجاعاً باسلا وجواداً كريماً ، واسع المروءة عظيم الخطر ، كان يقسم على زواره فى كل شهر خمسماية الف (درهم) ويعشى كل ليلة من شهر رمضان ثم يقضى للناس حوائجهم . ولما ظهرت الدعوة العباسية صمد لها وحاول مقاومتها فهاجمه قحطبة بن شبيب الطائى فى جموعه وألجأه إلى التحصن بواسط فيمن معه ، ولما تمت البيعة لأبى العباس السفاح ولى أخاه أبا جعفر على واسط ، فقام أبو جعفر على حصار يزيد بن عمر بها تسعة أشهر ثم افتتحها صلحا وخرج إليه يزيد في ركب من آل بيته بأمان منه فكان أبو جعفر يقول : لا يعز ملك هذا فيه . ثم غدر به وقتله هو وولده داود سنة ١٣٢ هـ ٧٥٩ م

وقال المغيرة بن شُعبة :[١] لا يزال الناس بخير ماتعجبوا من العجب . وكان يقال : ترك الضحك من العجب أعجب من الضحك من غير العجب

وقدم سعيد بن العاص[٢] على معاوية فقال : كيف تركت أبا عبد الملك[٣] ؟

(١) المغيرة بن شعبة، يكنى أبا عبد الله . وهو من ثقيف ، قيل أنه صحب قوماً من المشركين إلى مصر فقتلهم غيلة وأخذ مامعهم ثم لحق بالنبي وأسلم وشهد بيعة الرضوان كما شهد اليمامة وفتوح الشام واليرموك والقادسية . وكان من الصحابة الأجلاء ، والأمراء النبلاء ، والقادة البسلاء ، ولاه عمر بن الخطاب البصرة فافتتح ميسان ومنها جاء بالسبي الذى كان فيه والدا الحسن البصرى ومحمد بن سيرين . وافتتح است ميسان وابرقباذ وسوق الأهواز وهمذان ، وشهد نهاوند وكان على ميسرة النعمان بن مقرن . وهو أول من وضع ديوان البصرة . وأول من سلم عليه بالامرة . وأول من رشا في الاسلام ، يعنى أنه رشا حاجب عمر ليسهل له الاذن عليه . وذهبت عينه في إحدى الوقائع . ولما حضرته الوفاة قال : اللهم هذه يمنى بايعت بها نبيك ، وجاهدت بها فى سبيلك . مات بالطاعون في الكوفة وهو أميرها سنة ٥٠ هـ ٦٧٠ م

(٢) سعيد بن العاص يكنى أبا عثمان : كان سيداً من سادات بنى أمية . قتل أبوه العاص بن سعيد مشركا يوم بدر ، وكان سعيد غلاماً فكساه النبي جبة ، وإليه تنسب الثياب السعيدية . وكان شجاعاً باسلا . وهو أول من خش الابل في العظم . مات سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ م

(٣) أبو عبد الملك : هو مروان بن الحكم : ولد لسنتين من الهجرة . وكان من عثمان بن عفان بمكان الوزير والمستشار ، وكانت تصرفاته سبباً فى الفتنة التى قتل فيها عثمان والتى جرت على الاسلام من المصائب والنكبات ما هو معروف ومدون فى بطون التواريخ . ولاه عبد الله بن عامر رستاقا من أردشير خرة ، ثم ولاه معاوية البحرين ثم المدينة مرتين . ولما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الشام مروان بالخلافة . وبايع لعبد الله بن الزبير أهل البصرة كما اجتمعت له العراق والحجاز واليمن ومصر . وبايعه سرا الضحاك بن قيس الفهرى بالشام والنعمان بن بشير بحمص وزفر بن الحارث الكلابي بقنسرين لولا أن مروان بن الحكم نازعه الأمر واجتمعت به بنو أمية وصار الناس في الشام فرقتين تؤيد منهم اليمانية مروان وتؤيد القيسية الضحاك بن قيس مبايعين لابن الزبير، واقتتل الفريقان بمرج راهط فقهر مروان الضحاك وقتله . وكانت

قال : منفذاً لأمرك ، ضابطا لعملك . فقال معاوية : إنما هو كصاحب الخبزة كُفى إنضاجها فأكلها . فقال سعيد : كلا إنه بين قوم يتهادون فيما بينهم كلاماً كوقع النبل سهماً لك وسهما عليك . قال : فما باعد بينك وبينه ؟ قال : خفته على شرفى وخافنى على مثله . قال : فأى شيء كان له عندك فى ذلك ؟ قال : أسوءه حاضراً وأسره غائباً . قال : يا أبا عثمان، تركتنا فى هذه الحروب ! قال : نعم، تحملت الثقل ، وكفيت الحزم ، وكنت قريباً لو دُعيت لأجبت، ولو أمرت لأطعت. قال معاوية : يا أهل الشام هؤلاء قومى وهذا كلامهم

قال: وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمرو العتكى فلما أثنى الوفد على الحجاج عند عبد الملك ـ والحجاج حاضر ـ قال زياد : يا أمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذى لا ينبو ، وسهمك الذى لا يطيش ، وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم . فلم يكن بعد ذلك أحد أخف على قلبه منه

وقال شَبيب بن شيبة لمسلم بن قتيبة : والله ما أدرى أى يوميك أشرف : أيوم ظفرك أم يوم عفوك ؟ وقال غلام لأبيه ـ وقد قال : لست لى ابنا ـ : والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ، ولأنت أشد تحصيناً لأمى من أبيك لأمك

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين إلى رجل من اخوانه :

أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ، ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ، ثم أعقبتنى جفاء من غير ذنب ، فأطمعنى أولك فى إخائك ، وآيسنى آخرك فى وفائك ، فلا أنا فى اليوم مجمع لك اطراحا ، ولا أنا فى غد واثق بانتظاره منك على ثقة، فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشك فيك ، فأقمنا

ولاية مروان بالغلب عشرة أشهر. وكان قد تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية لخوفه من خالد . فاتفق أن شتم مروان خالداً شتماً قبيحاً تناول به أمه فلما بلغها ذلك صبرت عليه حتى كان معها وتركته إلى أن نام فوضعت على وجهه وسادة وقعدت على وجهه هي وجواريها حتى مات . وكان سنه إذ ذاك ٦٣ سنة ، وموته سنة ٦٥ هـ ٦٨٤ م

على ائتلاف ، أو افترقا على اختلاف . والسلام

﴿ كتاب عبد الله بن معاوية بن جعفر الى أبي مسلم يستعطفه ﴾

وكتب إلى أبي مسلم صاحب الدعوة [١] من الحبس :

من الأسير في يديه بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه . أما بعد فآتاك الله حفظ الوصية، ومنحك نصيحة الرعية ، وألهمك عدل القضية ، فانك مستودع ودائع ، ومولى صنائع ، فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك ، فالودائع عارية ، والصنائع مرعية. وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها . ولا بمبلوغ مداها . فنبه للتفكير قلبك ، واتق الله ربك ، وأعط من نفسك من هو تحتك ما تحب أن يعطيك من هو فوقك من العدل والرأفة والأمن من المخافة . فقد أنعم الله عليك بأن فوض أمرنا إليك، فاعرف لنا لين شكر المودة ، واغتفار مس الشدة ، والرضا بما رضيت، والقناعة بما هويت . فان علينا من سُمك الحديد وثقله أذى شديد ، مع معالجة الاغلال، وقلة رحمة العمال ، الذين تسهيلهم الغلظة ، وتيسيرهم الفظاظة ، وإيرادهم علينا الغموم ، وتوجيههم الينا الهموم ، زيارتهم الحراسة ، وبشارتهم الإياسة . فاليك بعد الله ترفع كربة الشكوى ، ونشكو شدة البلوى ، فمتى تمل إلينا طرفاً ، وتولنا منك عطفا ، تجد عندنا نصحاً صريحاً ، وودا صحيحاً ، لا يضيع مثلك مثله ، ولا ينفى مثلك أهله . فارع حرمة من أدركت بحرمته ، واعرف حجة من فلجت بحجته ، فان الناس من حوضك رواء ، ونحن منه ظماء ، يمشون في الابراد ، ونحن نحجل في الأقياد ، بعد الخير والسعة ، والخفض والدعة ، والله المستعان وعليه التكلان ، صريح الاخبار منجى الأبرار . الناس من دولتنا في رخاء ، ونحن

(١) أبو مسلم صاحب الدعوة : هو أبو مسلم الخراساني القائم بالدعوة العباسية والممهد لملك العباسيين . نشأ في كنف ادريس بن عيسى جد أبي دلف العجلي . وكان قائداً محنكا ذا دهاء وتدبير ، وشجاعاً باسلا . قام بأمر الدعوة العباسية خير قيام ، وما زال بها حتى مكن لهم وجعل بين أيديهم ملكا عظيماً . ثم أوجس منه أبو جعفر المنصور خيفة فتعلل عليه وغدر به . ولد سنة ١٠٠ هـ ٧١٨ م وقتل سنة ١٣٧ هـ ٧٥٤ م

منها فى بلاء ، حين أمن الخائفون ، ورجع الهاربون . رزقنا الله منك التحنن ، وظاهر علينا من التمنن ، فإنك أمين مستودَع ، ورائد مستصطفى ، والسلام ورحمة الله

قال هشام بن الكلبى : حدثنا خالد بن سعيد عن أبيه قال : شكت بنو تغلب السنة إلى معاوية فقال : كيف تشكون الحاجة مع ارتجاج البكارة ، واختلاف المهارة ؟

﴿ كتاب معاوية إلى قيس بن سعد[1] ﴾

وقال ابن الكلبى : كتب معاوية إلى قيس بن سعد : أما بعد فإنك يهودى ابن يهودى ، إن ظفر أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك ، وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك ونكّل بك . وكان أبوك وتَّر قوسَه ورمى غير غرضه ، فأكثر الحز وأخطأ المفصل ، فخذله قومه وأدركه يومه ، ثم مات طريداً بحوران . والسلام

﴿ جواب قيس بن سعد لمعاوية ﴾

فكتب إليه قيس بن سعد :

أما بعد فانما أنت وثن بن وثن ، دخلت فى الاسلام كُرهاً ، وخرجت [منه] طوعا لم يَقْدُم إيمانك ، ولم يَحدُث نِفاقك . وقد كان أبى وتّر قوسه ورمى غرضه ، وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ، ولم يشق غباره ، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه ، وأعداء الدين الذى دخلت فيه . والسلام

وقال أبو عبيدة وأبو اليقظان وأبو الحسن : قدم وفد أهل العراق على معاوية وفيهم الأحنف ، فخرج الآذن فقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم أحد

(١) قيس بن سعد : هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى الأنصارى ، يكنى أبا عبد الملك ، صحابى جليل ، روى عن الرسول ﷺ وكان شجاعاً باسلا ، طويلا جسيماً ، وهو يحسب في المعلمين . تولى مصر لعلى بن أبى طالب فاحتال معاوية عليه حتى ظن به على الظنون فعزله دون تبين . توفى بالمدينة في آخر عهد معاوية سنة ٦٠ هـ ٦٧٩ م

إلا لنفسه . فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافة دفت ، ونازلة نزلت ، ونائبة نابت ، ونابنة نبتت ، كلهم بهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره . قال : حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الغائب والشاهد

وقال غَيلان بن خرشة للأحنف : ما فيه بقاء العرب ؟ قال : إذا تقلدوا السيوف ، وشدوا العمائم ، وركبوا الخيل ، ولم تأخذهم حَمِيّة الأوغاد . قال : وما حمية الاوغاد ؟ قال : أن يعدُّوا التواهب فيما بينهم ضيما . وقال عمر : العمائم تيجان العرب ، وقيل لأعرابى : ما لك لاتضع العمامة عن رأسك ؟ قال : إن شيئا فيه السمع والبصر لحقيق بالصون

وقال على رضى الله تعالى عنه . جمال الرجل فى كُمته ، وجمال المرأة فى خفها .

وقال الأحنف : استجيدوا النعال فانها خلاخيل الرجال . قال : وجرى ذكر رجل عند الاحنف فاغتابوه . فقال الأحنف : مالكم ومالـه ! يأكل رزقه ، وتحمل الأرض ثقله ، ويكفى قرنه .

مَسلمة بن مُحارب قال : قال زياد لحرقة بنت النعمان : ما كانت لذة أبيك ؟ قالت : إدمان الشراب ومحادثة الرجال .

وقال سليمان بن عبد الملك . قد ركبنا الفاره ، وتبطنا الحسناء ، ولبسنا اللين حتى استخشناه ، وأكلنا الطيب حتى أجمناه ، فما أنا اليوم إلى شىء أحوج منى إلى جليس يضع عنى مؤنة التحفظ

وأشاروا على عُبيد الله بالحقنة فتفحشها فقالوا : إنما يتولاها منك الطبيب ؟ فقال : أنا بالصاحب آنس .

وقال معاوية بن أبى سفيان لِلنَّخَّار بن أوس العُذرى : أبغنى مُحدثاً . قال : أو معى يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، أستريح منه إليك ومنك إليه .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لابى مَريم الحنفى : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم المسفوح . قال : فتمنعنى لذلك حقاً ؟ قال : لا . قال : لاضير ، إنما يأسف على الحب النساء . وقال عمر لرجل هم بطلاق امرأته : لم تطلقها ؟ قال :

لا أحبها . قال : أوكل البيوت بنيت على الحب ؟ فأين الرعاية والتذمم ؟

وأتى عبد الملك بن مروان برجل فقال : زُبيرى حُميرى ، والله لايحبك قلبي أبداً . قال : ياأمير المؤمنين ، إنما تبكى على الحب المرأة ، ولكن عدل وانصاف

عبد الله بن المبارك عن هشام بن عُروة قال : نازع مَروانُ ابنَ الزبير[1] عند معاوية فرأى ابنُ الزبير أن ضلع معاوية مع مَروان فقال ابن الزبير : يا أمير المؤمنين إن لك حقاً وطاعة علينا ، وإن لك بَسطة وحُرمة فينا ، فأطع الله تطعك فانه لاطاعة لك علينا إلا فى حق الله ، ولا تُطْرق إطراق الأفعوان فى أُصول السخبر

أبو عبيدة قال : قيل لشيخ مرة . ما بقى منك ؟ قال : يسبقنى من بين يدى ، ويلحقنى من خلفى ، وأنسى الحديث ، واذكر القديم ، وأنعس فى الملاء ، وأسهر فى الخلاء ، وإذا قمت قَرُبَتِ الارض منى ، وإذا قعدت تباعدت عنى

الأصمعى قال : قلت لأعرابى معه ضاجعة من شاء : لمن هذه ؟ قال : هى لله عندى

ولما قتل عبد الملك بن مروان مُصعباً ودخل الكوفة قال لهيثم بن الأسود النخعى : كيف رأيت الله صنع ؟ قال : قد صنع الله خيراً ، فخفّف الوطأة وأقل التثريب .

وقال ابن عباس : إذا ترك العالم قول : لا أدرى ، أصيبت مقاتله : وكانوا يستحبون أن لايجيبوا فى كل ماسئلوا عنه . وقال ابن عمر : من قال عند مالا يدرى : لاأدرى ، فقد أحرز نصف العلم .

وقال ابن عباس : إن لكل داخل دهشة ، فآنسوه بالتحية

---

(١) عبد الله بن الزبير : هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، أمه أسماء بنت أبى بكر ، يكنى أبا بكر وأبا خبيب ، ولد بالمدينة بعد الهجرة بعشرين شهراً . وقيل هو أول مولود بها في الاسلام ، كان شجاعاً باسلا وفارساً مغواراً ، طلب الخلافة فاستولى على الحجاز والعراق واليمن ومصر تسع سنين فسير إليه عبد الملك بن مروان الحجاج ابن يوسف الثقفى فناجزه الحرب وحاصره بمكة ، وكان ابن الزبير قد بنى الكعبة وجعل لها بابين فرماها الحجاج بالنفط والنار فأحرقها ، وأصاب أبن الزبير سهم عار فمات سنة ٧٤ هـ ٦٩٣ م

واعتذر رجل إلى مسلم بن قُتيبه فقال مسلم : لا يدعونك أمر قد تخلصت منه إلى الدخول فى أمر لعلك لا تخلص منه

وكان يقال : دعوا المعاذر، فان أكثرها مفاجر .

وقال ابرهيم النخعى لعبد الله بن عوف : تجنب الاعتذار فإن الاعتذار يخالطه الكذب

واعتذر رجل إلى أحمد بن أبى خالد فقال لأبى عياد : ما تقول فى هذا ؟ قال : يوهب له جُرمه ويضرب على عذره أربعمائة . وقد قال الأول : عذره أعظم من ذنبه

وقيل لابن عباس : وُلد عُمر بن أبى ربيعة فى الليلة التى مات فيها عُمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمى باسمه . فقال ابن عباس : أى حق رفع وأى باطل وُضع

وقال عبد الله بن جعفر لابنته : يا بنية ، إياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق، وإياك والمعاتبة فانها تورث الضغينة ، وعليك بالزينة والطيب ، واعلمى أن أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب الماء .

ولما نازع ابنَ الزبير مَروان عند معاوية قال ابن الزبير : يا معاوية لا تدع مروان يرمى جماهير قريشٍ بِمَشَاقِصِهِ ، ويضرب صَفاتهم بمعاوله[1] ولولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فَراشة، وأقل فى نفوسنا من خشاشه[2] ولأن ملك أعنة خيل تنقاد له ليركبن منك طبقا تخافه . قال معاوية : إن يطلب هذا الامر فقد طمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ، وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله إليكم من لا يعطف عليكم بقرابة ، ولا يذكركم عند مُلمة ، يسومكم خَسفا ، ويوردكم تلفا . فقال ابن الزبير . إذاً والله نُطلق عِقال الحرب بكتائب تمور كرِجْلِ الجراد [3] حافاتها الاسل ، لها دوى كدوى الريح ، تتبع غِطريفا من

(١) المشاقص : الحجارة الملس الصغار . صفاتهم : صخرتهم الصماء (٢) الخشاشة : الحشرة (٣) كرجل الجراد : كجماعات الجراد

قريش لم تكن أمه براعية ثَلة . قال معاوية : أنا ابن هند ، أطلقت عِقال الحرب فأكلت ذروة السنام ، وشربت عُنفوان المكرع ، وليس للآكل إلا الفلذة ولا للشارب الا الرنق (١)

بكر بن الاسود : قال الحسن بن على لحبيب بن مَسلمة : رب مَسير لك فى غير طاعة الله . قال : أما مَسيرى إلى أبيك فلا . قال . بلى ، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة ، فلعمرى لئن كان قام بك فى دنياك لقد قعد بك فى دينك ، ولو انك إن فعلت شرا قلت خيراً كنت كما قال الله تعالى « خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً » ولكنك كما قال الله تعالى « كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »

قال أبو الحسن : سمعت أعرابياً فى المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث وخمسين ومائة وهو يقول : أما بعد فإنا أبناء سبيل ، وأنْضاء طريق ، وفُل سنة : تصدقوا علينا ، فانه لاقليل مع الأجر ، ولا غني عن الله ، ولا عمل بعد الموت . أما والله إنا لنقوم هذا المقام وفى الصدر حزازة ، وفى القلب غصة

وقال الاحنف بخراسان . يابنى تميم ، تحابُّوا تجتمع كلمتكم ، وتباذلوا تعتدل أموركم ، وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم . ومن كلام الأحنف السائر فى أيدى الناس : إلزم الصحة يلزمك العقل .

وقال خالد بن صَفوان ، وسئل عن الكوفة والبصرة : نحن منا بتناقصب ، وأنهارنا عَجب ، وسماؤنا رطب ، وأرضنا ذهب . وقال الأحنف : نحن أبعد منكم سَرية ، وأعظم منكم تجربة ، وأكثر منكم ذُرية ، وأغذى منكم برية .

وقال أبو بكر الهُذلى : نحن أكثر منكم ساجا ، وعاجا ، وديباجا ، وخراجا ، ونهراً عجاجا .

وكتب صاحب لابى بكر الهذلى إلى رجل يُعزيه عن أخيه . أوصيك بتقوى

(١) الرنق : الماء المشوب

الله وحده، فإنه خلقك وحده، ويبعثك يوم القيامة وحده، والعجب كيف يعزى ميت ميتاً عن ميت والسلام

وقال رجل لابن عباس: أيما أحب إليك؟ رجل قليل الذنوب قليل العمل، أو رجل كثير الذنوب كثير العمل؟ قال: ما أعدل بالسلامة شيئا

وقال آخر: حماقة صاحبي عليَّ أشد ضرر أمنها عليه. شعبة أبو بسطام قال: قال عبد الرحمن بن أبي ليلى[1]: لا أُماري أخي: فإما أن أكذبه، وإما أن أغضبه. واحتد على ابن أبي ليلى رجلٌ من جلسائه فقال ابن أبي ليلى له: اهد الينا من هذا ما شئت. فلما مات ابن أبي ليلى وعمرو بن عبيد رحمهما الله قال أبو جعفر المنصور: ما بقي أحدٌ يُستحيى منه.

ولما مات عبد الله بن عامر قال معاوية: رحم الله أبا عبد الرحمن، بمن يفاخر مسلمة بن محارب؟

وقال زياد: ما قرأت كتاب رجل قط إلا عرفت عقله فيه

أبو معشر قال: لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو ابن سعيد الأشدق قام خطيباً فقال: إن أبا ذبان قتل لطيمَ الشيطان «كذلك نُوَلِّي بعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ» ولما جاءه قتل أخيه مُصعب ابن الزبير قام خطيباً بعد خطبته الأولى فقال: إن مصعباً قدم أيره وأخر خيره، وتشاغل بنكاح فلانة وفلانة، وترك حلبة أهل الشام حتى غشيته في داره، ولئن هلك مُصعب إن في آل الزبير خلفاً منه

---

(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى: هو من ولد أحيحة بن الجلاح وكان ابن شبرمة وغيره يدفعه عن هذا النسب ويقول:

وكيف ترجى لفصل القضاء ولم تصب الحكم في نفسكا
وتزعم أنك لابن الجلاح وهيهات دعواك من أصلكا

ولي ابن أبي ليلى القضاء لبني أمية ثم لبني العباس، وكان فقيهاً مفتياً من أصحاب الرأي. مات وهو على القضاء سنة ١٤٨ هـ ٧٦٥ م

ولما قدم ابن الزبير بفتح أفريقية أمره عثمان فقام خطيباً ، فلما فرغ من كلامه قال عثمان: أيها الناس انكحوا النساء على آبائهن واخوتهن ، فإني لم أر فى ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أشبه به من هذا

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابياً يقول : اللهم اغفر لأم أوْفَى . قال : ومن أم أوفى ؟ قال : امرأتى، وإنها لحمقاء مِرغامة ، أكول ملقامة ، لا تبقى لها حامة ، غير أنها حسناء فلا تفرَك ؛ وأم غلمان فلا تترك

ودفعوا إلى أعرابية عَلَكا لتمضغه فلم تفعل فقيل لها فى ذلك فقالت : ما فيه إلا تعب الأضراس وخيبة الحنجرة

وكان أبو مسلم استشار مالك بن الهيثم حين ورد عليه كتاب المنصور فى القدوم عليه بذلك فلم يشر عليه ، فلما قُتل أبو مسلم أذكره ذلك فقال : إن أخاك ابرهيم الإمام حدث عن أبيه محمد بن على أنه قال : لا يزال الرجل يزاد فى رأيه إذا نصح لمن استشاره . فكنت له يومئذ كذلك وأنا اليوم لك كذلك

وقال الحسن : التقدير نصف الكسب ، والتودد نصف العقل ، وحُسن طلب الحاجة نصف العلم

قال رجل لعَمرو بن عُبيد : إنى لأرحمك مما يقول الناس فيك . قال : أفتسمعنى أقول فيهم شيئاً ؟ قال : لا . قال : إياهم فارحم .

ومدح نصيب أبو الحجناء عبد الله بن جعفر فأجزل له من كل صنف . فقيل له : أتصنع هذا بمثل هذا العبد الأسود ؟ فقال : أما والله إن كان جلده أسود فإن ثناءه لأبيض ، وإن شِعره لعربى ، وقد استحق بما قال أكثر مما نال ، وإنما أخذ رواحل تنضى ، وثياباً تبلى ، ومالا يفنى ، وأعطى مديحاً يُروى ، وثَناء يَبقى

وقف أعرابى فى بعض المواسم فقال : اللهم إن لك علىّ حقوقا فتصدق بها علىّ ، وللناس تَبِعات قِبَلى فتحملها عنى ، وقد أوجبت لكل ضيف قِرى ، وأنا ضيفك فاجعل قِراى فى هذه الليلة الجنة . ووقف أعرابى فسأل قوماً فقالوا له : عليك بالصيارفة . قال : هناك والله قرارة اللؤم

وقال مسلمة : ثلاثة لا أعذرهم : رجل أحفى شَعَره ثم أعفاه ، ورجل قصر ثيابه ثم أطالها ، ورجل كان عنده سرارى فتزوج حرة

أبو اسحق قال : قال حُذيفة : كن فى الفتنة كابن لَبون : لا ظهر فيركب ، ولا لبن فيحلب . وقال الشاعر ـ وليس هذا الباب فى الخبر الذى قبل هذا : ـ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّابَ تُحْلَبُ عَلْبَةٌ ... وَيُتْرَكُ ثِلْبٌ لَا ضِرَابٌ وَلَا ظَهْرُ (١)

عُتبة بن هرون قال : قلت لرؤبة : كيف خلفت ما وراءك ؟ قال : التراب يابس ، والمرعى عابس .

وقال معاوية بن أبى سفيان لابن عباس : إنى لأعلم أنك واعظ نفسه ، ولكن المصدور إذا لم ينفث جَوِى(٢)

وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود : أتقول الشعر مع النُّسك والفضل والفقه ؟ قال : لا بد للمصدور من أن ينفث .

قال أبو الذيال شُويس(٣) أنا والله العربىُّ لا أرفع الجربان ، ولا ألبس التُّبَّان ، ولا أحسن الرطانة ، ولأنا أرمى من حجر ، وما قرقنى إلا الكرم .

---

(١) الناب العلبة : الناقة المسنة . الثلب : البعير لا يصلح للضراب أى الوثوب على الناقة ، ولا للركوب (٢) الجوى : حرقة الوجد وشدته (٣) في نسخة : قال أبو الذيال قال شويس . كأن أبا الذيال وشويسا متغايران . والحق أنهما واحد . روى أبو عبيد البكرى في كتابه « التنبيه » فقال : هذا الكلام لأبى الذيال شويس الاعرابى العدوى ، وأورده على وجهه قال ـ يعنى أبو الذيال ـ : أنا ابن التاريخ . أنا والله العربى المحض ، لا أرفع الجربان ، ولا ألبس التبان ، ولا أحسن الرطانة . وإنى لأرسب من رصاصة ، وما قرقنى إلا الكرم . قال أبو عبيد : قوله : أنا ابن التاريخ : يعنى أنه ولد بسنة الهجرة . ويريد بجملة قوله : إنه أعرابى بدوى محض ، من أهل الوبر لا من أهل المدر ولا من أهل الأمصار التى تكون على الأرياف والأنهار ، فهم يتعلمون فيها السباحة ، وإنه لم يجاور العجم فيحسن رطانتهم . والأعرابى إذا قال : قدمت الريف ، فانما يريد الحضر . وأما قوله : وما قرقنى إلا الكرم ، فانه يعنى أن أباه طلب المناكح الكريمة فلم يجدها إلا فى أهله ، فجاء ولده ضاوياً . ومنه الحديث « اغتربوا لاتضووا » أى أنكحوا فى الغرائب .

أبو الحسن وغيره قال : قال عمرو بن عُتبة بن أبي سفيان للوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو بالنَّجْرَاء من أرض حمص : يا أمير المؤمنين ، إنك تستنطقني بالأُنس بك ، وأكف عن ذلك بالهيبة لك ، وأراك تأمن أشياء أخافها عليك ، أفأسكت مطيعاً أم أقول مشفقاً ؟ قال : كل ذلك مقبول منك ، ولله فينا عِلْمُ غَيب نحن صائرون إليه . ونعود فنقول . قال : فقتل بعد أيام

وكان أيوب السختياني يقول: لا يَعرف الرجلُ خطأ مُعلمه حتى يسمع الاختلاف

قال بعضهم : كنت أجالس ابن صعير في النسب (؟) فجلست إليه يوماً فسألته عن شيء من الفقه فقال : ألك بهذا حاجة ؟ عليك بذلك . وأشار بذلك إلى سعيد ابن المسيب ، فجلست اليه لا أظن أن عالماً غيره ، ثم تحولت إلى عُروة فنتفت به ثَبَجَ بحرٍ . قال : وقلت لعثمان البرى : دلني على باب الفقه . قال : اسمع الاختلاف

وقيل لأعرابي : عند من تحب أن يكون طعامك ؟ قال : عند أم صبي راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبير جائع ، أو ذي رحم قاطع .

وقال بعضهم : إذا اتسعت المقدرة نقصت الشهوة . قال قلت : فمن أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتسعت معرفته ، وبعدت همته ، وقويت شهوته ، وضاقت مقدرته . وذكر عند عائشة الشرف فقالت : كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به ، وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به .

ودخل رجل على أبي جعفر فقال له : اتق الله . فأنكر وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، عليكم نزلت ، ولكم قيلت ، وإليكم زدت .

وقال رجل عند مَسلمة : ما استرحنا من حائك كندة[1] حتى جاءنا هذا

قلت : ومعنى آخر أورده ابن منظور في لسان العرب قال : ما قرفني إلا الكرم، أي إنما جئت ضاوياً لكرم آبائي وسخائهم بطعامهم عن بطونهم . الجربان : أصله الكفاف الذي في جيب القميص والمراد به ههنا القميص نفسه . التبان : سروال صغير يستر النصف الأسفل من الجسم يتخذه الملاحون والمصارعون

(١) حائك كنده : يريد به عبد الرحمن بن الأشعث

المزونى[١] . فقال مَسلمة : أتقول هذا لرجل سار إليه فريقا قريش؟ — يعنى نفسه والعباس بن الوليد[٢] — حاول عظيما ، ومات كريماً .

عبد الله بن الحسن قال : قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : خُصصنا بخمس : فصاحة ، وصباحة ، وسماحة ، ونجدة ، وحظوة — يعنى عند النساء .

على بن مجاهد بن هِشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .

وقال الأصمعى : كُتب كتابُ حكمة فبقيت منه بقية ، فقالوا : ما نكتب فيه ؟ فقال : اكتبوا : يسأل عن كل صناعةٍ أهلُها .

وقال شبيب بن شيبة المهدى : إن الله لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحد أخوف لله منك .

قال يحيى بن أكثم[٣] سياسة القضاء أشد من القضاء . وقال : إن من إهانة العلم أن تجارى فيه كلَّ مَن جاراك .

وحمّل رقبةُ بنُ مَصقلة من خراسان رجلاً إلى أمه خمسمائة درهم فأبى الرجل أن يدفعها إليها حتى تكون معها البينة على أنها أمه . فقالت لخادم لها : اذهبى حتى تأتينا ببعض من يعرفنا . فلما أتاها الرجل برزت وقالت : الحمد لله أشكو إلى الله الذى أبرزنى وشهر بالفاقة أهلى . فلما سمع كلامها قال : أشهد أنك امه ،

---

(١) المزونى : يريد بهيزيد بن المهلب (٢) فى نسخة : ويزيد بن المهلب . وليس هنا مكان ذكره بعد أن ذكر فريق قريش ممثلين فى مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد

(٣) يحيى بن أكثم : قاضى القضاة فى عهد المأمون ، وهو من ولد أكثم بن صيفى حكيم العرب . وكان يحيى أحد أعلام الدنيا علماً وفضلا ورياسة وسياسة . وكان وزراء المأمون لا يعملون فى تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم : وكان أديباً بليغاً وخطيباً فصيحاً ، وله شعر حسن جداً . وقد حضر مع المأمون إلى مصر سنة ٢١٥ هـ وولاه المأمون قضاء مصر وحكم بها ثلاثة أيام ثم خرج مع المأمون . وتروى عنه أحداث مع الأحداث لاندرى مبلغها من الصحة . كان مولده سنة ١٥٩ هـ ٧٧٥ م وتوفى بالربذة سنة ٢٤٢ هـ ٨٥٦ م

فردى الخادم ولا حاجه بنا إلى أن تجىء البينة .

وكان الحسن يقول فى خطبة النكاح ، بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد فان الله جمع بهذا النكاح الأرحامَ المنقطعة ، والانسابَ المتفرقة ، وجعل ذلك فى سُنة من دينه ، ومنهاج واضح من أمره . وقد خطب إليكم فلان وعليه من الله نعمة .

عامر بن سعيد قال : سمعت الزبير يعزى عبد الرحمن على بعض نسائه فقال وهو قائم على قبرها : لا يصغر ربعك ، ولا يوحش بيتك ، ولا يضيع أجرك ، رحم الله متوفاك ، وأحسن الخلافة عليك

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . خير صِناعات العرب أبيات يُقدمها الرجل بين يدى حاجته ، يستميل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم .

وليم ابنَ الزبير على طول خطبته عشية عَرَفة فقال : أنا قائم وهم جلوس ، وأتكلم وهم سكوت ، ويضجرون ؟

وقال موسى بن يحيى : كان يحيى بن خالد يقول : ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها : الكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه ، والرسول على مقدار عقل مرسله ، والهدية على مقدار مهديها . وذكر أعرابى أميراً فقال : يقضى بالعَشوة ، ويطيل النشوة ، ويقبل الرّشوة .

وقال يزيد بن الوليد : إن النشوة تحل العقدة ، وتطلق الحبوة . وقال : إياكم والغِناء فانه مفتاح الزنا .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إذا توجه أحدكم فى وجهٍ ثلاث مرات فلم يُصب خيراً فليدعه .

قال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه . لا تكوننّ كمن يَعجز عن شكر ما أُوتى ، ويبتغى الزيادة فيما بَقى ، وينهى ولا يَنتهى ، ويأمر الناس بما لا يأتى ، يُحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ، ويُبغض المسيئين وهو منهم ، ويكره الموت لكثرة ذنوبه لا يدعها فى طول حياته

قال اعرابى : خرجت حيث انحدرت أيدى النجوم ، وشالت أرجلها ، فلم أزل أصدع الليـل حتى انصدع لى الفجر . وسألت اعرابيا عن مسافة ما بين بلدين فقال : عُمر ليلة ، وأديم يوم . وقال آخر : سواد ليلة أو بياض يوم . وقال بعض الحكماء : لا يضرك حب امرأة لا تعرفها

وقال رجل لأبى الدَّرداء : فلان يُقرئك السلام . فقال : هدية حسنة ، ومحمل خفيف

وسرق مزيد نافجة مسك ، فقيل له : إن كل من غل يأتى يوم القيامة بحمله على عنقه ، قال : إذاً والله أحملها طيبة الريح ، خفيفة المحمل .

قال : ومن أبخل البخل ترك رد السلام . قال ابن عمر : لعمرى إنى لأرى حق رجع جواب الكتاب كرد السلام .

وجاء رجل إلى سليمان فقال : يا أبا عبد الله ، فلان يَقرأ عليك السلام . فقال : أما إنك لو لم تفعل لكانت أمانة فى عنقك .

قال مُثنَّى بنُ زُهير لرجل : احتفظ بكتابى حتى توصله إلى أهلى . فمن العجب أن الكتاب مُلقى والسكران مؤتى . وكان عبد الملك بن حجاج يقول : لأنا للعاقل المُدْبِر أرجَى من الاحمق المُقبل . قال : وإياك ومصاحبة الاحمق فانه ربما أراد أن ينفعك فضرك .

وكتب الحجاج إلى عامل له بفارس : إبعث إلىَّ بعسل من عسل خُلاّر ، من النحل الابكار ، من الدستفشار ، الذى لم تمسه النار . وقال الشاعر :

وَمَا الْمَرْءُ إلاَّ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ ... فَفِى صالحِ الأَخْلاَقِ نَفْسَكَ فَاجْعَلِ

ونظر أبو الحارث جُمين إلى برذون يستقى عليه الماء فقال : وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ، لو أن هذا البرذون هَمْلج ما فُعل به هذا .

عمران بن هداب قال : قال مسلم بن قُتيبة : رَبَّ[1] المعروف أشد من ابتدائه

(١) رب المعروف : يعنى موالاة المعروف والقيام عليه

وقال محمد بن واسع : الاتقاء على العمل أشد من العمل .

وقال يحيى بن أكثم : سياسة القضاء أشد من القضاء

وقال محمد بن محمد الحمرانى : من التوقى ترك الافراط فى التوقى

وقال أبو قرة : الجوع للحمية أشد من العلة .

وقال الجماز : الحمية إحدى العلتين

وقال القمى : من احتمى فهو على يقين من تعجيل المكروه ، وفى شك مما يأمل من دوام الصحة . وقال : اعتبر عزمه بحميته ، وحزمه بمتاع بيته.قال: وذكر اعرابى رجلا فقال : حناء المبتلى،حنوط المعافى

وقالوا : أمران لاينفكان من الكذب : كثرة المواعيد،وشدة الاعتذار .

وقيل لرجل من الحكماء : ما جماع البلاغة . قال معرفة السليم من المعتل وفصل مابين المضمَّن والمُطلق ، وفرق مابين المشترك والمفرد ، وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيد

وقال سهل بن هرون فى كتاب له : واجب على كل ذى مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها، كما يُبدئ بالنعمة قبل استحقاقها .

وقال أبو البلاد [1] .

إنا وَجَدْنَا النّاسَ عوْدَيْنِ : طَيِّباً ... وَعُودًا خَبِيثاً لايَبِضُّ عَلى العَصْرِ

تَزِينُ الْفَتى أخلاقُهُ وتَشِينُهُ ... وَتُذْكِرُ أخْلاَقُ الفتى وهْوَ لاَ يَدْرِى

وقال آخر فى هذا المعنى :

سابِقْ إلى الْخَيْرَاتِ أهْلَ الْعُلَى ... فإنَّمَا النّاسُ أحاديثُ

كلُّ امرِئٍ فى شأنِهِ كادِحٌ ... فَوَارِثٌ مِنْهُ وَمَوْرُوثُ

ولما قال حَمَلُ بنُ بَدر لبنى عبس — والاسنة فى ظهورهم ، والبوارق فوق رؤسهم — نُؤدى السبق وندى الصبيان ، وتُخلون سربنا ، وتسودون العرب . انتهره حُذيفة وقال : إياك والكلام المأثور .

(١) أبو البلاد : هو أبو البلاد الطهوى الشاعر المشهور

وقال الشاعر :

اليَوْمَ خَمْرٌ ويَبْدُو فِى غدٍ خبَرٌ والدَّهْرُ من بيْنِ إنْعامٍ وإيآسِ

وقال أعرابى : إن المسافر ومتاعه لعلى قَلَتٍ إلا ما وقى الله .

وقالوا : السفر قِطعة من العذاب . وصاحب السوء قطعة من النار .

وجلس معاوية رضى الله تعالى عنه بالكوفة يبايع على البراءة من على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فجاءه رجل من بنى تميم فأراده على ذلك فقال : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت إلى المغيرة فقال : إن هذا رجل فاستوص به خيراً . وقال الشاعر :

قالتْ أمامَةُ يَوْمَ بَرْقَةِ وَاصِلٍ يَاابْنَ الْمَنِيرِ لَقَدْ جَعَلْتَ تَغَيَّرُ

أصْبَحْتَ بَعْدَ زَمانِكَ الْماضِى الَّذِى ذَهَبَتْ شَبِيبَتُهُ وَغُصْنُكَ أخْضَرُ

شيخاً دِعامتُكَ العصا وَمُشيَّعاً لاتَبْتَغِى خَبَراً وَلا تُسْتَخْبَرُ

وكان الربيع بن خيثم لايُخبر ولا يَستخبر . وكان مطرف بن عبدالله يَستخبر ويُخبر . قالوا : فينبغى أن يكون أعقلهم . وقال أبو عبيدة : كان ابن سيرين لايستخبر ولا يخبر ، وأنا أخبر وأستخبر .

وقال أبو عمرو بن العلاء لاهل الكوفة : لكم حذاقة النَبَط وصَلَفهم ، ولنا دهاء فارس وأحلامهم . وأنشدوا للحارث بن حِلِّزة اليشكرى :

لاأعْرِفَنَّكَ إنْ أرْسَلْتَ قافِيَةً تُلْقِى الْمَعاذِيرَ إنْ لَمْ تَنْفَعِ الْعِذَرُ

إنَّ السَّعِيدَ لَهُ فى غَيْرِهِ عِظَةٌ وَفى التَّجارِبِ تَحْكِيمٌ وَمُعْتَبَرُ

ومعنى المعاذير هاهنا على غير معنى قول الله تبارك وتعالى فى القرآن « بَلِ الإنْسَانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ » [المعاذير] هاهنا الستور

أراد رجل الحج فسلم على شُعبه بن الحجاج [1] فقال له . أما إنك إن لم تعدّ

(١) شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الاشاقر عتاقة يكنى ابا بسطام ، وقد زعموا أنه ولد لسنتين . وكان أسن من سفيان الثورى بعشر سنين ، وكان شيعياً من أصحاب الحديث ، وكان شاعراً متكلماً ألثغ . وكان يقول : والله لأنا فى الشعر أسلم منى فى الحديث ،

الحلم ذلا ، والسفه أنفا ، سلم لك حجك .

وكان على رضى الله تعالى عنه بالكوفة قد منع الناس من القعود على الطريق فكلموه فى ذلك فقال : أدعكم على شريطة . قالوا : وماهى يا أمير المؤمنين ؟ قال : غض الابصار ، ورد السلام ، وارشاد الضلال . قالوا : قد قبلنا . فتركهم .

وكان [أبو] نوفل بن أبى عقرب لا يجلس الا على باب داره وكان عامرا بالمـاره . فقيل له : إن فى ذلك نشرة وصرف النفوس عن الامانى واعتباراً لمن اعتبر وعظة لمن فكر . فقال : ان فى ذلك حقوقا يعجز عنها ابن خيثمة قالوا : وما هى ؟ قال : غض الطرف ، ورد التحية ، وإرشاد الضال ، وضم اللقطة والتعرض اطلاب الحوائج ، والنهى عن المنكر ، والشغل بفضول النظر الداعية إلى فضول القول والعمل ، وعادة إن قطعتها اشتدت وحشتك ، وإن وصلتهـا قطعتك عن أمور هى أولى بك

قال فضيل بن عياض [1] لسفيان الثورى [2] : دُلنى على جليس أطمئن اليه قال : هيهات ، تلك ضالة لا توجد .

وقيل لبعض العلماء : أى الامور أمتع ؟ قال : مذاكرة العلماء . وقيل لعبد الرحمن ابن أبى بكرة : أى الامور أمتع ؟ قال : الامانى

ولو أردت الله ما خرجت اليكم ، ولو أردتم الله ما جئتمونى . ولكنا نحب المدح ونكره الذم ، ولد سنة ٨٥ هـ ٧٠٤ م وتوفي بالبصرة سنة ١٦٠ هـ ٧٧٦ م

(١) فضيل بن عياض : كان تميماً يكنى أبا على . وهو من العباد النساك الفضلاء . ولد بأبيورد من خراسان وورد الكوفة وهو كبير فسمع من منصور بن المعتمر وغيره من شيوخها ثم انتقل إلى مكة وأقام بها إلى أن مات سنة ١٨٧ هـ ٨٠٢ م

(٢) سفيان الثورى : هو سفيان بن سعيد بن مسروق ، يكنى أبا عبدالله ، وينسب إلى ثور بن عبد مناة أو ثور أطحل ، وهو جبل . وكان يتشيع مع ورع شديد وتقوى ولأجل هذا توارى من السلطان حتى مات متواريا بالبصرة ودفن عشاء فقال فيه الشاعر :

تحرز سفيان وفر بدينه وأمسى شريك مرصدا للدراهم

كان مولده سنة ٩٧ هـ ٧١٥ م وكانت وفاته سنة ١٦١ هـ ٧٧٧ م

وقال رَجاءُ بن حَيْوَة [١] لعبد الملك بن مروان فى أسارى ابن الأشعث : إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر ، فاعط الله مايحب من العفو

وقال هُزيم بن عدى بن أبى طَحمة [٢] ليزيد بن عبدالملك بعد ظفره بيزيد ابن المهلب : مارأينا أحداً أظلم ظلمك ، ولا نُصر نصرك ، ولا عفا عفوك . قال: وذم رجل رجلا فقال : هو سيئ الرويّة ، قليل التقية ، كثير السعاية ، قليل النكاية

قال معاوية لمعاوية بن حُديج الكندى [٣] : ماجرأك على قتل قُريش ؟ قال : ما أنصفتمونا ، تقتلون حلماءنا وتلومونا على قتل سُفهائكم ؟ وهو الذى قال لأم الحكم بنت أبى سفيان : والله لقد نَكحتِ فما استكرمتِ ، وولدتِ فما أنجبتِ

أبو بكر بن مَسلمة عن أبى اسحق القيسى قال : لما قدم قُتيبة بن مُسلم خراسان قال : من كان فى يديه شىء من مال عبد الله بن خازم [٤] فلينبذه ، وإن كان فى فيه

---

(١) رجاء بن حيوة : يكنى أبا المقدام ، وأبا نصر ، وهو كندى من أعيان التابعين وفضلائهم . كان أحمر الوجه ، أبيض اللحية ، حسن الكلام ، بليغ المنطق مات سنة ١١٢ هـ ٧٣٠ م

(٢) هزيم بن عدى : ضبطه ابن قتيبة في المعارف بالراء المهملة . وقال عنه : هريم بن أبى طحمة التيمى ، واسم أبى طحمة حارثة بن عدى ، وكان هريم شجاعاً كيساً ، وكان مع المهلب فى قتال الازارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب كما خرج على يزيد بن عبد الملك ، ولما كان يوم سورا أخذ اللواء ثم أقحم في خمسة فوارس فانهزم يزيد بن المهلب فكبر هريم ، فحول اسمه في أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو ، فقيل له : إنك لا تحسن أن تكتب ؟ فقال : إن لا أكتب فانى أمحو الصحف . وكان ابنه الترجمان على الأهواز وعلى بنى حنظلة فى فتنة بن سهيل . وقد مر ذكر ولده في ص ١٤٦ من الجزء الأول من هذا الكتاب

(٣) في نسخة : خديج بالخاء المعجمة ، وهو خطأ شائع ، والصواب ما أثبتناه

(٤) فى نسخة : حازم بالحاء المهملة وهو خطأ . والصواب بالخاء المعجمة كما أثبتناه . وهو عبد الله بن خازم السلمى ، يكنى أبا صالح . كان من أشجع الناس وأقواهم وأعظمهم بسالة ، تولى خراسان عشر سنين وفتح الطبسين ، ثم ثار به أهل خراسان وقاتلوه فخر صريعاً في المعركة وذلك في سنة ٥٦ هـ ٦٧٥ م

فليلفظه ، وإن كان فى صدره فلينفثه . فعجب الناس من حسن ما فصل وقسّم . قال ثم غبر بعد ذلك عيال عبد الله بن خازم وما بخراسان أحسن مالا منهم .

عنبسة القطان قال: شهدت الحسن وقال له رجل : بلغنا أنك تقول : لو كان علىٌّ بالمدينة يأكل من حشفها لكان خيراً له مما صنع . ؟ فقال الحسن : يالكع ، أما والله لقد قدّموه سهما من مرامى الله ، غير سؤوم لأمر الله ، ولا سروقة لمال الله ، أعطى للقرآن عزائمه فيما عليه وله ، فأحل حلاله وحرم حرامه ، حتى أورده ذلك رياضاً مُونقة ، وحدائق مُغدقة ، ذاك ابن أبى طالب يالكع .

يزيد بن عقال قال عبد الملك بن صالح يوصى ابنه وهو أمير سَرِية ونحن ببلاد الروم فقال له : انت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيّس الذى إن وجد ربحا تجر وإلا احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة . وكن من احتيالك على عدوك أشد خوفا من احتيال عدوك عليك .

وقال بعض الحكماء . لا تصطنعوا إلى ثلاثة معروفا . اللئيم ، فانه بمنزلة الارض السَّبِخَة ، والفاحش ، فانه يرى الذى صنعت اليه إنما هو لمخافة فحشه ، والاحمق ، فانه لا يعرف قدر ما أسديت إليه . فاذا اصطنعت إلى الكرام فَازْدَرِع المعروف واحصد الشكر . قال : وواضع المعروف فى غير أهله كالمسرج فى الشمس والزارع فى السبخ . ومثله البيت السائر فى الناس :

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ فِى غَيرِ أَهْلِهِ ... يُلاَقِي الَّذِى لاَقَى مُجيرُ امِّ عامِرِ

وقالوا : من لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يولى .

وقال الأيادى صاحب الصرح الذى اتخذ سُلماً لمناجاة الرب — وهو الذى كان يقول : مُرضعة وفاطمة : القطيعة والفجيعة وصلة لرحم وحسن الكلم — قال : زعم ربكم ليجزين بالخير ثواباً وبالشر عقاباً . إن من فى الأرض عَبيد لمن فى السماء . هلكت جُرْهُمْ وَرَبَتْ إياد ، وكذلك الصلاح والفساد . من رشد فاتبعوه ، ومن غوى فارفضوه . كل شاة برجلها معلقة . وإياه عنى الشاعر بقوله :

ونَحْنُ إيادٌ عَبِيدُ الاِلٰهِ ... ورَهْطُ مُنَاجِيهِ فى السلَّمِ

وَنَحْنُ وُلَاةُ حِجَابِ الْعَتِيقِ زَمَانَ الرِّعَافِ عَلَى جَرْهُمِ

تعزية امرأة للمنصور على أبي العباس مقدمه من مكة ، قالت : أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجل من مُصيبتك ، ولا عوض أعظم من خلافتك .

وقال عثمان بن حزيم للمنصور حين عفا عن أهل الشام فى إجلائهم مع عبدالله ابن على عمه : يا أمير المؤمنين ، لقد أُعطيت فشكرت ، وابتُليت فصبرت ، وقدرت فعفوت . وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، والمتفضل قد جاوز حد المنصف . فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين . وقال آخر : من انتقم فقد شفى غيظ نفسه ، وأخذ أقصى حقه . وإذا انتقمت فقد انتقصت ، وإذا عفوت تطولت . ومن أخذ حقه ، وشفى غيظه ، لم يجب شكره ، ولم يذكر فى العالمين فضله . وكظم الغيظ حلم ، والحلم صبر ، والتشفى طرف من العجز . ومن رضى أن لا يكون بين حاله وبين حال الظالم إلا ستر رقيق ، وحجاب ضعيف ، فلم يجزم فى تفضيل الحلم ، وفى الاستيثاق من ترك دواعى الظلم . ولم تر أهل النُّهى والمنسوبين إلى الحجى والتقى مدحوا الحكام بشدة العقاب ، وقد ذكروهم بحسن الصفح ، وبكثرة الاعتفار ، وشدة التغافل . وبعد ، فالمعاقب مستعد لعداوة أولياء المذنب ، والعافى مُستدع لشكرهم آمن من مكافأتهم أيام قدرتهم ، ولأن يُثنى عليك باتساع الصدر خير من أن يُثنى عليك بضيق الصدر . على أن إقالتك عثرة عباد الله موجب لإقالتك عثرتك من رب عباد الله ، وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك ، وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك

قال : الموت الفادح ، خير من اليأس الفاضح ، وقال الآخر : لا أقل من الرجاء ؟ فقال الآخر بل اليأس المريح . وقال عبد الله بن وهب الراسبى : ازدحام الجواب مضلة للصواب . وليس الرأى بالارتجال : وليس الحزم بالاقتضاب ، فلا تدعونك السلامة من خطأ موبق ، أو غنيمة من صواب نادر إلى معاودته ، والتماس الأرباح من قبله . إن الرأى ليس بنُهبَى ، وخير الرأى خير من فطيره ،

ورب شيء غابُه خير من طريه ، وتأخيره خير من تقديمه .

ولما قدم بعبد الجبار بن عبد الرحمن إلى المنصور قال : يا أمير المؤمنين ، قتلة كريمة . قال : تركتها وراءك يا ابن اللخناء .

ولما احتال أبو الأزهر المُهلب بن عُبيثر المهرى لعبد الحميد بن رَبعى بن خالد ابن مِغداق وأسلمه إلى حُميد بن قحطبة وأسلمه حُميد إلى المنصور ، ولما صار إلى المنصور قال : لا عذر فأعتذر وقد أحاط بى الذنب وأنت أولى بما ترى . قال : لست أقتل أحداً من آل قَحطبة ، بل أهب مُسيئهم لمحسنهم ، وغادرهم لوفيهم . قال : إن لم يكن فىَّ مصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ، ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم . قال : اخرج فانك جاهل وأنت عتيقهم ما حييت .

قال زياد بن ظبيان التيمى لابنه عبيد الله بن زياد — وزياد يومئذ يكيد بنفسه وعبيد الله غلام — ألا أوصى بك الأمير زياداً ؟ قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : إذا لم يكن لِلحىّ إلا وصية الميت ، فالحىّ هو الميت .

ودخل عمرو بن سعيد على معاوية بعد موت أبيه ـ وعمرو يومئذ غلام ـ فقال له معاوية : إلى من أوصى بك أبوك يا غلام ؟ قال : إن أبى أوصى إلى ولم يوص بى . قال : وبأى شيء أوصاك ؟ قال : أوصانى أن لا يفقد إخوانُه منه إلا وجهه . قال معاوية لأصحابه : إن ابن سعيد هذا لأشدق . ولما داهن سفيان ابن معاوية بن يزيد بن المهلب فى شأن ابرهيم بن عبد الله وصار سفيان الى المنصور أمر الربيع فخلع سواده ووقف به على رؤس اليمانية فى المقصورة فى يوم الجمعة ثم قال : يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفتم ما كان من إحسانى إليه ، وحسن بلائى عنده ، والذى حاول من الفتنة والغدر والبغى وشق العصا ومعاونة الاعداء . وقد رأى أمير المؤمنين أن يهب مسيئكم لمحسنكم ، وغادركم لوفيكم .

قال يونس بن حبيب : [1] المفحَم يأتيه دون مايرضى ، ويطلب فوق مايقوى

(١) يونس بن حبيب كان مولى لبنى ضبة يكنى أبا عبد الرحمن . كان بارعاً فى النحو وله فيه أقيسة ومذاهب تفرد بها . صحب أبا عمرو بن العلاء وسمع من الأعراب وروى

وذكر بعض الحكماء أعاجيب البحر وتزيد البحرين فقال : البحر كثير العجائب ، وأهله أصحاب الزوائد ، فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصدق ، وأدخلوا مالا يكون فى باب ماقد يكاد أن يكون ، فجعلوا تصديق الناس لهم فى غرائب الاحاديث سلما إلى ادّعاء المحال . وقال بعض العرب : حدّث عن البحر ولا حرج . وحدث عن بنى اسرائيل ولا حرج . وحدث عن معن ولا حرج . وجاء فى الحديث« كفى بالمرء حرصاً ركوبه البحر »

وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يصف له البحر فقال : ياأمير المؤمنين ، البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير ، دُود على عود وقال الحسن : إملاء الخير خير من الصمت . فالصمت خير من إملاء الشر . وقال بعضهم: مُروا الأحداث بالمراء ، والكهول بالفكر ، والشيوخ بالصمت .

عبد الله بن شداد [1] قال : أرى دَاعى الموت لا يقلع ، وأرى من مضى لا يَرجع . لا تزهدن فى معروف ، فان الدهر ذو صروف ، كم من راغب قد كان مرغوبا إليه ، وطالب أصبح مطلوبا إليه . والزمان ذو ألوان ، من يصحب الزمان ير الهوان . وإن غلبت يوما على المال فلا تغلبن على الحيلة على حال . وكن أحسن ما تكون فى الظاهر حالا ، أقل ماتكون فى الباطن مالا .

وقيل لقيس بن عَاصم : بم سُدت قومك ؟ قال : ببذل الندى ، وكف الاذى ، ونصر المولى . وقيل لشيخ : أين شبابك ؟ قال : من طال أمده ، وكثر

عن سيبويه فأكثر . وسمع منه الكسائى والفراء ، وكانت له حلقة بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلاب الأدب ، ويغشاها فصحاء الاعراب والبادية . حدث عن نفسه فقال: قال لى رؤبة بن العجاج : حتى م تسألنى عن هذه البراطيل وأزخرفها لك ؟ أما ترى الشيب قد تلع فى لحيتك ؟ . قارب التسعين ولم يتزوج ولم يتسر . ولد سنة ٩٠ هـ ٧٠٨ م ومات سنة ١٨٢ هـ ٧٩٨ م

(٢) عبد الله بن شداد : كان محدثاً فقيهاً — وكان جده أبو أبيه يسمى أسامه ويلقب بالهادىْ لأنه كان يوقد النار ليلا لمن يسلك الطريق — وكان عبد الله بن خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس

ولده ، ودف عدده ، وذهب جَلده ، ذهب شبابه ، وقال زياد : لا يعد منك من الجاهل كثرة الالتفات وسرعة الجواب

وقال عبد الرحمن بن أم الحكم . لولا ثلاث ماباليت متى مت : تزاحف الاحرار إلى طعامى ، وبذل الأشراف وجوههم إلىّ فى أمر أجد إليه السبيل ، وقول المنادى الصلاة أيها الامير .

وقال ابن الاشعث . لولا أربع خصال ما أعطيت بشرياً طاعة : لو ماتت أم عمران ، يعنى أمه ، ولو شاب رأسى ، ولو قرأت القرآن ، ولو لم يكن رأسى صغيرا

وقال معاوية . أعنت على علىّ بثلاث خصال : كان رجلا يظهر سره وكنت كتوما لسرى ، وكان فى أخبث جند وأشده خِلافا وكنت فى أطوع جند وأقله خلافا ، وخلا باصحاب الجمل فقلت : إن ظفر بهم اعتددت بهم عليه وهَنًا فى دينه وإن ظفروا به كانوا أهون علىّ شَوكة منه ، وكنت أحب إلى قريش منه . فكم شتيت جامع الىّ ومفرق عنه

جهم بن حسان السليطى قال رجل للاحنف : دلنى على حمدٍ بلا مرزئة . قال : الخُلق السجيح والكف عن القبيح ، ثم اعلموا أن أدوا الداء اللسان البذىء ، والخلق الردىء .

وقال محمد بن حرب الهلالى : قال بعض الحكماء : لايكونن منكم المحدِّث ولا يُنصت له ، والداخل فى سر اثنين لم يُدخلاه ، ولا آنى الدعوةَ لم يُدع إليها ، ولا الجالس المجلس لايستحقه ، ولا الطالب الفضلَ من أيدى اللئام ، ولا المتعرض للخير من عند عدوه ، ولا المتحمق فى الدالة

﴿ باب مزدوج الكلام ﴾

قالوا : قال رسول الله ﷺ فى معاوية رضى الله تعالى عنه « اللهم علمه الكتاب والحساب ، وقِهِ العذاب »

وقال رجل من بنى أسد : مات لشيخ منا ابن فاشتد جزعه عليه فقام إليه شيخ منا فقال : إصبر أبا أمامة ، فانه فرط أفرطته ، وخير قدمته ، وذخر أدَّخرته

فقال مجيباً له : ولد دفنته ، وثُكل نعجلته ، وغيب وعدته . والله لئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد .

قال الاصمعى : قال ابن قصير: خير الخيل الذى إذا استدبرته حبا ، وإذا استقبلته أقعى . وإذا استعرضته استوى ، وإذا مشى ردى ، وإذا ردى دحا .

ونظر ابن قصير الى خيل عبد الرحمن بن أم الحكم فأشار إلى فرس منها فقال : تجىء هذه سابقة . قالوا : وكيف ؟ قال : رأيتها مشت فكتفت ، وخبت فوجفت ، وعدت فنسفت . وذكرت امرأة زوجها فقالت : ذهب زفره ، وأقبل بَخره ، وفتر ذكره . وكان مالك بن الأخطل قد بعثه أبوه يسمع شعر جرير والفرزدق ، فسأله أبوه عنهما فقال : جرير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر ، فقال : الذى يغرف من بحر أشعرهما

***

قد ذكرنا من مقطعات الكلام وقصار الأحاديث بعد ما أسقطنا به مؤنة الخطب الطوال . وسنذكر من الخطب المسندة إلى أربابها مقداراً لا يستفرغ مجهود من قرأها ، ثم نعود بعد ذلك الى ما قصر منها وخف ، وإلى أبواب قد تدخل فى هذه الجملة وإن لم تكن مثل هذه بأعيانها ، والله الموفق

﴿ خطبة عبد الله بن الأهتم ﴾

أبو الحسن ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن خربوز البكرى ، عن خالد بن صفوان قال : دخل عبدُ الله بن الأهتم على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى مع العامة فلم يفجأ عمر إلا وهو ماثل بين يديه يتكلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فان الله خلق الخلق غنياً عن طاعتهم ، آمناً لمعصيتهم . والناس يومئذ فى المنازل والرأى مختلفون ، والعرب بشر تلك المنازل ، أهل الوبر ، وأهل المدر ، تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورفاغة عيشتها[1] . ميتهم فى النار ، وحيهم أعمى ،

(١) فى نسخة : ورفاعة عيشتها . وليست كذلك إنما الصواب بالغين كما أثبتناه . والمراد برفاغة عيشتها سعة العيش ورفاهته

مع مالا يحصى من المرغوب عنه، والمزهود فيه . فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته بعث إليهم رسولا منهم « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه فى جسمه ، ولقبوه فى اسمه ، ومعه كتاب من الله لا يرحل إلا بأمره ، ولا ينزل الا باذنه ، واضطروه الى بطن غار ، فلما أمر بالغرامة اصغر لأمر الله لونه ، فافلج الله حجته ، وأعلى كلمته ، وأظهر دعوته ، ففارق الدنيا تقيا نقيا ﷺ

ثم قام بعده أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، فسلك سنته ، وأخذ بسبيله ، وارتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله ﷺ إلا الذى كان قابلا منهم ، فانتضى السيوف من أغمادها ، وأوقد النيران من شعلها ، ثم ركب بأهل الحق أهلَ الباطل ، فلم يبرح يفصل أوصالهم ، ويسقى الأرض دماءهم ، حتى أدخلهم فى الذى خرجوا عنه ، وقررهم بالذى نفروا منه . وقد كان أصاب من مال الله بكراً يرتوى عليه ، وحبشية ترضع ولداً له ، فرأى ذلك غُصة عند موته فى حلقه ، فأدى ذلك الى الخليفة من بعده وبرىء إليهم منه ، وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنه

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فمصّر الأمصار ، وخلط الشدة باللين ، فحسر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعد للأمور أقرانها ، وللحرب آلتها . فلما أصابه قِنّ[1] المغيرة بن شُعبة أمر ابن عباس يسأل الناس: هل يُشبتون قاتله ؟ فلما قيل له : قِن المغيرة ، استهل يحمد الله أن لا يكون أصابه ذو حق فى الفئ فيستحل دمه بما استحل من حقه . وقد كان أصاب من مال الله بضعاً وثمانين ألفاً ، فكسر بها رباعه وكره بها كفالة أهله وولده ، فأدى ذلك الى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنهما

ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظُلع[2]

ثم إنك يا عمر ابنُ الدنيا ، ولدتك ملوكها ، وألقمتك ثديها ، فلما وليتها ألقيتها

(١) القن: هو العبد. والمراد بقن المغيرة أبالؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، واسمه فيروز وهو الذى وجأ عمر فقتله (٢) ظلع : عرج

حيث ألقاها الله ، فالحمد لله الذى جلابك حوبتها ، وكشف بك كربتها . إمض ولا تلتفت فانه لا يغنى من الحق شيئاً ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات

قال : ولما أن قال : ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدها إلا على ظُلع ، سكت الناس كأنهم إلا هِشاماً فانه قال : كذبت .

﴿ خطبة عمر بن عبد العزيز ﴾

أبو الحسن قال: حدثنا المغيرة بن مطرف، عن شعيب بن صفوان، عن أبيه قال : خطب عمر بن عبد العزيز بخُناصرة [1] خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله تعالى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، إنكم لم تُخلقوا عَبَثاً، ولم تُتركوا سُدى ، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شئ . وحرم الجنة التى عرضها السموات والأرض . واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربه وباع قليلا بكثير ، وفانياً بباق . ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها من بعدكم الباقون ، كذلك حتى تُردوا الى خير الوارثين . ثم أنتم فى كل يوم تشيّعون غاديا ورائحا إلى الله قد قضى نحبه وبلغ أجله ، ثم تغيبونه فى صدع من الارض ، ثم تدعونه غير مُوسد ولا مُمهد ، قد خلع الاسباب ، وفارق الاحباب ، وواجه الحساب ، غنيا عما ترك، فقيرا إلى ماقدم . وأيم الله انى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى ، فاستغفر الله لى ولكم. وما تبلغنا حاجة يتسع لها ماعندنا إلا سددناها ، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدى ويحمى الذين يلونني حتى يستوى عيشنا وعيشكم . وأيم الله أن لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان منى ناطقا ذلولا عالما بأسبابه ، لكنه مضى من الله كتاب ناطق ، وسنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته .

(١) خناصره : بلد بالشام. قيل سميت باسم خناصرة بن عروة بن الحارث

ثم بكى فمسح دموع عينيه بطرف ردائه ، ثم نزل فلم ير على تلك الاعواد حتى قبضه الله

﴿ خطبة أخرى [له] ذهب عنى إسنادها ﴾

أما بعد فإنك ناشئ فتنة ، وقائد ضلالة قد طال جُومها ، واشتدت غمومها ، وتلونت مصائد عدو الله فيها ، وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما فى عواقبها فلن يهدّ عمودها ، ولن ينزع أوتادها ، إلا الذى بيده تلك الأشياء ، وهو الله الرحمن الرحيم . ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيروا فى ظلمتها ، ولم يشايعوا أهلها على شبهتها ، مصابيح النور فى أفواههم تزهو ، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ، ركبوا نهج السبيل ، وقاموا على العَلَم الأعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم ، وبهم يصلح الله البلاد ويدفع عن العباد ، فطوبى لهم وللمستصبحين بنورهم . أسأل الله أن يجعلنا منهم

﴿ خطبة أبى حمزة الخارجى ﴾

دخل أبو حمزة الخارجى [1] مكة — وهو أحد نُساك الأباضية وخطبائهم واسمه

(١) أبو حمزة الخارجى : هو يحيى بن المختار بن عوف الازدى . كان يرد الموسم كل سنة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد ، وظل هكذا حتى ورد عبد الله بن يحيى فى أواخر سنة ١٢٨ هـ فقال له : يا رجل ، أسمع كلاما حسناً ، أراك تدعو إلى حق ، فانطلق معى فانى رجل مطاع فى قومى ، فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ، ودعا إلى الثورة على مروان وال مروان . وبينما الناس بعرفة سنة ١٢٩ طلع عليهم أبو حمزة في سبعمائة من أتباعه يحملون رماحاً عليها أعلام وعمائم سود ، ففزع الناس ، وراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . وكان يومئذ على مكة والمدينة ، ثم خلى لهم مكة فدخلها أبو حمزة وأصحابه بغير قتال . وفي سنة ١٣٠ دخل أبو حمزة المدينة بعد قتال شديد وقع له بقديد مع عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعساكره . وقد خطب على منبر رسول الله خطباً آية في البلاغة والموعظة . ثم إن أبا حمزة ترك وسار بجموعه نحو الشام ، وكان مروان قد أعد لقتاله أربعة آلاف فارس بعبد الملك بن محمد بن عطية السعدى . فجد عبد الملك فى طلبه حتى لقيه بوادى مد له وقاتله أشد قتال ، وما زال به حتى خر أبو حمزة صريعاً وانهزم أصحابه. آخر سنة ١٣٠هـ ٧٤٧ م

يحيى بن المختار ـ فصعد منبرها مُتوكئاً على قوس له عربية ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ كان لا يتأخر ولا يتقدم إلا باذن الله وأمره ووحيه ، أنزل الله له كتاباً بَيَّنَ له فيه ما يأتى وما يتقى ، فلم يكن فى شك من دينه ، ولا شبهة فى أمره ، ثم قبضه الله إليه وقد علَّم المسلمين معالم دينهم

وولى أبا بكر صلاتهم ، فولاه المسلمون أمر دنياهم حين ولاه رسول الله ﷺ أمر دينهم ، فقاتل أهل الرِّدَّة،وعمل بالكتاب والسنة .فمضى لسبيله رضى الله تعالى عنه

ثم ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فسار بسيرة صاحبه ، وعمل بالكتاب والسنة ، وجبى الفىء ، وفرض الأعطية ، وجمع الناس فى شهر رمضان ، وجلد فى الخمر ثمانين ، وغزا العدو فى بلادهم ، ومضى لسبيله رضى الله تعالى عنه .

ثم ولى عثمان بن عفان فسار ست سنين بسيرة صاحبيه ، وكان دونهما ، ثم سار فى الست الأواخر بما أحبط به الأوائل ، ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه

ثم ولى على بن أبى طالب فلم يبلغ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مناراً ، ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه

ثم ولى مُعاوية بن أبى سُفيان ،لَعين رسول الله وابن لَعينه ، اتخذ عباد الله خولا ، ومالَ الله دُولا ، ودينه دَغلا ، ثم مضى لسبيله فالعنوه لعنه الله .

ثم ولى يَزيد بن مُعاوية ، يزيد الخمور ، ويزيد الفُرود ، ويزيد الفهود ، الفاسق فى بطنه ، المأبون فى فرجه

ثم اقتصَّهم خليفة خليفة فلما انتهى إلى عمر بن عبد العزيز أعرض عنه ولم يذكره ثم قال:

ثم ولى يزيد بن عبد الملك ، الفاسق فى بطنه ، المأبون فى فرجه ، الذى لم يؤنس منه رشد ، وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى « فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ » فأمرُ أمة محمد أعظم ، يأكل الحرام ، ويشرب الخمر ، ويلبس الحلة قوّمت بألف دينار ، قد ضُربت فيها الأبشار ، وهُتكت فيها

الأستار ، وأخذت من غير حلها . حبابةُ عن يمينه ، وسلّامة [١] عن يساره ، تغنيانه حتى إذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قدّ ثوبه ثم التفت الى احداهما فقال : ألا أطير ؟ نعم فطر إلى لعنة الله وحريق ناره وأليم عذابه

وأما بنو أمية ففرقة ضلالة ، وبطشهم بطش جبرية ، يأخذون بالظنّة ، ويقضون بالهوى ، ويقتلون على الغضب ، ويحكمون بالشفاعة ، ويأخذون الفريضة من غير موضعها ، ويضعونها فى غير أهلها ، وقد بين الله أهلها فجعلهم ثمانية أصناف فقال « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ » فأقبل صنفٌ تاسع ليس منها فأخذ كلها . تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله

وأما هذه الشِّيَعُ فشيعٌ ظاهرت بكتاب الله ، وأعلنت الفرية على الله ، لم يفارقوا الناس ببصر نافذ فى الدين ، ولا بعلم نافذ فى القرآن ، ينقمون المعصية على أهلها ويعملون إذا وُلُّوا بها ، يُصرون على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها ، جفاة عن القرآن ، أتباع كُهان ، يؤملون الدول فى بعث الموتى ، ويعتقدون الرَّجعة إلى الدنيا ، قلدوا دينهم رجلا لا ينظر لهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

ثم أقبل على أهل الحجاز فقال :

يا أهل الحجاز ، أتعيّرونى بأصحابى وتزعمون أنهم شباب ! وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً ؟ أما والله إنى لعالم بتتابُعكم [٢] فيما يضركم فى معادكم ، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم ، شبابٌ والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة ، وأطلاح [٣] سهر ، فنظر الله إليهم فى جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء

(١) حبابة وسلامة : كانتا جاريتين مغنيتين ، وأخبارهما منثورة فى الأغانى ، وفى السفر الخامس من نهاية الأرب ، فارجع إليهما إذا شئت

(٢) فى نسخة : بتتابعكم فيما يضركم . وليس كذلك وإنما الصواب : بتتابعكم . والتتابع الترامى على الشر والسقوط فيه (٣) أنضاء عبادة : أى أن العبادة قد أخذت منهم

القرآن كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كلالهم بكلالهم ، كلال الليل بكلال النهار ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك في جنب الله ، حتى إذا رأوا السهام قد فُوِّقَتْ ، والرماح قد أشرعت ، والسيوف قد انتُضيت ، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ومضى الشاب منهم قُدُماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فأسرعت إليه سباعُ الأرض ، وانحطت إليه طيرُ السماء ، فكم من عين في منقار طير طال ما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ، وكم من كف زالت عن معصمها طال ما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله

ثم قال : أوه أوه أوه . ثم بكى . ثم نزل

﴿ خطبة قَطَرِيِّ بنِ الفُجَاءَةِ ﴾

صعد قَطَرِيُّ بنُ الفُجَاءَةِ (١) — وهو أحد بني مازن بن عمرو بن تميم — منبر الأزارقة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حُلوة خضرة ، حُفت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وتحببت بالعاجلة ، وحليت بالآمال ، وتزينت بالغرور ، لا تدوم حَبرتها ،

حتى جعلتهم ضئال الأجسام لا يحملون شحماً ولا لحماً . واطلاح سهر : أي أن طول السهر في العبادة وقيام الليل قد أخذ منهم حتى أهزلهم وأخواهم

(١) قطري بن الفجاءة : هو من مازن بن مالك . كان من أبطال الخوارج وقادتهم وبلغائهم ، يكنى أبا نعامة ، خرج في زمن عبدالله بن الزبير وكان مصعب والياً من قبل أخيه على العراقين ، فبقي قطري يقاتل جند السلطان وينكل بجيوش الدولة ، ويسلم عليه من اتباعه بالخلافة عشرين سنة . وكان الحجاج يجرد عليه الجيش بعد الجيش فيمزق شملهم ، حتى المهلب لم ينل منه مأرباً ، وناهيك بالمهلب وأولاده ، وكان آخر من بعثه إليه الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي فتغلب عليه سفيان وقتله بطبرستان سنة ٧٩ هـ ٦٩٨ م

ولا تؤمن فجعتها ، غرّارة ضرارة ، خوّانة غدّارة ، وحائلة زائلة ، ونافذة بائدة ، أكالة غوّالة ، بذالة نقالة ، لا تعدو إذا هى تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى « كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً » مع أن امرأ لم يكن منها فى حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة ، ولم يلق من سرائها بطناً إلا منحته من ضرائها ظهراً ، ولم تطله غيثة رخاء الا أهطلت عليه مزنة بلاء ، وحرىّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسى له خاذلة مُتنكرة ، وان جانبٌ منها اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى أمرٌ عليه جانب وأوبَى ، وإن أنت امرأً من غضارتها ورفاهتها نعما أرهقته من نوائبها نقماً ، ولم يمس امروٌ منها فى جناح أمن إلا أصبح منها على قوادم خوف ، غرور ما فيها ، فانٍ ما عليها ، لا خير فى شئ من زادها إلا التقوى . من أقل منها استكثر مما يؤمنه ، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبقه ويطيل حزنه ويبكى عينيه

كم واثق بها قد أفجعته ، وذى طُمأنينة إليها قد صرعته ، وذى اختيال فيها قد خدعته ، وكم من ذى أُبَّهة بها قد صيرته حقيراً ، وذى نخوة قد ردته ذليلا ، وكم من ذى تاج قد كبته لليدين والفم ، سلطانها دول ، وغنيها رَنق ، وعذبها أجاج ، وحلوها صبر ، وغذاؤها سِمام ، وأسبابها رمام ، وقطافها سلع ، حيها بِعرَض موت ، وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرَض اهتضام ، مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجامعها محروب ، مع أن وراء ذلك سكرات الموت ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدى الحكم العدل « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى »

ألستم فى مساكن من كان أطول منكم أعماراً ، وأوضح منكم آثاراً ، وأعد عديداً ، وأكثف جنوداً ، وأعند عنوداً ؟ تعبدوا للدنيا أىّ تعبد ، وآثروها أى إيثار ، وظعنوا عنها بالكره والصغار ، فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية ؟ أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب ، بل قد أرهقتهم بالفوادح ،

وضعضعتهم بالنوائب ، وعقرتهم بالمصائب ، وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر المسند ، هل زوّدتهم إلا الشقاء ، وأحلتهم إلا الضنك ، أو نورت لهم إلا الظلمة ، أو أعقبتهم إلا الندامة ؟ أفهذه تُؤثرون ، أم على هذه تحرصون ، أم إليها تطمئنون ؟ يقول الله « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

فبئست الدار لمن أقام فيها ، فاعلموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لابد ، فانما هي كما وصفها الله باللعب واللهو ، وقد قال الله تعالى « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ » وذكر الذين قالوا مَن أشد منا قوة ؟ ثم قال : حملوا إلى قبورهم فلا يُدعون رُكباناً ، وأنزلوا فلا يدعون ضيفاناً ، وجعل لهم من الضريح أجنان ، ومن التراب أكفان ، ومن الرُّفات جيران ، فهم جيرة لا يجيبون داعياً ولا يمنعون ضيماً ، إن أخصبوا لم يفرحوا ، وإن أقحطوا لم يقنطوا ، جمع وهم آحاد ، وجيرة وهم أبعاد ، متناؤن لا يزورون ولا يُزارون ، حلماء قد ذهبت أضغانهم ، وجهلاء قد ماتت أحقادهم ، لا يخشى فجعهم ، ولا يرجى دفعهم ، وكما قال الله تعالى « فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ » استبدلوا بظهر الأرض بطناً ، وبالسعة ضيقاً ، وبالأهل غربة ، وبالنور ظلمة ، فجاؤها كما فارقوها ، حفاة عُراة فُرادى ، غير أن ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والى خلود الأبد ، يقول الله تعالى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » فاحذروا ما حذركم الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله . عصمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا وإياكم أداء حقه

﴿ خطبة محمد بن سليمان — يوم الجمعة ، وكان لا يغيرها ﴾

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره ، وأومن به وأتوكل عليه . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى

ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، من يعتصم بالله ورسوله فقد اعتصم بالعُروة الوُثقى،وسعد فى الأولى والآخرة . ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً . أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويتجنب سُخطه ، فانما نحن له وبه . أوصيكم عباد الله بتقوى الله،وأحُثُّكم على طاعة الله ،وأرضى لكم ماعند الله . فان تقوى الله أفضل ما تَحاثّ الناس عليه ، وتَدَاعوا إليه ، وتَوَاصوا به . فاتقوا الله ما استطعتم ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون .

﴿ خطبة عبيد الله بن زياد ﴾

صعد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية — وحيث بلغه أن سَلمة بن ذُؤيب الرياضى قد جمع الجموع يريد خلعه — فقال:

يا أهل البَصرة إنسبونى . فوالله ما مُهاجَر أبى إلا إليكم ، وما مولدى إلا فيكم ، وما أنا إلا رجل منكم . والله لقد وليكم أبى وما مُقاتلتكم إلا أربعون ألفاً، فبلغ بها ثمانين ألفاً ، وما ذريتكم إلا ثمانون ألفاً،وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف . وأنتم أوسع الناس بلاداً ، وأكثره جنوداً ، وأبعد مقاداً ، وأغنى الناس عن الناس . أنظروا رجلا تولونه أمركم يَكفِ سُفهاءكم ، ويجبى لكم فيئكم ، ويقسمه فيما بينكم ، فإنما أنا رجل منكم

فلما أبوا غيره قال : إنى أخاف أن يكون الذى يدعوكم إلى تأمير حداثة عهدكم بأمرى

﴿ وصية معاوية بن أبى سفيان ﴾

الهيثم بن عدى عن أبى بكر بن عياش عن أشياخه قال: لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب،دعا مُعاوية مُسلمَ بن عَقبة المرى والضحاكَ بن قَيس الفهرى[1] فقال:

---

(١) الضحاك بن قيس الفهرى : كان من رجال معاوية المعدودين ، وأهل ثقته المخلصين ، وكان شجاعاً باسلا ، ولاه معاوية الكوفة بعد زياد بن أبى سفيان . ولما مات معاوية بن يزيد وتوثب مروان بن الحكم على الخلافة وأراد التغلب عليها ثار

أبلغا عنى يزيد وقولا له : أنظر الى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومن قعد عنك فتعهده . وانظر الى أهل العراق ، فان سألوك عزل عامل لهم فى كل يوم فاعزله عنهم ، فانّ عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ثم لا تدرى على ما أنت عليه منهم . ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار ،فان رابك من عدوك رَيب فارمهم بهم ، فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ولا يقيموا فى غير بلادهم فيتأدّبوا بغير أدبهم ، لست أخاف عليك غيرَ عبدِ الله بن عمر، وعبدِ الله بن الزبير، وحسين بن على. فأما عبدُ الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع ، وأما الحسين فانى أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه ، وأما ابن الزبير فانه خب ضب

وفى غير هذه الرواية : فان ظفرت بابن الزبير فقطعه إرباً

فمات معاوية ، فقام الضحاك بن قيس خطيباً فقال :

إن أمير المؤمنين معاوية كان أنفَ العرب ، وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ، ومخلون بينه وبين ربه ، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضره

فصلى عليه الضحاك بن قيس، ثم قدم يزيد ولده فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولى فأنشأ يقول :

إصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا كَرَمٍ ... وَاشْكُرْ حِبَاءَ الَّذِي بِالْمُلْكِ أَصْفَاكَ

لاَ رُزْءَ أَصْبَحَ فِي الأَقْوَامِ قَدْ عَلِمُوا ... كَمَا رُزِئْتَ وَلاَ عُقْبَى كَعُقْبَاكَ

أَصْبَحْتَ رَاعِيَ أَهْلِ الدِّينِ كُلِّهِمِ ... فَأَنْتَ تَرْعَاهُمُ وَاللهُ يَرْعَاكَ

وَفِي مُعَاوِيَةَ البَاقِي لَنَا خَلَفٌ ... إِذَا نُعِيتَ وَلا نَسْمَعْ بِمَنْعَاكَ

فانفتح الخطباء للكلام بعد ذلك

﴿ خطبة قتيبة بن مُسلم الباهلى ﴾

قام بخراسان حين خلع فقال : أتدرون من تبايعون ؟ إنما تبايعون يَزيدَ بنَ

الضحاك به فى قيس بالشام مؤيداً لبيعة عبد الله بن الزبير، لكن مروان صمد له في بنى أمية واليمانية وحاربه في مرج راهط وقتله سنة ٦٥ هـ ٦٨٤ م

ثروان ـ يعنى هَبَنَّقَةَ القَيسى [١] ـ كانى بأمير مزجاء وحَكَمَ قد أتاكم يَحكم فى أموالكم وفروجكم وأبشاركم . ثم قال : الأعراب وما الأعراب ، فلعنة الله على الأعراب ، جمعكم كما يجمع قزع الخريف من منابت الشيح والقيصوم ، ومنابت القِلقِل [٢] وجزيرة ابن كاوان ، تركبون البقر وتأكلون العضبة ، فحملتكم على الخيل وألبستكم السلاح ، حتى منع الله بكم البلاد وأفاء بكم الفيء

قالوا : مرنا بأمرك قال : غرّوا غيرى

وخطب مرة أخرى فقال :

يا أهل العراق ، ألست أعلم الناس بكم ؟ أما هذا الحى من أهل العالية فنعم الصدقة ، وأما هذا الحى من بَكر بن وائل فملجة بظراء لا تجمع رجليها ، وأما هذا الحى من عبد قيس فما ضرب العير بذنبه ، وأما هذا الحى من الأزد فملوح خلق الله وأنباطه . وأيم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم ، فأما هذا الحى من تميم فانهم كانوا يسمون الغدر فى الجاهلية كيسا

وخطب مرة أخرى فقال :

ياأهل خُراسان ، قد جربتم الولاة قبلى ، أتاكم أمية فكان كاسمه أمية الرأى وأمية الدين ، فكتب الى خليفته : إن خراج خُراسان وسِجِستان لو كان فى مطبخه لم يكفه . ثم أتاكم بعده أبو سعيد فدوخ بكم البلاد لا تدرون أفى طاعة أنتم أم فى معصية . ثم لم يَجبِ فيئاً ولم ينكأ عدوًا . ثم أتاكم بنوه بعده مثل

(١) هبنقة القيسى : هو يزيد بن ثروان ـــ وفي نسخة ثوران وهو خطأ ـــ كان يضرب به المثل بالحمق فى الجاهلية . وكان يكنى بأبى الودعات لأنه نظم ودعا لنفسه فى سلك وجعله في عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع . قيل أن أخاه راقبه يوماً إلى أن نام فأخذ العقد من عنقه وجعله فى عنق نفسه فلما انتبه هبنقة ورآى أخاه وفى عنقه العقد قال له : أنت أنا فأنا ترى من هو أنا ؟ ومن طريف حمقه أنه كان إذا رعى غنماً أو إبلا جعل خير المراعى للسمان ونحى عنها المهازيل وقال : لا أصلح ماأفسد الله . وله أخبار كثيرة

(٢) القلقل : نبت له حب أسود حسن الشم

أطباء الكلبة ، منهم ابن الرخمة حصان يضرب فى عانة، ولقد كان أبو يخافه على أمهات أولاده . ثم قد أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلادَ وأمَّن لكم السُّبُل حتى أن الظعينة لتخرج من مَرو إلى سَمرقند فى غير جواز

﴿ خطبة الاحنف بن قَيس ﴾

قال بعد حمد الله والثناء عليه وصلى على نبيه :

يامعشر الازد وربيعة ، أنتم اخواننا فى الدين ، وشركاؤنا فى الصهر ، وأشقاقنا فى النسب ، وجيراننا فى الدار ، ويدنا على العدو . والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام . فان استشرف شنآنكم وأبى حسد صدوركم فنى أموالنا وَسَعَة أحلامنا لنا ولكم سَعَة .

﴿ خطبة جامع المحُاربى ﴾

ومن محارب جامع كان شيخا صالحا خطيباً لسنا ، وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط : بنيتها فى غير بلدك ، وأورثتها غير ولدك ، وكذلك من قطعهُ العجب عن الاستشارة ، والاستبداد عن الاستخارة .

وشكا الحجاج [1] سوء طاعة أهل العراق وتنقم مذهبهم ، وتسخط طريقتهم

---

(١) الحجاج بن يوسف : هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى . قيل : كان في مبدأ أمره يعلم هو وأبوه الغلمان بالطائف ثم التحقا بخدمة الدولة الأموية فكان الحجاج فى شرطه روح بن زنباع الجزامى فأظهر همة وبراعة فعهد اليه في ولاية تبالة فلم يرضها ، ثم ولى شرطة أبان بن مروان . فلما ظهر أمر عبد الله بن الزبير وجهه عبد الملك لقتاله فنهد لابن الزبير وقاتله أحر قتال وما زال به حتى حصره ثم قتله وصلبه سنة ٧٣ هـ ٦٩٢ م فولاه عبد الملك الحجاز ثلاث سنين فكان يحج بالناس ونقض بنيان الكعبة الذى كان بناه ابن الزبير وأعاده على أساسه الأول . ثم تولى العراقين فكان فيها عشرين سنة ، وكان له مع أهلها خطوب . كما كانت له مع الخوارج مواقف ومشاهد ووقائع دلت على همته وشجاعته ونفاذ عزيمته وبارع تدبيره وقوة سياسته مع الفصاحة والبلاغة وقوة البيان وشدة العارضة . ومن الحق أن يقال : لولا الحجاج لذهب ملك بنى أمية من الوجود ، أو لما قامت له قائمة بعد معاوية وبنيه ، وبنى واسط سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م ثم مرض ومات بواسط وبها دفن وعفى قبره وأجرى عليه الماء . وكان مولده سنة ٤٢ هـ ٦٦٢ م وتوفى سنة ٩٥ هـ ٧١٣ م

فقال له جامع : أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ماشنؤك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك ، فدع مايبعدهم منك الى مايقر بهم اليك ، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك . وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك .

قال الحجاج : إني والله ما أرى أن أرد بني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف

فقال : أيها الامير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار .

فقال الحجاج : الخيار يومئذ لله .

قال : أجل ، ولكن لا تدري لمن يجعله الله

فغضب الحجاج وقال : ياهناه ، إنك من محارب

فقال جامع :

وَلِلْحَرْبِ سُمِّينَا وكانَ مُحارِباً إذَا ما القَنَا أمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أحْمَرَا

والبيت للخضرى

فقال الحجاج : والله لهممت أن أخلع لسانك فاضرب به وجهك .

فقال جامع : إن صدقناك أغضبناك ، وإن غششناك أغضبنا الله ، فغضبُ الامير أهون علينا من غضب الله

قال : أجل . وسكن . وشغل الحجاج ببعض الامر . وانسلّ جامع فمر بين صفوف خيل الشام حتى جاوز إلى خيل أهل العراق — وكان الحجاج لا يخلطهم — فأبصر كوكبة فيها جماعة من بكر العراق ، وتميم العراق ، وأزد العراق ، وقيس العراق ، فلما رأوه اشرأبوا إليه ، وبلغهم خروجه ، فقالوا له : ما عندك ؟ دافع الله لنا عن نفسك . فقال : ويحكم ، عموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ، ودعوا التعادى ماعاداكم ، فإذا ظفرتم به تراجعتم وتعاقبتم . أيها التميمى هو أعدى لك من الأزدى ، وأيها القيسى هو أعدى لك من التغلبي ، وهل ظفر بمن ناوأه إلا بمن بقي معه منكم ؟ وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام فاستجار بزُفَر بن الحارث

﴿ خطبة الحجاج بن يوسف الثقفى ﴾

وخطب الحجاج فقال :

اللهم أرنى الغىَّ غيًّا فأجتنبه ، وأرنى الهدى هدى فأتبعه ، ولا تَكِلنى إلى نفسى فأضل ضلالا بعيداً . والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا بعامتى هذه ، ولما بقى أشبه بما مضى من الماء بالماء

وخطبة له : الهيثم بن عدى قال: أنبأنى ابن عياش عن أبيه قال : خرج الحجاج يوماً من القصر بالكوفة فسمع تكبيراً فى السوق فراعه ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :

يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الأخلاق ، وبنى اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الإماء ، والفقع بالقرقر ، إنى سمعتُ تكبيراً لا يراد به الله وإنما يراد به الشيطان ، وإنما مَثلى ومثلكم ما قال عمرو بن براق الهَمْدَانى :

وكُنْتُ إذَا قَوْمٌ غَزَوْنى غَزَوْتُهُم ... فَهَلْ أنا فى ذَا يالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ ؟

مَتى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَّكِىَّ وصَارِماً ... وَأنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ

أما والله لا تقرع عصا عصا إلا جعلتها كأمس الدابر

﴿ خطبة عمرو بن كلثوم ﴾

أما بعد فإنه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه . ولا يعبر عنه فى تزكية أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته ، وائتمانه إياهم على حُرمته

﴿ خطبة يزيد بن الوليد بن عبد الملك ﴾

ولما قتل يزيد بن الوليد ابنَ عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان قام خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس والله ما خرجت أشَراً ولا بَطَراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة فى الملك ، وما بى إطراء نفسي وإنى لظلوم لها ، ولقد خسرت إن لم يرحمنى ربى . ولكنى خرجت غَضباً لله ودينه ، وداعياً إلى الله وسنة نبيه ، لما هُدمت معالم الهدى ، وأطفئ نور التقوى . وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حُرمة ، والراكب

لكل بدعة ، مع أنه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ، ولا يصدق بالثواب والعقاب ، وإنه لابن عمى فى النسب، وكفئ فى الحسب . فلما رأيت ذلك استخرت الله فى أمره ، وسألته أن لا يكلنى إلى نفسى ، ودعوت إلى ذلك من أجابنى من أهل ولايتى ، حتى أراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، بحول الله وقوته لا بحولى وقوتى .

أيها الناس إن لكم علىّ أن لا أضع حجراً على حجر ، ولا لَبِنَةً على لَبِنَةٍ ، ولا أكرى نهراً ، ولا أكنز مالا ، ولا أعطيه زوجاً ولا ولداً ، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد ، حتى أسد فَقر ذلك البلد وخَصاصة أهله بما يُغنيهم ، فإن فضل فضلٌ نقلته إلى البلد الذى يليه ممن هو أحوج إليه منه ، وأن لا أجمِّركم فى ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أغلق بابى دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم وأقطع نسلهم . ولكم عندى أعطياتكم فى كل سنة ، وأرزاقكم فى كل شهر ، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم . فإذا أنا وفيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكافئة ، وإن أنا لم أوف لكم فلكم أن تخلعونى ، إلا أن تستتيبونى فإن أنا تبت قبلتم منى وإن عرفتم أحداً يقوم مقامى ممن يُعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من بايعه ودخل فى طاعته

أيها الناس ، لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

فلما بويع مَرْوانُ بنُ محمد نبشه وصلبه .

وكانوا يقرؤن فى الكتب . يا مبذر الكنوز ، يا سجاداً بالأسحار ، كانت ولايتك رحمة ، وعليهم حُجة ، أخذوك فصلبوك

﴿ خطبة يوسف بن عمر (١) ﴾

قام خطيباً فقال :

اتقوا الله فكم من مؤمل أملا لا يبلغه ، وجامع مالا لا يأكله ، ومانع عما

(١) يوسف بن عمر : هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفى ، كان يكنى أبا عبدالله . كان من ولاة بنى أمية ومن جبابرتهم . ولى اليمن لهشام ثم ولاه العراق

سوف يتركه ، ولعله من باطل جمعه ، ومن حق منعه ، أصابه حراماً ، وأورثه عدواً ، فاحتمل إصره ، وباء بوزره ، وورد على ربه آسفاً لاهثاً ، قد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين

﴿ كلام زعماء الوفود عند عمر بن الخطاب ﴾

بشار بن عبد الحميد ، عن أبي ريحانة قال : وفد هلال بن وكيع ، والأحنف بن قيس ، وزيد بن جَبَلَة ، على عمر . فقال هلال بن وكيع :

يا أمير المؤمنين ، إنا لُباب من خَلفنا ، وغرّة مَن وراءنا من أهل مِصرنا ، فإنك إن تصرفنا بالزيادة في أعطياتنا ، والفرائض لعيالاتنا ، يزيد ذلك الشريف تأميلا ، وتكن لذوى الأحساب أباً وصولا ، فإنا إن نكن — مع ما نمتّ به من فضائلك ، وندلى من أسبابك — كالجدّ الذى لا يحل ولا يرحل ، نرجع بأنف مصلومة ، وجدود عاثرة ، فامتحنا [1] وأهلينا بِسَجْلٍ من سِجالك المترعة

وقام زيد بن جبلة فقال :

يا أمير المؤمنين ، سَوِّدِ الشريف ، وأكرم الحسيب ، وازرع عندنا من

بعد خالد بن عبد الله القسرى سنة ١٢٠ هـ وأطلق يده في خالد فسجنه وعذبه حتى مات في سجنه ، وكذلك كان شأنه مع بلال بن أبي بردة . فلما ولى يزيد بن الوليد سنة ١٢٦ هـ عزله وولى مكانه منصور بن جمهور ، فلما أحس يوسف بن عمر بذلك هرب إلى الشام فظفر به هناك فسجن . ثم انتهز يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى فرصة سجنه فدخل عليه فقتله في السجن وأدرك ثأر أبيه وذلك في سنة ١٢٦ هـ ٧٤٣ م وفى ولاية يوسف بن عمر العراق خرج زيد بن على زين العابدين وبويع له بالخلافة وشهر الحرب على عمال السلطان فجمع له يوسف جموعا وجرى بينهما قتال شديد أصاب زيداً فيه سهم عاثر أثبت خوذته في جبهته فخر صريعاً ، وكان زيد من عظماء أهل البيت علماً وزهداً وورعاً وشجاعة وديناً وكرماً . وفي بعض الأخبار أن الرأس الوحيد الذى ورد القاهرة ودفن بها إنما هو رأس زيد ، وهو بالمقام الذى يطلق عليه العامة مقام زين العابدين بخط السيدة زينب

(١) فى نسخة : فمحنا . وليس الخطاب من هذا الباب ، وإنما المراد ما أثبتناه

أياديك ما نسد به الخصاصة ، ونطرد به الفاقة ؛ فإنا بقف من الأرض يابس الاكناف ، مُقشعر الذروة ، لا شجر فيه ولا زرع ، وإنا من العرب اليوم إذ أتيناك بمرآى ومسمع

فقام الأحنف فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرص قائد الحرمان ، فاتق الله فيما لا يغنى عنك يوم القيامة قيلا ولا قالا ، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والانصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود واسماحة الممتاح ، فان كل امرئ إنما يجمع فى وعائه ، إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين ، وتخونهم الألسن ، فلا يوفد إليك يا أمير المؤمنين

﴿ خطبة الحجاج بن يوسف ﴾

خطب أهل العراق بعد دَير الجماجم فقال :

يا أهل العراق ، إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف ، ثم أفضى الى الاسخاخ[1] والأصماخ ، ثم ارتفع فمشش ، ثم باض وفرخ ، فحشاكم نِفاقاً وشقاقا ، وأشعركم خلافا ، أخذتموه دليلا تتبعونه ، وقائداً تطيعونه ، ومؤامراً تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظكم وقعة ، أو يحجركم اسلام ، أو ينفعكم بيان ؟ ألستم أصحابى بالأهواز حيث رمتم المكر ، وسعيتم بالغدر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته ؟ وأنا أرميكم بطرفى وأنتم تتسللون لِواذاً وتنهزمون سراعا ؟ ثم يوم الزاوية ، ومايوم الزاوية ، بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونُكوص وليكم عنكم إذ ولّيتم كالابل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها ، لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حتى عضكم السلاح ، وقعصتكم[2] الرماح . ثم يوم دَير الجماجم ، وما يوم دير الجماجم ، بها كانت المعارك والملاحم ،

(١) في نسخة : الاخاخ . ولا معنى لها والصحيح ما اثبتناه (٢) فى نسخة: وقصمكم . وظاهر خطأ هذا التعبير . والصحيح ما أثبتناه

بضرب يُزيل الهام عن مَقيله ، ويُذهل الخليل عن خليله

يا أهل العراق ، الكفرات بعد الفجرات ، والغدرات بعد الخترات ، والنزوة بعد النزوات . إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم ، وإن أمنتم أرجفتم ، وإن خفتم نافقتم ؛ لا تذكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة . هل استخفكم ناكث ، أو استغواكم غاو ، أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالع ، إلا تبعتموه وآويتموه ، ونصرتموه ورحبتموه ؟

يا أهل العراق ، هل شَغَب شاغب . أو نَعَب ناعب ، أو زفرزافر ، إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؟

يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوقائع ؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال :

يا أهل الشام ، إنما أنا لكم كالظليم [1] الرامح عن فراخه ، ينفى عنها المدر ، ويباعد عنها الحجر ، ويكنها من المطر ، ويحميها من الضِّباب ، ويحرسها من الذئاب

يا أهل الشام ، أنتم الجُنَّة والرداء ، وأنتم العدة والحذاء

﴿ فضيلة الصبر على المصيبة ﴾

وقال رجل لحُذيفة : أخشى أن أكون منافقاً . فقال : لو كنت منافقاً لم تخش ذلك . وقال آخر : إعلم أن المصيبة واحدة إن صبرت ، وإن لم تصبر فهما مصيبتان ، ومصيبتك بأجرك أعظم من مصيبتك بميتك وقال صالح بن عبد القدوس :

إنْ يَكُنْ ما بِهِ أُصِبْتَ جَلِيلاً فَذَهَابُ العَزَاءِ فِيهِ أجلُّ

وقال آخر : تعز عن الشيء إذا منُعته ، لقلة ما يصحبك إذا أعطيته . وما خفف الحساب وقلله ، خير مما كثَّرَه وثقَّله

وحدثنا أبو بكر الهذلى ، واسمه سلمى ، قال : إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل : إذا كان حلالا ، وكثرت الأيدى عليه ، وسُمى الله فى أوله ، وحمد فى آخره

---

(١) الظليم : ذكر النعام

﴿ خطبة زياد بن أبى سفيان ﴾

وخطب زياد فقال :

استوصوا بثلاثة منكم خيراً : الشريف ، والعالم ، والشيخ ، فوالله لا يأتينى شيخ بشاب قد استخف به إلا أوجعته ، ولا يأتينى عالم بجاهل استخف به إلا نكلتُ به ، ولا يأتينى شريف بوضيع استخف به إلا انتقمت له منه

على بن سليم قال: قال حاتم طى لعدى ابنه : أى بُنىّ ، إن رأيت أن الشر يتركناك إن تركته فاتركه . قال : وقال عدى بن حاتم لابن له : قم بالباب فامنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف . قال : لا والله ، لا يكون أول شىء وليته من الدنيا منع قوم من طعامك . وقال مدينى لعبد الملك بن مروان ودخل عليه بنوه : أراك الله فى بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى بنيك فيك ما أراك فى أبيك .

وقال ابن شُبرمة [1] : ذهب العلم إلا عبارات فى أوعية سوء

الهيثم بن عدى [2] عن ابن عياش عن أبيه قال : خرج الحجاج إلى الفارسان ، فإذا هو بإعرابى فى زرع . فقال له : ممن أنت ؟ قال من أهل عُمان . قال : فمن أىّ القبائل ؟ قال : من الأزد . قال : ما علمك بالزرع ؟ قال : إنى لأعلم من ذلك علماً . قال : فأىّ الزرع خير ؟ قال : ما غلظ قصبه ، واعتم نبته ، وعظمت جُثته ، وطالت سنبلته . قال : فأى العنب خير ؟ قال : ما غلظ عموده ، واخضر عوده ، وعظم عنقوده . قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غلظ لِحاؤه ، ودق نواه ، ورق سحاؤه

﴿ باب من اللغز فى الجواب ﴾

قالوا : كان الحطيئة يرعى غنما وفى يده عصا ، فمرّ به رجل . فقال : يا راعى

---

(١) ابن شبرمة : هو عبد الله بن شبرمة . كان قاضياً لأبى جعفر المنصور على سواد الكوفة ، وكان شاعراً فصيحاً ، ومتكلماً بليغاً حسن الخلق جواداً . وكان يقول لابنه : يا بنى ، لا تمكن الناس من نفسك فان أجرأ الناس على السباع أكثرهم لها معاينة . مات سنة ١٤٤ هـ ٧٦١ م

(٢) الهيثم بن عدى : هو من طيء . كان راوية اخبارياً ، وكان يرى رأى الخوارج . وقد يروى الضعيف والمصنوع ولد سنة ١٢٨ هـ ٧٤٥ م ومات سنة ٢٠٩هـ ٨٢٤م

الغنم ، ما عنـدك ؟ قال : عجراء من سلم — يعنى عصاه — قال : إنى ضيف . قال : للضيفان أعددتها

وقال ابن سليم : إن قَيس بن سعد بن عُبادة قال : اللهم ارزقنى حمداً ومجداً ، فإنه لا حمد إلا بفعال ، ولا مجد الا بمال

قال خالد بن الوليـد لأهل الحيرة : أخرجوا إلىّ رجلا من عُقلائكم . فأخرجوا اليه عبدالمسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بُقيلة [1] الغسانى ، وهو الذى بنى القصر ، وهو يومئذ ابن خمسين وثلثمائة سنة . فقال له خالد : من أين أقصى أثرك ؟ قال : من صلب أبى . قال : فمن أين خرجت . قال : من بطن أمى . قال : فعلام أنت ؟ قال : على الارض . قال : ففيم أنت ؟ قال : فى ثيابى . قال : ماسنك ؟ قال : عَظم . قال : أتعقل لاعقلت ؟ قال : إى والله وأقيد . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد . قال : كم أتى عليك من الدهر ؟ قال : لو أتى على شىء لقتلنى . قال : ماتزيدنى مسألتك إلا غمّا . قال : ما أجبتك إلا عن مسألتك . قال : أعرب أنتم أم نبط ؟ قال : عرب استنبطنا ونبط استعربنا . قال : فحرب انتم أم سلم ؟ قال : سلم . قال : فما بال هذه الحصون ؟ قال : بنيناها للسفيه حتى يجىء الحليم فينهاه . قال : كم أتت عليك سنة ؟ قال : خمسون وثلثمائة . قال : ما أدركت ؟ قال : أدركت سفن البحر ترفأ إلينا فى هذا الجرف ، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مكتلها على رأسها ولا تتزود إلا رغيفا واحداً ، فلا تزال فى قُرى مخصبة متواترة حتى ترد الشام . ثم قد أصبحت خرابا يبابا ، وذلك دأب الله فى العباد والبلاد .

(١) ابن بقيلة . فى الأصل نفيلة ، وليس في أجداد عبد المسيح من اسمه نفيلة . ولهذا أثبتنا الصواب وهو بقيلة . وقوله : وهو الذى بنى القصر : قال ابن دريد فى كتاب الاشتقاق : وبقيلة هو الذى بنى القصر كما بنى ديراً بظاهر الحيرة يعرف بدير الجرعة . وعبد المسيح هو الذى صالح خالد بن الوليد على الحيرة . وكان من أكابر قومه العباديين ورؤسهم ، وكان ذا حكمة وبيان وفصاحة ولسان ، وكان يقول الشعر . مات على النصرانية

وأتى أزهرَ بن عبد الحارث رجل من بنى يربوع فقال : ألا أدخل ؟ قال : وراءك أوسع لك . فقال : إن الشمس أحرقت رجلىّ . قال : بُلْ عليهما تبردا . قال : يا آل يربوع . قال : ذليلا دعوت . يابنى حُرَيص أطعمتكم عاما أول جلة فأكلتم جلتكم وأغرتم على جلة الضيفان .

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : أجمعت القرآن ؟ قال : أمتفرقا كان فأجمعه؟ قال : أتقرأ ظاهراً ؟ قال : بل أقرؤه وأنا أنظر إليه ، قال : أتحفظه ؟ قال : أخشيت فراره فأحفظه ؟ قال : ما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : لعنه الله ولعنك معه . قال : إنك مقتول فكيف تلقى الله ؟ قال: ألقاه بعملى وتلقاه بدمى

وقال لقمان لابنه وهو يعظه :

يا بنى : إزحم العلماء بركبتيك ، ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا بلاغك ، وأنفق فضول كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كَلاًّ ، وصم يوماً يكسر شهوتك ، ولا تصم يوماً يضرّ بصلواتك ، فان الصلاة أفضل من الصوم . وكن كالأب لليتيم ، وكالزوج للأرملة ، ولا تحاب القريب ، ولا تجالس السفيه ، ولا تخالط ذا الوجهين ألبتة

وسمع الأحنف رجلا يطرى يزيد عند معاوية ، فلما خرج من عنده استحنفر[1] فى ذمهما ، فقال الأحنف : مهْ ، إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً . وقال سعيد بن أبى عروبة : لأن يكون لى نصف وجه ونصف لسان — على ما فيهما من قبح المنظر وعجز المخبر — أحب إلىّ من أن أكون ذا وجهين ، وذا لسانين ، وذا قولين مختلفين

وقال أيوب السختيانى[2] : النمام ذو الوجهين أحسنَ الاستماع ، وخالف فى الابلاغ .

---

(١) استحنفر : بالغ ومضى متوسعاً فى الذم

(٢) أيوب السختيانى : هو أيوب بن أبى تميمة . وكان أيوب يكنى أبا بكر ، وهو مولى بنى عمار بن شداد ، وكان عمار مولى لعنزة ، فهو مولى مولى . وكان ناسكا متزهداً ولد سنة ٦٨ هـ ٦٨٧ م ومات بالطاعون بالبصرة سنة ١٣١ هـ ٧٤٨ م

﴿ كتاب عمر الى معاوية ﴾

حفص بن صالح الأزدى، عن عامر الشعبي قال : كتب عمر الى معاوية:

أما بعـد فانى كتبت إليك بكتاب فى القضاء لم آلك ونفسى فيه خيراً . الزم خمس خصال يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك : إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة ، واليمين القاطعة ، وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه ، وتعهد الغريب فإنك ان لم تتعهده ترك حقه ورجع إلى أهـله ، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به ، وآس بينهم فى لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس مالم يستبن لك فصل القضاء

أبو يوسف[1] عن العرزمى عمن حدثه عن شريح أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتب إليه : لا تشار ولا تمار ولا تبع ولا تبتع فى مجلس القضاء ، ولا تقض بين اثنين وأنت غضبان

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علم ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأى .

قال الهلالى : لما ولّى يزيد بن معاوية سَلم بن زياد على خُراسان قال له : إن أباك كفى أخاه عظيما وقد استكفيتك صغيراً ، فلا تتكلنّ على عُذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك . وإياك منى قبل أن أقول إياى منك ، فإن الظن

---

(١) ابو يوسف : هو القاضى الشهير يعقوب بن ابرهيم بن حبيب، من بجيلة . كان حافظاً من أصحاب الحديث ، وكان يروى عن الأعمش وهشام بن عروة وغيرهما، ثم لزم أبا حنيفة وصار من أصحاب الرأى . ولى قضاء بغداد وهو أول من لقب « قاضى القضاة » وما زال في القضاء حتى مات في عهد هارون الرشيد . وكان ولده يوسف يلى قضاء الجانب الغربى من بغداد فى حياة أبيه . وأبو يوسف هو أكبر أصحاب الامام أبى حنيفة والمقدم فيهم،وهو أول من وضع الكتب على مذهب أبى حنيفة وأملى المسائل ونشرها وبث علم أبى حنيفة فى أقطار الأرض،ولولاه ماعرف أبوحنيفة إلا بين إخوانه . ولأبى يوسف من المصنفات : الأمالى والنوادر . وكتاب الخراج . كانت وفاته سنة ١٨٢ هـ ٧٩٨ م

إذا أخلف منك أخلف منى فيك . وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه . وقد أتعبك أبوك فلا تريحنّ نفسك ؛ وكن لنفسك تكن لك . واذكر فى يومك أحاديث غدك تسعد إن شاء الله تعالى

ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الاشداق . قال المازنى[1] :

مَنْ كانَ يَزْعُمُ أنَّ بِشْرًا مُلْصَقٌ ... فاللهُ يَجْزِيهِ وَرَبُّكَ أعْلَمُ
يُنْبِيكَ نَاظِرُهُ وَقِلَّةُ لَحْمِهِ ... وَتَشَادُقٌ فِيهِ وَلَوْنٌ أسْحَمُ
إن الصَّرِيحَ المَحْضَ فِيهِ دَلاَلَةٌ ... وَالعِرْقُ مُنْكَشِفٌ لِمَنْ يَتَوَسَّمُ
أمّا لِسَانُكَ وَاحْتِبَاؤُكَ قَاعِدًا ... فَزَرَارَةُ العُدُسِيُّ عِنْدَكَ أعْجَمُ
إنى لأَرْجُو أنْ يَكُونَ مَقَالُهُمْ ... زُورًا وَشَانِيَكَ الحَسُودُ المُرْغَمُ

وفى مثل ذلك يقول مورق العبدى[2] :

قَدْ عَلِمَ الغَرْبِيُّ وَالمُشَرِّقُ ... أنَّكَ فى القَوْمِ صَمِيمٌ مُلْصَقُ
عُودَاكَ نَبْعٌ وَهَشِيمٌ بورقُ ... وَأنْتَ جَدْبٌ وَرَبِيعٌ مُغْدِقُ
وأنْتَ لَيْلٌ وَنَهَارٌ مُشْرِقُ ... لَوْلاَ عَجُوزٌ قَحْمَةٌ وَدَرْدَقُ
وَصَاحِبٌ جَمُّ الحَدِيثِ مُونِقُ ... كَيْفَ الفَوَاتُ وَالطَّلُوبُ مُورِقُ
شَيْخٌ مَغِيظٌ وَسِنَانٌ يُبْرِقُ ... وَحَنْجَرٌ رَحْبٌ وَصَوْتٌ مصلقُ

(١) المازنى : هو أبو عثمان بكر بن محمد المازنى النحوى البصرى . روى عن أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد . وعنه روى المبرد والفضل بن محمد اليزيدى وغيرهما . وكان حجة ثبتا فى العربية واسع الرواية . وكان يميل إلى مذهب « المرجئة » ولا يناظره أحد إلا قطعه لقدرته على الكلام . سئل يوماً عن أهل العلم فقال : أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف . وأهل الحديث فيهم حشو ورقاعة . والشعراء فيهم هوج . والنحاة فيهم ثقل ، وفى رواة الأخبار الظرف كله . وله مصنفات عده . مات سنة ٢٤٨ هـ ٨٦٢ م

(٢) لم نعثر فيما بين أيدينا من الكتب على تعريف لهذا المورق . ولم نجد هناك من العبديين أى المنسوبين لعبد القيس إلا المثقب وهو عائذ بن محصن ، والممزق وهو شاس بن نهار ، والحصيص وهو عامر بن زيد مناة . والمطلع وهو ربيعة بن ليث . وكل هذا لا يمنع وجود هذا المورق

وشِدْقٌ ضِرْغامٍ ونَابٌ يخُرقُ وشَاعِرٌ باقِي الرُّسُوم مُغْلِقُ

﴿ باب فى صفة الرائد للغيث ، وفى نعته للارض ﴾

قال أبو المجيب : وصف رائدٌ أرضاً جدبةً فقال : اغبرّت جادّتُها ، وذَرَع مرتعها ، وقَضِم شجرها ، ورقت كرشها ، وخوِر عظمها ، والتقى سرْحاها ، وتميز أهلها ، ودخل قلوبَهم الوهل [١] ، وأموالهم الهزل

قال : الجادّة : الطريق إلى الماء ، والجمع جوادّ . والتقى سرحاها : يقول إذا أكل كل سارح مايليه التقيا عند الماء . وإذا لم يكن للجمال مرعى إلا الشجر وحده رقت أكراشه . وقوله تميز أهلها تفرقوا فى طلب الكلأ . ومرتع مذرع اذا كان بعيداً من الماء ، ومرتع قاصر إذا كان قريباً من الماء ، ويقولون كلأ قاصر للقريب ويقولون ماء مطنب وماء مطلب إذا ألجأهم إلى طلبه من بُعده

ووصف أعرابى أرضا أحمدها فقال ، خَلَع شِيحُها ، وأبقل رِمْثا [٢] ، وخضب عرفجها [٣] ، واتسق نبتها ، وأخضرت قُريانها [٤] ، وأخوصت بُطنانها ، وأحلست أكمامها ، وأعتم نبت جرائيمها ، وأجرت بقلتها وذرقنها وخبازتها ، واحورت خواصر إبلها ، وشكرت حَلوبتها ، وسمنت قَتُوبتها ، وعمدثراها ، وعقدت تناهيها واماهت ثمارها [٥] ووثق الناس بصائرها

قال : ويقال خلع الشيح إذا أورق ، الخالع من العضاه الذى لا يسقط ورقه أبدا ، وكذلك السدر لا يتجرد ، وكل شجر له شوك فهو عضاه والواحد عِضَه إلا القتاد ، ولا يعبل إلا الأرطى . ويقال كلح الشجر إذا أخوصت بطنانها إذا نبت فيه قُضبان رقاق . وخضب عرفجها يقول أسود . وأخوص الشجر وهو الذى لا شوك له ، ومن العضاه قشره وقصده ، فاذا يبست فهى عود . اتسق نبتها أى تتام . أجرت بقلتها أى نبت فيها مثل الجراء جمع جرو . والعلفة ثمرة الطلح والحبلة للسلم واحورت خواصر ابلها تشد أحناها على خواصرها كى لا تحيط ، والحبط انتفاخ

(١) الوهل : الخوف والفزع (٢) الرمث نبت تراعاه الابل (٣) العرفج : شجر ينبت في السهل (٤) القريان : مجارى السيول (٥) أماهت : ملئت ماء

بطنها من مرعى ترعاه ، قيل للنبى ﷺ : أيضر العبط ؟ قال : نعم كما يضر الحبط . وشكرت يقول غزرت . وقوله عمد ثراها وذلك إذا قبضت منه على شيء فتعقد واجتمع من ندوته ، يقال عمد الثرى يعمد عمداً وهو ثرى عمد ، فالعمد أن يجاوز الثرى المنكب ، وهو أن تقيس السماء بالمرفق ، فيقول بلغت وضح الكف ، ثم الرسغ ، ثم العظمة ، ثم المرفق ، ثم ينصف العضد ، ثم يبلغ المنكب ، فاذا بلغ المنكب قيل عمد الثرى ، فيقال : إن ذلك حيا سنين . والتناهى واحدتها تنهية وهو مستقر السيل ، وعقدها أن يمر السيل مقبلا حتى إذا انتهى منتهاه دار بالابطح حتى يلتقى طرفا السيل . والصائرة الكلأ والماء

﴿ خطبة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ﴾

قالوا: قاتل الحجاجُ ابنَ الاشعث فى المربد فخطب ابنُ الاشعث الناس فقال:

أيها الناس ، انه لم يبق من عدوكم إلا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب بها يميناً وشمالا ، فما تلبث إلا أن تموت

فمرّ به رجل من بنى قشير فقال : قبح الله هذا ورأيه ، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس ، ويعدهم الاضاليل . ويمنيهم الباطل !

وناس كثير يرون ان ابن الأشعث هو المحسن دون القُشيرى .

قال بشار :

وَحَمْدٍ كَعَصْبِ البُرْدِ حَمَّلْتُ صَاحِبِى إلى مَلِكٍ لِلصَّالِحَاتِ قَرِينِ

وقال آخر :

وَبِكْرٍ كَنَوَّارِ الرِّيَاضِ حَدِيثُهَا تَرُوقُ بِوَجْهٍ وَاضِحٍ وَقَوَامِ

أبو الحسن: كان معاوية يأذن للاحنف أول من يأذن له . فأذن له يوماً ثم أذن لمحمد بن الاشعث حتى جلس بين معاوية والاحنف ، فقال له معاوية:

لقد أحسست من نفسك ذلا ، إنى لم آذن له قبلك إلا ليكون إلىّ فى المجلس دونك ، وإنا كما نملك أموركم نملك تأديبكم ، فأريدوا ما يراد بكم فإنه أبقى لنعمتكم وأحسن لأدبكم

وقال النبى ﷺ لأصيل الخزاعى . ياأصيل ، كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها وقد أحجن ثمامها ، وأمشر سلَمها ، وأعذق إذخرها . فقال ﷺ دع القلوب تقر

وسأل أبو زياد الكلابى الصتيلَ العقيلى حين قدم من البادية عن طريقه فقال: انصرفت من الحج فأصعدت إلى الرَّبذَة فى مَقَاطِ الحَرَّةِ ووجدت بها صلالا من الربيع من خضمة خمص وصليان وقرمل حتى لو شئت لأنخت إبلى فى أذن القفعاء ، فلم أزل فى مرعى لا أحسن منه شيئاً حتى بلغت أهلى

وقال سلام الكلابى : رأيت ببطن فلج منظراً من الكلأ لا أنساه : وجدت الصفراء والحمراء يضربان نحور الإبل ، تحتهما قفعاء وحربث قد أطاع وأمسك بأفواه الماء — أى لا تقدر أن ترفع رؤسها — وتركت الحوذان ناقعة فى الأجارع . وذم أرضاً فقال : وجدنا أرضاً ماحلة مثل جلد الأجرب ، تصىء حيَّاتها ولا يسكت ذيبها ، ولا يقيد راكبها

وقال النضر : قلت لأبى الخضير : ما أعجب ما رأيتَ من الخصب ؟ قال : كنت أشرب رئثة نحرها الشفتان جرًّا ، وقارصاً ممارصاً إذا تجشأت جدع أنفى . ورأيت الكمأة تدوسها الإبل بمناسمها ، والوضر يشمه الكلب فيعطس

قال الأصمعى : قال المنتجع بن نبهان : قال رجل من أهل البادية : كنت أرى الكلب يمر بالخصفة عليها الخلاصة فيشمها ويمضى عنها

محمد بن كناسة قال: أخبرنى بعض فصحاء أعراب طىّ قال : بعث قوم رائداً . فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشب وتعاشيب ، وكمأة متفرقة شيب ، تقلعها بأخفافها النيب . قالوا : لم تصنع شيئاً ، هذا كذب . فأرسلوا آخر ، فقالوا : ما وراءك . قال : عُشب نأد مأد ، مولى وعهد ، متدارك جمد ، كأنخاذ نساء بنى سعد ، تشبع منه الناب وهى تعد . وقال: لان النبت إذا كان قليلا وقفت عليه الإبل وإذا كان كثيراً أمكنها الأكل وهى تعدو

وقالوا : بعث رجل أولاده يرتادون فى خصب . فقال أحدهم : رأيت بقلا ،

وماء غيلا ، يسيل سيلا ، وخوصة تميل ميلا ، يحسبها الرائد ليلا . وقال الثانى : رأيت ديمة على ديمة فى عهدها غير قـيمة ، وكلأ تشبع منها الناب قبل العظيمة

وقال أبو مجيب : قيل لأوفى بن عبيد : ائت وادى كذا وكذا فارتده لنا . فقال : وجدت به خشباً هرمى ، وعشباً شرمى . قال : والهرمى ليس له دخان إذا أوقد من يبسه وقدمه . والشرمى : العشب الضخم يقال هذا عشب شرم

وقال هرم بن زيد الكلبى : إذا أحيا الناس قيل : قد أكلأت الأرض ، واخرَنْفَشَتِ العنز لأختها ؟ ولحس الكلب الوضر

وقال آخر : نفاش العنز أن ينتفش شعرها وتنصب رَوْقيها فى أحد شقيها لتنطح صاحبتها ، وإنما ذلك من الأَشَر حين ازدهت وأعجبتها نفسها . ولحس الكلب الوضر لما يفضلون منه لأنهم فى الجدب لا يدعون للكلب شيئاً يلحسه

قال أبو مجيب : إذا أجدب الرائد قال : وجدت أرضاً أرمى عشمى . فأما العشمى فالتى يرى فيها الشجر الأعشم وإنما يعشم من الهبوة ، ويقال للشيخ إنما هو عشمة . فأما الأرمى فالتى أرمت فليس فيها أصل شجرة

قال أبو عبيـدة : قال بعض الأعراب . تركت جراداً عراداً كأنها نعامة باركة . يريد التفاف نبتها وهى من نبت بلاد تميم

وقيل لاعرابى : ما وراءك ؟ قال : خلفت أرضاً تظالم معزاها . يقول سمنت وأشرت فتظالمت ، وتقول العرب : ليس أظلم من حيـة . وتقول العرب : ليس أظلم من ورل ، وأظلم من ذئب ، كما تقول : أغدر من ذئب ، وكما تقول : أكسب من ذئب ، قال الأسدى :

لَعَمْرُكَ لوْ أُنِّى اخاصِمِ حَيَّةً ... إلى قَعْسَ ما أنْصَفَتْنِى فَقَعْسُ

إذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِى وبَيْنَهُمْ ... أتَى حاطِبٌ منهُمْ لآخَرَ يَقْبِسُ

فَمَالَكُمُ طُلْساً إلىَّ كأنَّكُمْ ... ذِئابُ الغَضا والذِّئْبُ بالليْلِ أطْلَسُ

وقال الفزارى :

وَلوْ أُخاصِمُ أفْعَى نابُها لَتِقٌ ... أوِ الأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الأَهاضِيبِ

وَلَوْ أُخاصِمُ ذِئْبًا فى أَكِيلَتِهِ ... لَجَاءَنِى جَمْعُهُمْ يَسْعَى مَعَ الذِّيبِ

يقول بلغ من ظلم قومنا لنا أنا لو خاصمنا الذئاب والحيّات — وبها يضربون المثل فى الظلم — لقضوا لها علينا

وقالت العرب : إذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة . هذا فى قلة المُشب ، وإنما تلحسه الناقة لقلته وقصره

وحدثنا أبو زياد الكلابى قال : بعث قوم رائداً لهم بعد سنين تتابعت عليهم فلما رجع إليهم قالوا له : ما وراءك ؟ قال : رأيت بقلا يشبع منه الجمل البروك . وتشكت منه النساء ، وهمّ الرجلُ بأخيه .

قال : أما قوله الجمل البروك يقول : لو قام قائما لم يتمكن منه لقصره . وأما قوله : وتشكت منه النساء فانه مأخوذ من الشَّكوة والشِّكاء أصغر الوطاب . يقول: لم يكثر اللبن بعد فيمخض فى الوطاب . وقوله وهم الرجل بأخيه أى هم أن يدعوه إلى منزله كما يصنعون فى أيام الخصب

وقال غيره : الخصب يدعو إلى طلب الطوائل ، وغزو الجيران ، وإلى أن يأكل القوى مَن هو أضعف منه . وقالوا فى الكلأ : كلأ تشبع منه الابل مُعقلة . وكلا حابس فيه كمرسل

يقول : من كثرته سواء عليك حبستها أو أرسلتها . وتقول كلأ يتجع منه كبد المصرم . وأنشد الباهلى :

ثُمَّ مُطِرْنَا مَطْرَةً رَوِيَّهْ ... فَنَبَتَ البَقْلُ ولاَ رَعِيَّهْ

وأنشد الأصمعى :

فَجَنَّبَكَ الْجُيُوشَ أَبَا زُنَيْبٍ ... وَجَادَ عَلَى مَسَارِحِكَ السَّحَابُ

يجوز أن يكون دعاء عليه، وأن يكون دعاء له

وقال الآخر :

أَمْرَعَتِ الأَرْضُ لَوْ أَنَّ مالا ... لَوْ أَنَّ نَوْقًا لَكَ أَوْ جِمَالاَ أَوْ ثُلَّةً مِنْ غَنَمٍ إِمَّالا

وقال ابن الاعرابى : سأل الحجاج رجلا قدم من الحجاز عن المطر فقال :

تتابعت علينا الاسمية ، حتى منعت السُّفار ، وظالمت المعزى ، واحتلبت الدِّرَّة بالجرة

لقيط قال : دخل رجل على الحجاج فسأله عن المطر . فقال : ما أصابنى من مطر . ولكنى سمعت رائداً يقول : هلم أظعنكم إلى محلة تطفأ فيها النيران ، وتتنافش فيها المعزى ، وتبقى بها الجرّة ، حتى تنزل الدرة

أبو زيد قال : تخاصمت امرأتان إلى ابنة الخُس فى مراعى أبويهما ، فقالت الأولى : إبل أبى ترعى الأسيلح . قالت ابنة الخُس : رغوة وصريح ، وسنام إطريح . قالت الأخرى : مرعى إبل أبى الخلة . قالت ابنة الخُس . سريعة الدرة والجرة .

وقال الأحوص بن جعفر ، بعد ما كبر وعمى ، وبنوه يسوقون به : أى شىء ترتعى الابل ؟ قالوا : عرف الثمام والضغة . قال : سوقوا . ثم انها عادت فارتعت بمكان آخر فقال : أى شىء ترتعى الابل ؟ قالوا : العضاه والغمضة . قالوا : عود عويدٌ شبع بعيد . وقال : سوقوا . حتى إذا بلغوا بلداً آخر قال : أى شىء ترتعى الابل ؟ قالوا : نصيًا وصليانا . قال : مكفية لرعائها ، مطولة لذراها ، أرعوا واشبعوا . ثم سألهم فقال : أى شىء ترتعى الابل ؟ قالوا : الرِّمث . قال : خلقت منه وخلق منها .

قال أبو صاعد : وزعم الناس أن أول ما خلقت الابل من الرِّمث ، وعلامة ذلك أنك لا ترى دابة تريده الا الابل

وقيل لرؤبة : ما وراءك ؟ قال . الثرى يابس ، والمرعى عابس .

وقالت امرأة من الاعراب . أصبحنا ما يرقد لنا فرس ، وما ينام لنا حرس .

قالوا : كان أبو المجيب كثيراً ما يقول : لا أرى امرأة تصبّر عينيها ، ولا شريفاً يهنأ بعيراً ، ولا امرأة تلبس نطاق يمنة

وخطب بلال بن أبى بُردة بالبصرة فعرف أنهم قد استحسنوا كلامه فقال: لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم

وقال غيلان أبو مَروان . إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب

قال رجل من بنى سليم، وسأله الحجاج عن المطر، فقال : أصابتنا سحائب ثلاث: سحابة بحوران بقطر صغار وقطر كبار فكان الصغار للكبار لُحمة . ثم أصابتنا الثانية بسوء ، فلبدت الدِّماث ، ورحضت العزاز ، وأسالت التلاع ، وحرقت الرجع وصدعت الكمأة عن أماكنها . ثم أصابتنا الثالثة بالقربتين ، فملأت الآحاد ، وأفعمت كل واد ، وأقبلنا فى ماء يحر الضبع ويستخرجها من وجارها .

وقال رجل من بنى أسد لمحمد بن مَروان وسأله عن المطر فقال : ظهر الاعصار وكثر الغبار ، وأكل ما أشرف من الخبيثة ، وأيقنا أنه عام سنة .

قال أبو الحسن بن العتاب عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن الاسكندر كان لايدخل مدينة إلا هدمها وقتل أهلها حتى مر بمدينة كان مؤدّب فيها فخرج إليه فألطفه الاسكندر وأعظمه ، فقال له : أيها الملك ، إن أحق من زين لك أمرك وآتاك على كل ما هويت لأنا ، وإن أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكانى منك ، وأحب أن لا تشفعنى فيهم وأن تخالفنى فى كل ماسألتك لهم . فأعطاه من ذلك مالا يقدر على الرجوع عنه . فلما توثق منه قال : فان حاجتى أن تدخلها وتخربها وتقتل أهلها . قال : ليس إلى ذلك سبيل ولا بد من مخالفتك .

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج .

وقال يزيد بن المهلب وقد طال عليه حبس الحجاج : والهفاه على فَرَج فى جبهة أسد ، وطلبة بمئة ألف .

قال الاصمعى : دخل درست بن رباط الفقيمى على بلال بن أبى بُردة وهو فى الحبس ، فعلم بلال أنه شامت به ، فقال بلال : مايسرنى بنصيبى من الكره حمر النعم، فقال درست : فقداً كثر الله لك منه .

قال الهيثم بن عدى : كان سجان يوسف بن عمر يرفع إلى يوسف بن عمر أسماء الموتى ، فقال له بلال بن أبى بُردة بن أبى موسى الاشعرى: اقبض هذه

العشرة الآلاف درهم وارفع اسمى فى الموتى . قال : فرفع اسمه فى الموتى ، فقال يوسف بن عمر : جئنى به . فرجع إليه فاعلمه فقال : ويحك اتق الله فىّ فانى أخاف القتل . قال : وأنا أيضاً أخاف ماتخاف . ثم قال : قتلك أهون من قتلى ، ولا بد من قتلك . فوضع على وجهه مخدة فذهبت نفسه مع المال

وأما عبد الله بن المقفع [1] فان صاحب الاستخراج لما ألح عليه فى العذاب

(١) ابن المقفع : هو الكاتب البليغ الذى لم يتعلق بمنزلته فى الفصاحة والبلاغة وقوة البيان متعلق . كان والده داذويه خوزى ينتحل نحلة المجوس وكان يتولى للحجاج بن يوسف خراج فارس ، فنشأ ولده روزبة على ما ينشأ عليه أبناء اليسار ، وربى تربية اسلامية ، وأولع بالعلوم والآداب فجاء وهو في سن العشرين آية الآيات ، وكان على ميعة شبابه لا يشق له غبار في حسن البيان ومتانة التبيان كتب على عهد بنى أمية لداود بن يوسف بن عمر بن هبيرة وفى عهد الدولة العباسية لعيسى بن على العباسى عم السفاح ، وعلى يديه أسلم ثم كان آخر أمره فى خدمة أخيه سليمان بن على أيام ولايته على البصرة . وكتب له واختص به وتسمى بعبد الله . وكان يصوغ الكتب التى تنقل لأبى جعفر المنصور عن اليونانية والفارسية فى القالب العربى المبين فضلا عما كان ينقله هو إلى العربية من اللسان الفارسى من الأسفار البديعة النافعة مثل « كليلة ودمنة » و « التاج » و « الأدب الكبير » و « الأدب الصغير » و « اليتيمة » ويقال إن كتاب « كليلة ودمنة » من وضعه لا من نقله

ومن كلامه الدال على مأخذه قوله : شربت من الخطب ريا ، ولم أضبط لها رويا ، ففاضت ثم فاضت ، فلا هي نظاما ، وليس غيرها كلاما : والمراد بالخطب خطب الامام على كرم الله وجهه

وحدث شبيب بن شيبة قال : كنا وقوفا بالمربد (موضع بالبصرة) وكان المربد عائف الأشراف ، إذ أقبل ابن المقفع فبشبشنا به وبدأناه بالسلام فرد علينا السلام ثم قال : لو ملتم إلى نيروز وظلها الظليل . وسورها المديد ، ونسيمها العجيب،فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل، فان الذى تطلبونه لم تفلتوه ؛ ومهما قضى الله لكم من شيء تنالوه ؟ فقبلنا وملنا فلما استقر بنا المكان قال لنا :

أى الأمم أعقل ؟

فنظر بعضنا إلى بعض ، فقلنا لعله أراد أصله من فارس ؟ فقلنا : فارس

قال لصاحب الاستخراج . أعندك مال ؟ وأنا أربحك ربحا ترضاه ، وقد عرفت وفائى وسخائى وكتمانى ؟ فمبنى مقدار هـذا النجم . فاجابه الى ذلك ، فلما صار عليه مال ترفق به مخافة أن يموت تحت العذاب فيتوى ماله

وقال رجل لعمرو الغزال : مررت بك البارحة وأنت تقرأ . قال : لو أخبرتنى أى آية كنت فيها لاخبرتك كم بقى من الليل .

فقال : ليسوا بذاك ، إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيماً من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبث فيهم عقد الأمر ، فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم في نفوسهم.

قلنا : فالروم	قال : أصحاب صنعة
قلنا : فالصين	قال : اصحاب طرفة
قلنا : فالهند	قال : أصحاب فلسفة
قلنا : فالسودان	قال : شر خلق الله
قلنا : فالترك	قال : كلاب مختلسة
قلنا : فالخزر	قال : بقر سائمة
قلنا : فقل	قال : العرب . . . فضحكنا . . .

فقال : أما أنى ما أردت موافقتكم ولكن إذ فاتنى حظى من النسبة فلا يفوتنى حظى من المعرفة . إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرت ، أصحاب إبل وغنم ، وسكان شعر وأدم ، يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ؛ أدبتهم أنفسهم ، ورفعتهم همهم ، وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم ، فلم يزل حباء الله فيهم ، وجباؤهم فى أنفسهم حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر ؟ الخير فيهم ولهم ، قال سبحانه « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خصم ، ودفع الحق باللسان أكبت للجنان . قتل بدعوى الكيد للاسلام وبأتهامه بالزندقة . والحق أن ذلك كان لضغن عليه

ولد سنة ١٠٦ هـ ٧٢٤ م وقتله سليمان بن معاوية والى البصرة سنة ١٤٢ هـ ٧٥٩ م

وسمع مؤرج البصرى رجلا يقول : أمير المؤمنين يرد على المظلوم . فرجع إلى مصحفه فرد على براءة « بسم الله الرحمن الرحيم »

وكان عبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه يعطش ، وقيل له : ان شربت الماء مت . فأقبل ذات يوم بعض العواد فقال : كيف حال أمير المؤمنين ؟ قال : أنا صالح ، الحمد لله . ثم أنشأ يقول :

وَمُسْتَخْبِرٍ عَنَّا يُرِيدُ بِنا الرَّدَى ... وَمُسْتَخْبِرَاتٍ والْعُيُونُ سَوَاجِمُ

ويلكم، اسقونى ماء ولو كان فيه تلف نفسى . فشرب ثم مات

وكان حبيب بن مسلمة الفهرى رجلا غزّاءً للترك ، فخرج ذات مرة إلى بعض غزواته ، فقالت له امرأته : أين موعدك ؟ قال : سرادق الطاغية ، أو الجنة إن شاء الله تعالى . قالت: إنى لأرجو [أن] أسبقك إلى أى الموضعين كنت به . فجاء فوجدها فى سرادق الطاغية تقاتل الترك

ولما مدح الكُميت بنُ زيد الأسدى مُخلَّد بن يزيد المهلب قال له ابن بَيض: إنك يا أبا المستهل لكالجالب التمر إلى هَجَر . قال: نعم ، ولكن تمرنا أجود من تمركم .

وكان السيد الحِميرى مُولعاً بالشراب فمدح أميراً من أمراء الأهواز ثم صار إليه بمديحه له ، فلم يصل اليه وأغب الشراب ، فلما كان ذات يوم شرب ثم وصل اليه فجلس من بُعد ، فقرّب به وشم منه ريح الشراب فقال له : ما كنت أظن أبا هاشم يفعل هذا! ولكن يحتمل لمادح آل رسول الله ﷺ أكثر من هذا . يمازحه . ثم قال : ياجارية ، هلمى الدواة . ثم كتب إلى بعض وكلائه : ادفع إلى أبى هاشم مئتى دورق ميتحنحا . قال السيد : لقد كنت أظن الأمير أبلغ مما هو! قال : وأى شىء رأيت من العى ؟ قال : جمعك بين حرفين وأنت تجتزئ بأحدهما ، أمح هذه الخيشة بحنحا ودع مينا على حالها ففعل . وحمل الكتاب فأخذها غبيطا

عبد الله بن قائد قال : قالت امرأة الحصين بن المنذر للحصين : كيف سُدْت قومك ، وأنت بخيل ، وأنت دَميم ؟ قال : لأنى سديد الرأى شديد الإقدام

وقال مسلمة بن عبد الملك[1] لهشام بن عبد الملك . كيف تطمع فى الخلافة وأنت بخيل ، وأنت جبان ؟ قال : لأنى حليم ، وأنى عفيف . قال زبان :

(١) مسلمة بن عبد الملك : كان يكنى ابا سعيد . ويلقب الجرادة الصفراء ، لصفرة كانت تعلوه ، وكان شجاعاً باسلا ، وفارساً بطلا ، وقائداً دربا . فتح في الروم فتوحاً كثيرة بين بلاد وحصون وقلاع ، منها حصن طوانة . وحصن عمورية ، وأذارولية ، وهرقلة ، وقمونية ، وسبسطية . والزريانين ، وطرسوس ، وكثير غيرها مما يطول شرحه . وفي سنة ٩٨ هـ جهز سليمان بن عبد الملك جيشاً وعلى رأسه أخوه مسلمة لفتح القسطنطينية فعبر الخليج وحاصر المدينة . فلما أشتد على أهلها الحصار راسلوا مسلمة فى أن يعطوه عن كل رأس ديناراً فأبى إلا أن يفتتحها عنوة . فقال عظماء الدولة للاون البطريق : إن صرفت عنا المسلمين ملكناك علينا . فلما استوثق منهم جاء إلى مسلمة واستأمنه على نفسه وذويه ووعده أن يفتح له المدينة إذا هو تنحى بعسكره قليلا ليطمئن أهل المدينة ثم هو بعد ذلك حر في أن يكر عليهم . فانخدع مسلمة وتنحى إلى بعض الرساتيق . ودخل لاون فلبس التاج واقتعد السرير ، واعتزل الملك ثاوذوسيوس ولبس المسوح معتكفاً فى كنيسة ، ولما علم مسلمة بخديعة لاون كر راجعاً بجيوشه ونزل بفناء القسطنطينية ، وظل محاصراً لها أشهراً ولقى جنده ما لم يلقه جيش آخر حتى كان الرجل يخاف أن يخرج من العسكر وحده خوف أولئك الذين استجاشهم لاون من البلغار والفرنج والروم وغيرهم من الأجناس . ولما بلغ مسلمة موت سليمان رجع بجنوده عن القسطنطينية . ولمسلمة في بلاد الترك بلاء عظيم . ولما خرج يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك سار اليه مسلمة وقاتله وقتله وفرق جموعه وأهلك آل المهلب وقد كانوا أعضاد الدولة الأموية وحماتها . ولما انتهى من أمر آل المهلب جمع له أخوه يزيد ولاية الكوفة والبصرة وخراسان وذلك فى سنة ١٠١ هـ ٧١٩ م وتوفي مسلمة في عهد هشام سنة ١٢٣ هـ ٧٤٠ م . ورثاه الوليد بن يزيد بقوله:

أتانا بريدان من واسط ... يخبان بالكتب المعجمه
أقول وما البعد إلا الردى ... أمسلم لا تبعدن مسلمه
فقد كنت نوراً لنا في البلاد ... تضيء فقد أصبحت مظلمه
كتمنا لنعيك نخشى اليقين ... فجلى اليقين عن الجمجمه
وكم من يتيم تلافيته ... بأرض العدر وكم أيمه
وكنت إذا الحرب درت دما ... نصبت لها راية معلمه

إنَّ بَنِي بَدْرٍ يَرَاعٌ جُوفُ . كلُّ خَطِيبٍ مِنْهُمُ مَوْقُوفُ
أهْوَجُ لا يَنْفَعُهُ التَّثْقِيفُ

وقال لَبيد بن ربيعة :

وأبْيَضُ يُجْتَابُ الْخُرُوقَ عَلَى الْوَجَا خَطِيباً إذَا الْتَفَّ الْمَجَامِعُ فَيْصَلاَ

وقال فى تفضيل العلم والخطابة، وفى مدح الإنصاف وذم الشغب :

وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَابْتَلَيْتُ خَلِيقَتِي ولَقَدْ كَفَاكَ مُعْلِمِي تَعْلِيمِي

وقال لَبيد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أكْنَافِهِمْ وبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ
يَتَأَكَّلُونَ مَغَالَةً وَخِيَانَةً وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وإنْ لَمْ يَشْغَبِ

وقال زيد بن جندب :

مَا كَانَ أغْنَى رِجَالاً ضَلَّ سَعْيُهُمُ عَنِ الْجِدَالِ وأغْنَاهُمْ عَنِ الْخُطَبِ

وقال لقيط بن زُرارة :

إنِّي إذَا عَاقَبْتَ ذُو عِقَابٍ وَإنْ تُشَاعِبْنِي فَذُو شِغَابِ

وقال ابن أحمر :

وكَمْ حَلْمِها مِنْ تَيْحَانٍ سَمَيْذَعٍ مُصَافِي النَّدَى سَارٍ بِبَيْهَاءَ مُطْعِمِ
طَوِي الْبَطْنِ مِتْلاَفٍ إذَا هَبَّتِ الصَّبَا على الأَمْرِ غَوَّاصٍ وَفِي الْحَيِّ شَيْظَمِ

وقال الآخر :

وأغَرُّ مُنْخَرِقُ الْقَمِيصِ سَمَيْذَعٌ يَدْعُو لِيَغْزُو ظَالِمًا فَيُجَابُ
قَدْمَدَّ أرْسَانَ الْجِيَادِ مِنَ الْوَجَا فَكَأَنَّمَا أرْسَانُهَا أطْنَابُ

وقال الآخر :

كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ عِنْدَ خِيَانَةٍ وَيَدْنُو وَأطْرَافُ الرِّمَاحِ رِوَانِ
وكالسَّيْفِ إنْ لا يَنْتَهُ لاَنَ مَتْنُهُ وَحداهُ إنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

وقال آخر :

يُقَطِّعُ طَرْفَهُ عَنِّي سُوَيْدٌ وَلَمْ أذْكُرْ بِسَيِّئَةٍ سُوَيْدَا

تَوَقَّ حِدَادَ شَوْكِ الأَرْضِ تَسْلَمْ وَغَيْرَ الأُسْدِ فَاتَّخِذَنَّ صَيْدَا

وقال آخر :

لاتَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبِلَى فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالْ
كِلاَهُمَا مَوْتٌ وَلَكِنَّ ذَا أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالْ

وللحسين بن مطير :

رَأَتْ رَجُلاً أَوْدَى بِوَافِرِ لَحْمِهِ طِلاَبُ الْمَعَالِي وَاكْتِسَابُ الْمَكَارِمِ
خَفِيفَ الْحَشَا ضَرْباً كَأَنَّ ثِيَابَهُ عَلَى قَاطِعٍ مِنْ جَوْهَرِ الْهِنْدِ صَارِمِ
فَقُلْتُ لَهَا لاَ تَعْجَبِنَّ فَإِنَّنِي أَرَى سِمَنَ الْفِتْيَانِ إِحْدَى الْمَشَائِمِ

وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إذا رأى عبد الله بن عباس فى الأمر يعرض مع جلة أصحاب رسول الله ﷺ يقول : غص غواص

وقال ابن أحمر :

هَلْ لاَمَنِي قَوْمٌ لِمَوْقِفِ سَائِلٍ أَوْفِي مُخَاصَمَةِ اللَّجُوجِ الأَصْيَدِ

وقال لَبيد بن ربيعة فى التطبيق على قوله :

يا هَرِمَ بنَ الأَكْرَمِينَ مَنْصِبا إِنَّكَ قد أُوتِيتَ حُكْماً مُعْجِبا
فَطَبِّقِ الْمَفْصِلَ واغْنَمْ طَيِّبا

وقال آخر :

فَلَمَّا أَنْ بَدَا الْتَّعْقَاعُ لَجَّتْ عَلَى شَرَكٍ تُنَاقِلُهُ نِقَالاَ
تَعَاوَرْنَ الْحَدِيثَ وَطَبَّقَنْهُ كَمَا طَبَّقْتَ بِالنَّعْلِ الْمِثَالاَ

وقال ابن أحمر :

لَوْ كُنْتُ ذَا عِلْمٍ عَلِمْتُ وَكَيْفَ لِي بِالْعِلْمِ بَعْدَ تَدَبُّرِ الأَمْرِ

وقال :

لَيْسَتْ بِثَوْثَاةِ الْحَدِيثِ وَلا فَتِقٍ مُغَالِبَةٍ عَلَى الأَمْرِ

وقال :

تَضَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَكَلاَمُهَا مِنْ بَعْدِهِ نَزَرُ

وقال :

وَخَصْمٍ مُضِلٍّ فى الضِّجاجِ تَرَكْتُهُ وقدْ كانَ ذا شَغْبٍ فوَلَّى مُوَائِبا

وذكر على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أكتل بن شماخ العكلى فقال : الصبيح الفصيح . وهو أول من اتخذ بيت مال لنفسه فى داره

عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن الحسن ، عن النبى ﷺ قال : سيكون بعدى أمراء يعطون الحكمة على منابرهم وقلوبهم أنتن من الجيف

﴿خطبة للحجاج﴾

جعفر بن سليمان الضبعى ، عن مالك بن سليمان قال : غدوت إلى الجمعة فجلست قريباً من المنبر فصعد الحجاج المنبر ثم قال :

امرؤ زوّر عمله ، امرؤ حاسب نفسه ، امرؤ فكر فيما يقرأوه فى صحيفته ويراه فى ميزانه ، امرؤ كان عند قلبه زاجراً ، وعند همه ذاكراً ، امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله ، فإن قاده إلى طاعة الله قبله وتبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفه

وبعث عدى بن أرطاة إلى المهالبة أبا المليح الهذلى وعبد الله بن عبد الله ابن الأهتم والحسن البصرى ، فتكلم الحسن فقال عبد الله : والله ما تمنيت كلاماً قط أحفظه إلا كلام الحسن يومئذ

وتنقص ابنٌ لعبد الله بن عروة بن الزبير علياً رضى الله تعالى عنه فقال له أبوه : والله ما بنى الناس شيئاً قط إلا هدمه الدين ، وما بنى الدين قط شيئاً فاستطاعت الدنيا هدمه . ألم تر إلى علىّ كيف يظهر بنو مروان من عيبه وذمّه ؟ والله لكأنما يأخذون بناصيته رفعاً إلى السماء . وما ترى ما يندبون به موتاهم من التأبين والمديح ؟ والله لكأنما يكشفون به عن الجيف

أبو الحسن قال : قال عبد الله بن الحسن لابنه محمد حين أراد الاستخفاء : أى بنى ، إنى مؤدّ إليك حقّ الله فى حسن تأديبك ، فأدّ إلىّ حق الله فى حسن الاستماع . أى بنى ، كفّ الاذى ، وارفض البذاء ، واستغن عن الكلام بطول

الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسك فيها إلى القول ، فان للقول ساعات يضر فيها خطؤه ولا ينفع صوابه . احذر مَشُورة الجاهل وإن كان ناصحاً كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشًّا ، فانه يوشك أن يورطاك بمشورتهما فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل

وكان يقال : من لانت كلمته وجبت محبته ، ومن طال صمته اجتلب من الهيبة ماينفعه، ومن الوحشة مايضره

﴿ باب أن يقول كل انسان على قدر طبعه وخُلقه ﴾

قال قُتيبة بن مسلم للحُصين بن المنذر : ما السرور ؟ قال : امرأة حسناء ، ودار قوراء ، وفرس فاره مرتبط بالفِناء . وقيل لضرار بن الحسين : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وجلوس على السرير ، والسلام عليك أيها الامير . وقيل لعبد الملك بن صالح : ما السرور ؟ قال :

كلُّ الْكرَامَةِ نِلْتُها إلاَّ التَّحِيَّةَ بالسَّلامِ

وقيل لعبدالله بن الاهتم : ماالسرور ؟ قال : رفع الاولياء ، وحط الاعداء ، وطول البقاء ، مع القدرة على النماء .وقيل للفضل بن سهل : ما السرور ؟ قال : توقيع جائز ، وأمر نافذ .

أبو الحسن المدائنى قال: قيل لانسان بحرى : أى شىء تمنى ؟ قال: شربة من ماء الفنطاس ، والنوم فى ظل الشراع ، وريحاً ذ نبداذاً .

وقيل لطفيلى : كم اثنتين فى اثنتين ؟ قال : أربعة أرغفة . وقال الفلاس القصاص : كان أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر ثلثمائة وستين درهما . وقلت لملاح لى، وذلك بعد العصر فى رمضان : أنظركم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الارض ؟ قال : أكثر من مردبين ونصف . وقال آخر : وقع علينا اللصوص ، فأول رجل دخل علينا السفينة كان فى طول هذا المَردى ، وكانت فخذه أغلظ من هذا السُّكَّان ، واسودَّ وجه صاحب السفينة حتى صار أشد سواداً من هذا القير . وأردت الصعود مرة فى بعض القناطر وشيخ ملاح جالس وكان

يوم مطر وزلق ، فزلق حمارى فكاد يلقينى بجنبى ، لكنه تماسك فاقعى على عجزه فقال الشيخ الملاح : لا اله الا الله،ما أحسن ماجلس على كوثله . ومررت بتل طين أحمر ومعى أبو الحسين النحاس فلما نظر إلى الطين قال : أى اداري يجيء من هذا الطين . ومررنا بالخُلد بعد خرابه . فقال : أى اصطبلات تجيء من هذا الموضع

وقيل لبعضهم : ما المروءة ؟ قال : طهارة البدن ؟ والفعل الحسن . وقيل لمحمد بن عِمران : ما المروءة ؟ قال : أن لا تعمل فى السر شيئاً تستحى منه فى العلانية . وقيل للاحنف : ما المروءة ؟ قال : العفةوالحرفة . وقال طلحة بن عبيدالله المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة . وقيل لأبى هُريرة : ما المروءة ؟ قال : تقوى الله ، واصلاح الصنيعة ، والغداء والعشاء بالافنية

ونظر بكر بن الاشعر — وكان سجانا — مرة الى سوردار بجالة بن عبدة فقال : لا اله إلا الله ، أى سجن يجيء من هذا . وقال انسان صيرفى : باعنى فلان عشرين جريبا ودانقين ونصفاً ذهبا

ونظر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه الى عِير مقبلة فقال لابى ذر : ما كنت تحب أن تحمل هذه ؟ فقال أبو ذر : رجالا كأمثال عمر (١)

وقيل للزهرى : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أما انه ليس بشَعَث اللمة ، ولا قَشَف الهيئة ، ولكنه ظلف النفس عن الشهوة . وقيل للزهرى : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أن لايغلب الحرام صبرك ، ولا الحلال شكرك . ونظر زاهد إلى فاكهة فى السوق ، فلما لم يجد مايبتاعها عزى نفسه وقال : يافاكهة ، موعدى وإياك الجنة

قال : مرَّ المسيح صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه بخلق من بنى اسرائيل فشتموه ، فكلما قالوا شراً قال المسيح خيراً فقال له سمعان الصفا : أكلما قالوا

(١) كأمثال عمر : كان في الاصل : لأمثل عمرى . وعندى أنه خطأ ، ولعل الصواب ماأثبته

شراً قلت خيرا ؟ قال المسيح صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه : كل امرىء يعطى ماعنده

وقال بعضهم قيل لامرىء القيس بن حجر : ما أطيب عيش الدنيا ؟ قال : بيضاء رُعبوبة ، بالطيب مشبوبة ، بالشحم مكروبة . وسئل عن الدنيا الاعشى فقال: صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية . وقيل مثل ذلك لطرفة فقال : مطعم شهى ، وملبس دفى ، ومركب وطى

وقال: كان محمد بن راشد البجلى يتغدى ؛ وبين يديه شبُّوطة ، وخياط يقطع له ثيابا وراءه يلحظ الشبوطة ، فقال : قد زعمت أن الثوب يحتاج الى خرقة فكم مقدارها ؟ قال : ذراع فى عرض الشبوطة .

ودخل آخر على رجل يأكل أترجَّة بعسل ، فأراد أن يقول : السلام عليكم فقال :عسليكم

ودخلت جارية رومية على راشد البستى لتسأل به عن مولاتها فبصرت بحمار قدأدلى فى الدار ، فقالت: قالت مولاتى: كيف أبرحماركم ؟ فيما زعم أبوالحسن المدائنى

وأنشد ابن الاعرابى :

وإذَا أظْهَرْتَ أمْرًا حَسَنًا ... فَلْيَكُنْ أحْسَنَ مِنْهُ مَايُسَرّ
فَمُسِرُّ الخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ ... ومُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرّ

وأنشد ابن الاعرابى :

أرَى النَّاسَ يَبْنُونَ الحُصُونَ وإنَّما ... غَوَائِلُ آجالِ الرِّجَالِ حُصُونُهَا
وَإنَّ مِنَ الأَعْمَالِ دُوناً وَصَالِحاً ... فَصَالِحُهَا يَبْقَى وَيَهْلِكُ دُونُهَا

وأنشد ابن الاعرابى :

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ ... زَادٌ يُبَلِّغُهُ المَحَلاَّ
خُبْزٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ ... وَالظِّلُّ حِينَ يُرِيدُ ظِلاَّ

وقال بعض الاعراب :

وَمَا الْعَيْشُ إلاَّ شَبْعَةٌ وَتَشَرُّقٌ ... وتمرٌ كأخْفَافِ الرَّبَاعِ وَمَاء

محمد بن حرب الهلالى قال:قلت لاعرابى : إنى لك لوادّ . قال : وإن لك من

قلبي لرائد . قال : وأتيت أعرابيا فى أهله مسلما عليه فلم أجده ، فقالت امرأته : عشر الله خطاك

أى جعلها عشرة أمثالها .

وكان مُسلم بن قتيبة يقول : لم يضيع امرؤ صواب القول حتى يضيع صواب العمل

﴿ مايجب على الآباء للأبناء ﴾

أبو الحسن قال: قال الحجاج لمعلم ولده : علم ولدى السباحة قبل الكتابة ، فانهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم

أبو عقيل بن درست قال: رأيت أبا هاشم الصوفى مقبلا من جهة النهر فقلت له : فى أى شىء كنت اليوم ؟ قال : فى تعليم ما ليس ينسى ، وليس لشىء من الحيوان عنه غنى . قلت : وما ذلك ؟ قال : السباحة

حدثنا على بن محمد وغيره قال : كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى ساكنى الامصار : أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ، وروّوهم ماسار من المثل ، وحسن من الشعر

وقال ابن التوأم : علم ابنك الحساب قبل الكتاب ، فان الحُسَّابَ أكسب من الكُتَّاب ، ومؤنة تعلمه أيسر ، ووجوه منافعه أكثر . وكان يقال : لا تعلموا بناتكم الكتاب ، ولا تروهن الشعر ، وعلموهن القرآن ، ومن القرآن سورة النور. وقال آخر : بنو فلان يعجبهم أن يكون فى نسائهم إباضيات ، ويؤخذون بحفظ سورة النور . وكان ابن التوأم يقول : من تمام مايجب على الآباء من حفظ الابناء أن يعلموهم الكتاب والحساب والسباحة

خطب رجل امرأة أعرابية فقالت له : سل عنى بنى فلان ، وبنى فلان ، وبنى فلان . فعدت قبائل ، قال : وما علمهم بك ؟ قالت : فى كلهم قد نكحت . قال: أرى بك جلنفعة قد حزمتك الحزائم . قالت : لا ، ولكنى جوالة بالرجل شمريس

وقال الفرزدق لامرأته نوار : كيف رأيت جريراً ؟ قالت : رأيتك ظلمته أولا ثم شغرت عنه برجلك آخراً . قال : أنا أنى ؟ قالت : نعم أما إنه قد غلبك فى حلوه ، وشاركك فى مره

وتغدى صعصعة بن صوحان عند معاوية يوماً ، فتناول من بين يدى معاوية شيئاً فقال : يا ابن صوحان، لقد انتجعت من بعيد . قال : من أجدب انتجع

وبصر الفرزدق بجرير محرماً فقال : والله أفسدت على ابن المراغة حجه . ثم جاءه مستقبلا له فجمزه بمشقص كان معه ثم قال :

إنّكَ لاَقٍ بالمَشَاعِرِ مِنْ مِنًى ... فَخاراً افَخبّرْنى بِمَنْ أنْتَ فاخِرُ

فقال جرير : لبيك اللهم لبيك . ولم يجبه

وأدخل مالك بن أسماء سجن الكوفة فجلس إلى رجل من بنى مرة فاتكأ المرى عليه يحدثه حتى أكثر وغمه ثم قال : هل تدرى كم قتلنا منكم فى الجاهلية ؟ قال مالك : أما فى الجاهلية فلا ، ولكنى أعرف من قتلتم منا فى الإسلام . قال المرى : ومن قتلنا منكم فى الإسلام ؟ قال : أنا قد قتلتنى وغمّا

ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن زيد الهلالى وهو عامل على أرمينية ، وقد بات فى موضع غدير قريب منه فيه ضفادع ، فقال عبد الله للمحاربى ما تركتنا أشياخ مُحارب ننام فى هذه الليلة لشدة أصواتها . قال المحاربى : أصلح الله الأمير ، إنها أضلت بُرقعاً لها فهى فى بغائه . أراد الهلالى قول الأخطل :

تنقُّ بلا شىءٍ شُيُوخُ مُحَارِبٍ ... وَماخِلْتُها كانَتْ قَرِيشُ ولاَ تَبْرِى

ضَفَادِعُ فى ظَلْماءَ لَيْلٍ تجاوَبَتْ ... فَدَلَّ عَلَيْها صَوْتُها حَيَّةَ البَحْرِ

وأراد المحاربى قول الشاعر :

لِكُلِّ هِلاَلِيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ بُرْقُعٌ ... وَلابْنِ هِلاَلٍ بُرْقُعٌ وَقَمِيصُ

وقال العتبى :

رَأَيْنَ الغَوَانِى الشَّيْبَ لاَحَ بِعَارِضِى ... فَأَعْرَضْنَ عَنِّى بالْخُدُودِ النَّوَاضِرِ

وكُنَّ إذَا أبْصَرْنَنِى أوْ سَمِعْنَ بِى ... سَعَيْنَ فَرَقَّعْنَ الكُوَى بالمَحَاجِرِ

لَئِنْ حُجِبَتْ عَنِّى نَوَاظِرُ أعْيُنٍ ... رَمَيْنَ بأحْدَاقِ المَهَا والجَآذِرِ

فإنِّىَ مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ أصُولُهُمْ ... لأَقْدَامِهِمْ صِيغَتْ رُؤُسُ المَنَابِرِ

خَلاَئِفُ فِى الإسْلاَمِ فِى الشِّرْكِ قَادَةٌ ... بِهِمْ وإلَيْهِمْ فَخْرُ كُلِّ مُفَاخِرِ

قال لبيد :

وَالشَّاعِرُونَ النَّاطِقُونَ إِذَا هُمُ ... سَلَكُوا طَرِيقَ مُرَقِّشٍ ومُهَلْهِلِ

وقال آخر :

أَمْ مَنْ لِبَابٍ إِذَا مَا اشْتَدَّ حَاجِبُهُ ... أَمْ مَنْ لِخَصْمٍ بَعِيدِ الْغَوْرِ مِغْوَارِ

وقال حاجب بن دينار المازنى :

نَحْنُ بَنُو الْفَحْلِ الَّذِى سَالَ بَوْلُهُ ... بِكُلِّ بِلَادٍ لَا يَبُولُ بِهَا فَحْلُ

أَبَى النَّاسُ وَالْأَقْلَامُ أَنْ يَحْسِبُوهُمُ ... إِذَا حَصَلَ الْأَخْمَاسُ أَوْ يُحْسَبُ الرَّمْلُ

فَإِنْ غَضِبُوا شَدُّوا الْمَشَارِفَ مِنْهُمُ ... مُلُوكٌ وَحُكَّامٌ كَلَامُهُمُ فَصْلُ

وقال أعرابى من بنى حنيفة وهو يمتح :

مَرَّ الْجَرَادُ عَلَى زَرْعِى فَقُلْتُ لَهُ ... إِلْزَمْ طَرِيقَكَ لَا تُولَعْ بِإِفْسَادِ

فَقَامَ مِنْهُمْ خَطِيبٌ فَوْقَ سُنْبُلَةٍ ... إِنَّا عَلَى سَفَرٍ لَا بُدَّ مِنْ زَادِ

وقال آخر يهجو بعض الخطباء :

يُمَانُ وَلَا يَمُونُ وَكَانَ شَيْخًا ... شَدِيدَ اللَّقْمِ صِلْقَامًا خَطِيبَا

ذهب إلى قول الأحوص :

ذَهَبَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ فَرَطًا ... وَبَقِيتُ كَالْمَقْمُورِ فِى خَلْفِ

مِنْ كُلِّ مَطْوِىٍّ عَلَى عَنَقٍ ... مُتَضَجِّعٍ يُكْفَى وَلَا يَكْفِى

وقال الحسن بن هانئ :

إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ فَإِمَّا كَفَيْتَهُ ... وَإِمَّا عَلَيْهِ بِالْكِفَى تُشِيرُ

وقال آخر :

ذَرِينِى لَا أُعَيَّا بِمَا حَلَّ سَاحَتِى ... أَسُودُ وَأُكْفَى أَوْ أُطِيعُ الْمُسَوَّدَا

وقال بشار :

وَفِى الْعَبَرَاتِ الْغُرِّ صَبْرٌ عَلَى النَّدَى ... أُولَئِكَ حَيٌّ مِنْ خُزَيْمَةَ أَغْلَبُ

وَأَلْأَمُ مَنْ يَمْشِى ضَبِيعَةُ إِنَّهُمْ ... زَعَانِفُ لَمْ يَخْطُبْ إِلَيْهِمْ مُحَجَّبُ

وكذلك قول أعشى بنى ثعلبة :

مَاضَرَّ غازِى نِزَارٍ أنْ يُفارِقَهُ ... كَلْبٌ وَجَرْمٌ إذَا أبْناؤُهُ اتَّفَقُوا
قالَتْ قُضَاعَةُ إنَّا مِنْ ذَوِى يَمَنٍ ... اللهُ يَعْلَمُ مَا بَرُّوا وَلاَ صَدَقُوا
يَزْدَادُ لَحْمُ المَناقِي فى مَنَازِلِنا ... طِيباً إذَا عَزَّ فِى أعْدَائِنا المَرَقُ
وَمَا خَطَبْنا إلَى قَوْمٍ بَنَاتِهِمِ ... إلاَّ بأَرْعَنَ فى حافاتِهِ الحُرَقُ

قوله خطبنا هاهنا من الخِطبة وقولهم فى الشعر الأول من الخُطبة

وقال بلعاء بن قيس :

أبيتُ لِنَفْسِى الخَسْفَ لَمَّا رَضُوا بِهِ ... ودَلَّيْتُهُمْ شَتْمِى وَما كُنْتُ مُفْحَما

وقال بلعاء بن قيس لسراقة بن مالك بن جعثم :

ألا أبلغْ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ ... فَبِئْسَ مَقَالَةُ الرَّجُلِ الْخَطِيبِ
أتَرْجُو أنْ تَؤُودَ بِطَعْنِ لَيْثٍ ... فَهَذا حِينَ تُبْصِرُ مِنْ قَرِيبِ

وقال منصور الضبى :

لَيْتَ الْفَتَى عَجْرَدًا مِنَّا مَكانَهُمُ ... وَلَيْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الأَخْضَرِ الجارِى
قدْ قامَ سَيِّدُهُمْ عِمْرَانُ يَخْطُبُهُمْ ... مَا كانَ لِلْخَيْرِ عِمْرَانٌ بِأَمَّارِ

تقول العرب : الخلة تدعو إلى السلة . وكانوا إذا أسروا أسيراً قال المادح : أسره فى مزاحفة ولم يأسره فى سلة . وفى الحديث « لا اسلال ولا أغلال » وفى المثل : الحاجة تفتح باب المعرفة

ونذكر هنا أبيات شعر تصلح الرواية والمذاكرة :

قال سُوَيد المرائد الحارثى أو غيره :

بَنِى عَمِّنا لاتذْكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَمَا ... دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغَمِيمِ القَوَافِيَا
فَلَسْنا كَمَنْ كُنْتُمْ تُصِيبُونَ سَلَّةً ... فَنَقْبَلَ عَقْلاً أوْ نُحَكِّمَ قاضِيَا
وَلَكِنَّ حُكْمَ السَّيْفِ فِيكُمْ مُسَلَّطٌ ... فَنَرْضَى إذا مَا أصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيَا
فإنْ قُلْتُمُ إنَّا ظَلَمْنا فإنَّكُمْ ... بَدَأْتُمْ وَلَكِنَّا أسَأْنا التَّقَاضِيَا
وقدْ سَاءَنِى مَاجَرَّتِ الحَرْبُ بَيْنَنا ... بَنِى عَمِّنا لَوْ كانَ أمْرًا مُدَانِيَا

obeikandl.com

وقال ضابئ بن حارث :

وَرُبَّ أمُورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً ... وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ (١)

وقال حارثة بن بدر :

وَقُلْ لِلْفُؤَادِ إِنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةً ... مِنَ الرَّوْعِ أَفْرِخْ كُنْهُ الرَّوْعِ بَاطِلُهْ (٢)

وقال لَبيد :

وَاكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثْتَهَا ... إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالأَمَلْ

وقال الشاعر، وهو حبيب بن أوس الطائى :

وطُولُ مُقَامِ المَرْءِ فِى الْحَيِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيبَاجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ (٣)

فَإِنِّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً ... إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ (٤)

وقال آخر :

هُوَ الشَّمْسُ إِلَّا أَنَّ لِلشَّمْسِ غَيْبَةً ... وَهٰذَا الْفَتَى الْجَرْمِىُّ لَيْسَ يَغِيبُ

يَرُوحُ وَيَغْدُو لَيْسَ يُفْتَرُ سَاعَةً ... وَإِنْ قِيلَ نَاءٍ مِنْكَ فَهْوَ قَرِيبُ

وقال آخر :

خِلَافًا لِقَوْلِى مَنْ فَيَالَةِ رَأْيِهِ ... كَمَا قِيلَ قَبْلَ الْيَوْمِ خَالِفْ فَتُذْكَرَا

وقال حارثة بن بدر :

إِذَا مَا مُتُّ مَرَّ بَنِى تَمِيمٍ ... عَلَى الْحَدَثَانِ لَوْ يَلْقَوْنَ مِثْلِي

عَدُوٌّ عَدُوِّهِمْ أَبَدًا عَدُوِّى ... كَذٰلِكَ شَكْلُهُمْ أَبَدًا وَشَكْلِى

وهذا شبيه بقول الاعشى :

عُلِّقْتُهَا عَرَضًا وَعُلِّقَتْ رَجُلًا ... غَيْرِى وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرُهَا الرَّجُلُ

وقال عمرو لمعاوية : من أصبر الناس ؟ قال: من كان رأيه راداً لهواه

واختلفوا بحضرة الزهرى فى معنى قول القائل : فلان زاهد . فقال الزهرى:

---

(١) وجيب : اضطراب وخفوق (٢) نزا : اضطرب وكاد يثب من مكانه . أفرخ روعه : هدأ واطمأن (٣) مخلق لديباجتيه : مبل لجلدة وجهه، والمراد مزيل لماء وجهه

(٤) بسرمد: بدائم

الزاهد الذى لا يغلب الحرامُ صبره ، ولا الحلال شكره

وقال ابن هُبَيرة وهو يؤدب بعض بنيه : لا تكونن أول مُشير ، وإياك والهوى والرأى الفَطير ، وتجنب ارتجال الكلام ، ولا تُشر على مستبد، ولا على وغد، ولا على مُتلون،ولا على لجوج ، وخف الله فى موافقةهوى المستشير ، فان الْتِمَاس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منـه خيانة . وقال : من كثر كلامه كثر سَقَطُه ، ومن ساء خلقه قل صديقه

وقال عُمر للأحنف : من كثر ضَحِكه قلت هيبته ، ومن أكثر من شىء عُرف به ، ومن كثر مزاحه كثر سَقَطُه ، ومن كثر سقطه قل ورعه ، ومن قل ورعه ذهب حياؤه ، ومن ذهب حياؤه مات قلبه

﴿ وصية المهلب لبنيه ﴾

وقال المهلب : [1] يا بنى ، تباذلوا تَحابُّوا ، وإن بنى الأم يختلفون فكيف بنو العَلات ؟ إن البر ينسأ فى الأجل ، ويزيد فى العـدد ، وإن القطيعة تورث القلة ، وتُعقب النار بعد الذل . واتقوا زَلة اللسان فإن الرجل تزل رجله فينتعش

(١) المهلب : هو المهلب بن أبى صفره ، واسم أبى صفرة ظالم بن سراق ، وكان من أزد العتيك ، أزد دبا ، ودبا مكان فيما بين عمان والبحرين . نزل أبو صفرة البصرة وبها نشأ ولده المهلب على ما تنشأ عليه أبناء السادة والرؤس ، وكان سيداً نبيلا ، وشجاعاً باسلا ، وفارساً معواراً ، وقائداً محكما . وفقيهاً عاقلا . وكان في الحرب ذا حيل ومكايد . وفى السلم ذا فطن ومحامد . لما اشتد أمر الخوارج وخيف على الدولة منهم بعد أن عجزت جيوشها وقوادها عنهم أجمع الرؤساء والأشراف وأصحاب الرأى فى البصرة على التوجه إلى المهلب والرغبة اليه في أن يتولى حربهم ، وقالوا له: إنما أخترناك ايثاراً للدين ، وكل من فى مصرك ماد عينه إليك ، راج أن يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك . فقبل ذلك واشترط ما شاء عليهم مما يضمن الفوز له والأمن لهم . وبعد أن أعد العدة خرج إلى الخوارج وصمد لهم هو وأولاده الأبطال ومن معهم من الجند يراوحهم القتال ويغاديهم زهاء اثنتى عشرة سنة حتى مزق شملهم ، وفرق جمعهم . وكان الخوارج يسمونه الساحر وينعتونه بالكذاب حقداً منهم عليه . ثم ولى خراسان خمس سنين ومات بمرو الروز سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م

ويزل لسانه فيهلك . وعليكم فى الحرب بالمكيدة فإنها أبلغ من النجدة ، فإن القتال إذا وقع وقع القضاء ، فإن ظفر فقد سعد،وإن ظُفر به لم يقولوا فرط

ولقى الحسين رضى الله تعالى عنه الفرزدق فسأله عن الناس فقال : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر فى السماء

وقال بعضهم: حُجب أعرابى على باب سلطان فقال :

اهينُ لهُمْ نفسى لأُكرِمَها بِهِمْ ... ولا يُكرِمُ النفسَ الّذِى لا يُهِينُها

وقال جرير :

قَوْمٌ إذا حضَرَ المُلُوكُ وُفُودُهُمْ ... نُتِفَتْ شوَارِبُهُمْ على الابْوَابِ

وقال آخر :

نَهَيْتُ جميعَ الحضْرِ عَنْ ذِكْرِ خُطَّةٍ ... يُدَبِّرُهَا فِى رَأْيِهِ ابْنُ هِشَامِ

فلَمَّا وَرَدْتُ الْبَابَ أيْقَنْتُ أنَّنا ... على اللهِ والسُّلْطَانِ غيرُ كِرَامِ

وقال آخر :

وَافَى الْوُفُودُ فَوَافَى مِنْ بَنِى جَمَلٍ ... بِكْرُ الْحَمَالةِ قانِى السِّنِّ عُرْزُومُ(١)

وقال تميم :

فَدَيْتُكِ أنْ لا تُسْمِعِينِى مَلامَةً ... ولا تَنْكِئِى قُرْحَ الْفُؤادِ فَيَيْجَعَا

وقال آخر :

قَلِيلَ التَّشَكِى لِلْمَصائِبِ ذَا كِرًا ... مِنَ الْيَوْمِ أعْقابَ الأَحادِيثِ فى غَدِ

وقالوا : أشد من الموت ما يُتمنى له الموت

وقال الفرزدق، وهو يصف طعنة :

يَوَدُّ لَكَ الأَدْنَوْنَ لَوْ مِتَّ قَبْلَها ... يَرَوْنَ بِهَا شَرًّا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ

وقيل للاحنف : ما بلغ من حزمك ؟ قال : لا ألى ما كُفيت،ولا أضيع ما وَليت

وقال آخر : لا تقيموا ببلاد ليس فيها نَهَرٌ جارٍ ، وسوق قائمة ، وقاض عدل

(١) عرزوم : شديد مجتمع

وقالوا : لا تُبنى المدن إلا على الماء والمرعى والمحتطب

وقال مالك بن دينار[١] لربما رأيت الحجاج يتكلم على منبره ، ويذكر حُسن صنيعه إلى أهل العراق وسوء صنيعهم اليه حتى أنه ليخيل إليّ أنه صادق مظلوم

أبو عبد الله الثقفي عن عمه قال : سمعت الحسن يقول : لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج . قلت: وإن كلام الحجاج ليقذك ؟ قال: نعم ؛ سمعته على هذه الاعواد يقول : إن امرأً ذهبت ساعةٌ من عمره في غير ما خلق له لحرى ان تطول عليها حسرته

وقال بعضهم : كان يقال : ما وجدنا أحداً أبلغ في خير وشر من صاحب عبد الله بن سلمة .

دخل الزِّبرقان بن بدر على زياد ، وقد كف بصره ، فسلم تسليما جافياً فأدناه زياد فأجلسه معه وقال : يا أبا عَيّاش ، القوم يضحكون من جفائك ؛ قال : وإن ضحكوا فوالله إن منهم رجلا إلا يودّ أني أبوه دون أبيه ، لغية أو لرشدة [٢]

ونظر هشام بن عبد الملك إلى قبر عثمان بن حيّان المرى فقال : جثوة من جثى النار

وكان يقال : صاحب السوء قطعة من النار ، والسفر قطعة من العذاب .

وكان يقال : عذابان لا يكترث لهما الداخل فيهما : السفر الطويل ، والبناء الكثير

وقال رجل من أهل المدينة : من ثَقُل على صديقه خف على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون

وقال سهل بن هرون : ثلاثة يعودون إلى أجن المحابين وإن كانوا أعقل العقلاء : الغضبان ، والغيران ، والسكران . فقال له أبو عبدان المُخلع الشاعر : ما تقول في المُنْعظ؟ فضحك حتى استلقى ثم قال :

وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عَمْرٍو ... بِصاحِبكِ الذي لا تَصْبَحينَا

---

(١) مالك بن دينار ، يكنى أبا يحيى ، عالم ناسك مشهور بالتقوى والورع . كان يكتب المصاحف ويعيش من أجرها . مات سنة ١٣١ هـ ٧٤٨ م

(٢) لغية أو لرشدة : لحرام أو لحلال

وقال أبو الدرداء : أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب

وقال ناس : البُخل قيد ، والغضب جُنون ، والسكر مفتاح الشر .

وقال بعض البخلاء : ما نصب الناس لشيء نصبهم لنا ، هَبهم يلزموننا الذم فيما بيننا وبينهم ، ما لهم يلزموننا التقصير فيما بيننا وبين أنفسنا ؟

وقال ابرهيم بن عبدالله بن حسن لأبيه : ما شِعر كثير عندى كما يصفه الناس . فقال أبوه : إنك لن تضع كُثَيِّراً بهذا ، إنما تضع بهذا نفسك

وأنشد رجل عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قولَ طَرَفة :

فلَوْلاَ ثلاثٌ هُنَّ من عِيشَةَ الفتى وجدُّكَ لمْ أحفِلْ متَى قامَ عُوَّدى

فقال عُمر : لولا أن أسير فى سبيل الله ، وأضع جبهتى لله ، وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمر ، لم أبال أن أكون قد مِت

وقال عامر بن عبد قيس : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : على ظمأ الهواجر ، ومجاوب المؤذنين ، واخوان لى منهم الأسود بن كلثوم .

وقال آخر : ما آسى من البصرة إلا على ثلاث : رطب السكر ، وليل الخرير ، وحديث ابن أبى بكرة .

وقال سهل بن هرون :

ولَكنَّنِي أبكى بِعَيْنٍ سَخِينَةٍ على جَلَلٍ تَبكى له عينُ أمْثالى

فِرَاقِ خَليلٍ أو شَجًى يَسْتَشِفُنِي لِخَلَّةِ أمْرٍ لاَ يَقُومُ لها مَالِى

فيا كَبِدى حَنَّ مَتَى القَلْبُ مُوجَعٌ بِثُكلِ حبيبٍ أوْ تعذُّرِ إفْضال

وَما العَيْشُ إلا أنْ تَطُولَ بِنائِلٍ وَإلاقِاء الأَخ ذِى الْخُلُقِ الْعالى (١)

وقال أعرابى :

لولا ثلاث هن عيش الدهر الماء والنوم وأم عمرو لما خشيت من مضيق القبر

وقال الاحنف : أربعٌ مَن كن فيه كان كاملا ، ومن تعلق بِخَصلة منهن كان

(١) تطول بنائل : تتطول بعطاء

من صالحى قومه : دِين يُرشده ، أو عقل يُسدده ، أو حَسب يَصونه ، أو حياء يقناه. (١) وقال: المؤمن بين أربع : مُؤمن يحسده ، ومنافق يُبغضه، وكافر يُجاهده، وشيطان يفتنه . وأبع لسن أقل منهن : أليقين ، والعدل ، ودِرهم حلال ، وأخ فى الله

وقال الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما . من أتانا لم يعدم خَصلة من أربع : آيةً محكمة ، أو قضية عادلة ، أو أخاً مُستفاداً ، أو مُجالسة العلماء

وقالوا : من أعطى أربعا لم يمنع أربعا : من أُعطى الشكر لم يمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخِيَرَةِ ، ومن أعطى المَشُورة لم يمنع الصواب

قال أبوذر الغفارى : كان الناس ورقا لاشوك فيه ، فصاروا شوكا لا ورق فيه

وقالوا : تعامل الناس بالدين حتى ذهب الدين ، وبالحياء حتى ذهب الحياء ، وبالمُروءة حتى ذهبت المُروءة ، وقد صاروا إلى الرغبة والرهبة وأحرِ بهما أن تذهبا

وقال بعضهم : دعا رجل علىَّ بنَ أبى طالب كرم الله تعالى وجهه إلى طعام فقال : نأتيك على أن لاتتكلف لنا ماليس عندك

وقال الحُصين بن المنذر :

وَكلُّ خَفيفِ السَّاقِ يَسْعى مُشَمِّراً ... إذَا فتَح البَوَّابُ بابَكَ إصْبَعا

وَنَحْنُ الْجُلوسُ الْماكِثُونَ تَوَقُّراً ... حياءً إلى أنْ يَفْتَحَ الْبابُ أجْمَعا

وقال آخر :

وَنَفْسَكَ أكْرِمْها فإنَّكَ إنْ تَهُنْ ... عليْكَ فلَنْ تَلْقى لَها الدَّهْرَ مُكْرِما

اعتذر أبو عون إلى ابرهيم النَّخَعى (٢) فقال له : اسكت معذورا فإن الاعتذار يخالطه الكذب

---

(١) يقناه : يحفظه (٢) ابرهيم النخعى : هو ابرهيم بن يزيد النخعى ، يكنى أبا عمران ، كان من جلة التابعين ، وكان عالما ورعا وفيه مزاح . قيل حمل العلم عنه وهو ابن ثمان عشرة سنة ، ومات وهو ابن ست وأربعين سنة . قال أبوعون : كنت فى جنازة ابرهيم فما كان فيه إلا سبعة أنفس . وقال الأصمعى : مات ابرهيم سنة ٩٦ هـ ٧١٤ م

أبو عمرو الزعفرانى قال: كان عَمرو بن عُبيد عند حفص بن سالم فلم يسأله أحد من حَشمه فى ذلك اليوم شيئاً إلا قال: لا. فقال عَمرو: أقِلَّ من قول لا، فانه ليس فى الجنة قول لا، وإن رسول الله ﷺ كان إذا سُئل مالا يجد قال: يصنع الله.

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: أكثروا لهُنَّ من قول: لا، فان قول: نعم يضْرِبْهن على المسألة

وإنما خص عمر رضى الله تعالى عنه بذلك النساء

﴿ كلمات لعلى بن ابى طالب فى الدنيا ﴾

وقال بعضهم: ذم رجل الدنيا عند على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال علىٌ: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنًى لمن تزود منها، ومهبط وحى الله، ومصلى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا الذى يذمها وقد آذنت بِبَينها ونادت بفراقها، وشبهت بسرورها السرور، وببلائها البلاء، ترغيباً وترهيباً، فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه، متى خدعتك الدنيا؟ أم متى استذمت إليك؟ أبمصارع آبائك فى البِلَى أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى؟ كم مَرَّضْت بيديكَ، وكم عللت بكفيك؟ تطلب له الشفاء، وتستوصف له الأطباء، غداة لا يغنى عنه دواؤك، ولا ينفعه بكاؤك

وقال عمر رضى الله تعالى عنه: مابال أحدكم ثانى وساده عند امرأة مُغَيَّبَةٍ؟ (١) إن المرأة لحم على وضم، إلا ماذب عنه

وقال بعضهم: مات ابنٌ لبعض العظماء فعزاه بعضهم فقال: عش أيها الملك العظيم سعيداً، ولا أراك الله بعد مصيبتك ماينسيكها.

ولما توفى مُعاوية جلس ابنه يزيد ودخل عليه عَطاء بن أبى صَيفى الثقفى فقال: ياأمير المؤمنين، أصبحت وقد رزئت خليفة الله، وأعطيت خِلافة الله، وقد

(١) المغيبة: هي المرأة التى غاب عنها زوجها

قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنوبه ، وقد أعطيت بعده الرئاسة ووليت السياسة ، فاحتسب عند الله أعظم الرزية ، واشكره على أفضل العطية .

ولما توفى عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه ، فأقبل غيلان بن مسلمة الثقفى فسلم عليه ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أصبحت قد رُزئت خير الآباء ، وسُميت خير الأسماء ، وأعطيت أعظم الأشياء ، فعظم الله لك على الرزية الصبر ، وأعطاك فى ذلك نوافل الأجر ، وأعانك على حسن الولاية والشكر . ثم قضى لعبد الملك بخير القضية ، وأنزله بأشرف المنازل المرضية ، وأعانك من بعده على الرعية . فقال له الوليد : من أنت ؟ فانتسب له . قال : فى كم أنت ؟ قال : فى مائة دينار . فألحقه بأهل الشرف

ولما توفى المنصور دخل ابن عُتبة مع الخطباء على المهدى فسلم . قال : آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك الله لأمير المؤمنين فيما خلفه له امير المؤمنين بعده ، فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عُقبى أفضل من وراثة مقام أمير المؤمنين ، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية ، واحتسب عند الله أعظم الرزية

وكتب ميمون بن مهران[1] إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يعزيه عن ابنه عبد الملك فكتب إليه عمر : كتبت إلى تعزينى عن ابنى عبد الملك ، وهذا أمر لم أزل أنتظره فلما وقع لم أنكره

وقال الشاعر[2] :

تَعَزَّيْتَ عنْ أوْفَى بِغَيْلَانَ بعْدَهُ ... عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مِلآنُ مُتْرَعُ[3]

(١) ميمون بن مهران : كان هو وابنه عمرو بن ميمون على الرق فاعتقا . وكان ميمون بزازاً ومع هذا فقد ولاه عمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة ، فكان ميمون يجلس في حانوته وهو يتولى الخراج . مات سنة ١١٧ هـ ٧٣٥ م

(٢) الشاعر : هو مسعود بن عقبة أخو ذى الرمة . وهذا الشعر رثا به ذا الرمة

(٣) أوفى : هو أخو مسعود وذى الرمة . وغيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور

ولم تُنْسِنِى أَوْفَى المُصِيبَاتُ بَعْدَهُ ولكنَّ نَكْأَ القَرْحِ بِالقَرْحِ أَوْجَعُ

وقيل : قدّم ما عندك ولا تدخر عنا ما عندك

وقال آخر : كان شيخ يأتى ابنَ المُقفع ، فألح عليه يسأله الغداء عنده ، وفى ذلك يقول : إنك تظن أنى أتكلف لك شيئاً ؟ لا والله ، لا أقدم إليك إلا ما عندى . قال : فلما أتاه إذا ليس فى منزله إلا كسرة يابسة وملح جَريش ، ووقف سائل بالباب فقال له : بورك فيك . فلما لم يذهب قال : والله لئن خرجت إليك لأدقن ساقيك . فقال ابنُ المقفع للسائل : إنك لو تعرف من صدق وعيده مثل ما أعرف من صدق وعده لم تُراده كلمة ولم تقف طرفة عين .

وكان يقال : أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره

وكان يقال : لا وحشة أوحش من عجب ، ولا ظهير أعون من مَشُورة ، ولا فقر أشد من عَدم العقل .

وقال مؤرق العجلى : ضاحك معترف بذنبه خير من الباكى المدل على ربه .

وقال : خير من العجب بالطاعة أن لا يأتى بطاعة

وقال شبيب لأبى جعفر : إن الله لم يجعل فوقك أحداً فلا تجعلن فوق شكرك شكراً .

وقال آخر لأبى جعفر فى أول رَكبة ركبها : إن الله قد رأى أن لا يجعل أحداً فوقك فرَ نفسك أهلا أن لا يكون أحد أطوع لله منك

وسفه رجل على ابن له فقال : والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ، ولأنت أشد تحصيناً لأمى من أبيك لأمك .

وقال عمرو بن عبيد لأبى جعفر . إن الله قد وهب لك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها .

وقال الأحنف . ثلاث لا أناة فيهن عندى . قيل : وما هن يا أبا بحر ؟ قال : المبادرة بالعمل الصالح ، وإخراج ميتك ، وأن تُنكح الكفء أيِّمك . وكان

يقول: لأفعى تحكك فى ناحية بيتى أحب إلىّ من أيم رددت عنها كفؤا . وكان يقال : ما بعد الصواب إلا الخطأ ، وما بعد منعهن من الاكفاء إلا بذلهن للسفلة والغوغاء .

وكان يقال : لا تطلبوا الحاجة الى ثلاثة : إلى كذوب فإنه يقربها وان كانت بعيدة ويباعدها وإن كانت قريبة ، ولا إلى الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته .

وكان الأحنف يقول : لا مروءة لكذوب ، ولا سؤدد لبخيل ، ولا ورع لسيئ الخلق .

وقال الشعبى : عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فانه ينفعك ، واجتنب الكذب فى موضع ترى أنه ينفعك فانه يضرك .

وقالوا : لا تصرف حاجتك إلى من معيشته من رؤس المكاييل وألسنة الموازين .

وقالوا : انفرد الله عز وجل بالكمال ولم يبرئ أحداً من النقصان .

وقال عامر بن الظرب العدوانى : يا معشر عدوان ، إن الخير ألوف عزوف ، ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، وإنى لم أكن حليما حتى اتبعت الحلماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم .

وقال الأحنف : لأن ادعى من بعيد أحب إلىّ من أن أقصى من قريب .

وكان يقول : إياك وصدر المجلس وإن صدرك صاحبه فإنه مجلس قلمة .

وقال زياد : ما أتيت مجلساً قطّ إلا تركت منه ما لو أخذته كان لى ، وترك مالى أحب إلىّ من أخذ ما ليس لى

وقال الأحنف : ما كشفت أحداً عن حالى عنده إلا وجدتها دون ما كنت أظن

وأثنى رجل على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فأفرط وكان على له منهماً فقال : أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك

وكان يقال : خمس خصال تكون فى الجاهل : الغضب فى غير غضب ،

والكلام فى غير نفع ، والعطية فى غير موضع ، والثقة بكل أحد ، وأن لا يعرف صديقه من عدوه

وأثنى أعرابى على رجل فقال : إن خيرك لسريح ، وإن منعك لمُريح ، وإن رفدك لربيح

وقال سعيد بن سلم : كنت والياً بأرمينية فغبر أبو زهمان العلائى على بابى أياماً ، فلما وصل إلىّ مَثَل بين يدى قائما بين السماطين وقال : والله إنى لأعرف أقواماً لو علموا أن سفّ التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه مُسكة لازماً فيهم إيثاراً للتنزّه عن عيش رقيق الحواشى . أما والله إنى لبعيد الوثبة ، بطىء العطفة ، إنه والله ما يُثنينى عليك إلا مثل ما يصرفنى عنك ، ولأن أكون مُثِلاً مقرّباً أحب إلىّ من أن أكون مكثراً مُبعَداً . والله ما نسأل عملا لا نضبطه ، ولا مالا إلا نحن أكثر منه . وهذا الأمر الذى صار فى يديك كان فى يد غيرك فأمسوا والله حديثاً ، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر . فتحببْ إلى عباد الله بحسن البِشر ولين الجانب ، فإن حبّ عباد الله موصول بحب الله ، وبغضهم موصول ببغض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورقباؤه على من اعوج عن سبيله .

ودخل عُتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبد الله القسرى[1] بعد حجاب شديد ، وكان عُتبة سخيّاً ، فقال خالد يُعَرِّض به : إن هاهنا رجالا يدانون فى أموالهم فإذا فَنيت ادانوا فى أعراضهم . فعلم عُتبة أنه يُعرض به فقال : أصلح الله الأمير ، إن رجالا من الرجال تكون أموالهم أكثر من مروآتهم فأولئك تبقى لهم أموالهم ، ورجالا تكون مروآتهم أكثر من أموالهم فإذا نفدت ادانوا على سَعة ما عند الله . فخجل خالد وقال : إنك لمنهم ما علمت

(١) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلى ثم القسرى أحد ولاة بنى أمية على العراق ثم عزل وسلم إلى يوسف بن عمر الذى تولى بعده من قبل الوليد بن يزيد فعذبه حتى أماته . وكان ذلك فى سنة ١٢٦ هـ ٧٤٣ م

وقيل لعبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز : هلا أجبت أمير المؤمنين إذ سألك عن مالك ؟ قال : إنه إن استكثره حسدنى ، وإن استقله حقرنى .

أبو الحسن قال : وعظ عروة بنيه فقال : تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين . ثم قال : الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، وإذا رأيتم من رجل خلة فاحذروه واعلموا أن عنده لها أخوات

وقال رجل لرجل : هب لى درهماً . قال : أتصغره ؟ لقد صغرت عظيما : الدرهم عُشر العَشرة ، والعَشرة عُشر المائة ، والمائة عُشر الألف ، والألف عُشر الدِّية .

قال الأصمعى : خرجت بالدَّارمى قُرحة فى جوفه ، فبزق بزقة خضراء ، فقيل له : قد بَرئت إذ بزقتها خضراء . قال : والله لو لم يبق فى الدنيا زُمردة خضراء إلا بزقتها ما نجوت

مر الوليد بن عبد الملك بمعلم صِبيان فرأى جارية فقال : ويلك ما لهذه الجارية ؟ قال : أعلمها القرآن . قال : فليكن الذى يعلمها أصغر منها

اسحق بن أيوب قال : هرب الوليد بن عبد الملك من الطاعون فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، إن الله يقول : «لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلا » قال: ذلك القليل نريد

وهرب رجل من الطاعون إلى النجف أيام شُريح فكتب إليه : أما بعد فإن الفرار لن يُبعد أجلا ولن يُكثر رزقاً ، وإن المقام لن يقرب أجلا ولن يقلل الرزق ، وإن من بالنجف من ذى قدرة لقريب

ودخل على الوليد فتى من بنى مخزوم فقال له : زوجنى ابنتك . فقال : هل قرأت القرآن ؟ قال : لا . قال : أدنوه منى . فأدنوه فضرب عمامته بقضيب كان فى يده وقرع رأسه به قرعات ثم قال لرجل : ضمّه إليك فاذا قرأ زوجناه

ولما استعمل يزيدُ ابنَ أبى مسلم بعد الحجاج قال : أنا كمن سقط منه درهم فوجد ديناراً . وقال يزيد لابن أبى مسلم : قال أبى للحجاج : إنما أنت جلدة ما بين

عينيَّ . وأنا أقول : انك جلدة وجهى كله . ومع هذا إنه صعد المنبر فقال : على ابن أبى طالب أُص بن أُص ، صب عليه شؤبوب عذاب . فقال أعرابى كان تحت المنبر : مايقول أميركم هـذا ؟ وفى قوله لص بن لص أعجوبتان . إحداهما رميه على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه لِص ، والاخرى أنه بلغ من جهله مالم يجهله أحد ، أنه ضم اللام فى لص

بكر بن عبدالعزيز الدمشقى قال : سمعت الوليد بن عبدالملك على المنبر حين ولى الخلافة وهو يقول : إذا حدثتكم فكذبتكم فلا طاعة لى عليكم ، وإذا وعدتكم فأخلفتكم فلا طاعة لى عليكم ، وإذا أغربتكم فجمَّرتكم فلا طاعة لى عليكم . فيقول مثل هذا الكلام ثم يقول لأبيه : ياأمير المؤمنين أقتل أبى فُديك ؟ وقال مرة أخرى : ياغلام ، رد الفرسان الصادان عن الميدان .

وقال عبد الملك : أضرَّ بالوليد حينا له فلم نوجهه إلى البادية .

ولحن الوليد على المنبر ، فقال النكروس : لا والله أن رأيته على هذه الاعواد قط فأمكننى أن أملأ عينى منه من كثرته فى عينى وجلالته ، فإذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندى كبعض أعوانه . وصلى يوما الغداة فقرأ السورة التى تذكر فيها الحاقة فقرأ . ياليتها كانت القاضية . فبلغت عمر بن عبد العزيز فقال : أما إنه إن كان قالها انه لاحد الاحدين

قالوا : وكان الوليد ومحمد ابنا عبد الملك لحانين ، ولم يكن فى ولده أفصح من هِشام ومَسلمة

وقال صاحب الحديث : أخبرنى أبى عن اسحق بن قبيصة قال : كانت كتب الوليد تأتينا ملحونة ، وكذلك كتب محمد ، فقلت لمولى لمحمد : ما بال كتبكم تأتينا ملحونة وأنتم أهل الخلافة ؟ فاخبره المولى بقولى ، فإذا كتاب قد ورد على : أما بعد فقد أخبرنى فلان بما قلت ، وما أحسبك تشك أن قريشاً أفصح من الاشعرين والسلام .

ومن بنى الصَريم : الصُدَىّ بن الخلق وفد به الحجاج على الوليد بن عبدالملك

فقال له : ممن أنت ؟ فقال له : من بنى صَريم . قال له : ما اسمك ؟ قال . الصدى ابن الخلق . قال : دعًا فى عنقه ، خارجى خبيث

هذا يدل على أن عامة بنى صريم كانوا خوارج . وكان منهم البُرك الصَريمى واسمه الحجاج الذى ضرب معاوية بالسيف ، وله حديث . والخزرج بن الصدى ابن الخلق كان خطيباً . وقال الشاعر فى بنى صَريم :

أُصَلِّى حَيْثُ تُدْرِكُنى صَلاَتى وَبِئْسَ الدِّينُ دِينُ بَنى صَرِيمِ
قِيَاماً يَطْعَنُونَ على مَعَدٍّ وكُلُّهُمُ على دِينِ الخَطِيمِ

والخطيم باهلى .

قال الاصمعى وأبو الحسن . دخل على الوليد بن عبد الملك شيخان فقال أحدهما : نجدك تملك عشرين سنة . وقال الآخر : كذبت بل نجدك تملك ستين سنة . فقال الوليد : ما الذى قال هذا لائط بصفرى ، ولا ما قال هذا يغرّ مثلى ، والله لأجمعن المال جمع من يعيش أبداً ، ولأفرّقنه تفريق من يموت غداً

وخطب الوليد فقال : إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجاج جِلدة مابين عينى ، ألاَ وإنه جلدة وجهى كله

باب اللحن

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾

قال أبو عثمان عمرو بن بحر : حدثنا عثام أبو يحيى عن الاعمش عن عِمارة ابن عُمير قال : كان أبو مَعمر يحدثنا فيلحن يتبع ما سمع

أبو الحسن قال : أوفد زيادٌ عُبيدَ الله بنَ زيادٍ إلى معاوية فكتب إليه معاوية : إن ابنك كما وصفت ولكن قوّم من لسانه . وكانت فى عُبيد الله لُكنة

لانه كان نشأ بالأساورة مع أمه مُرجانة ، وكان زياد تزوجها من شيرويه الاسوارى ،
وكان قال مرة : افتحوا سيوفكم . يريد : سُلّوا سيوفكم. فقال يزيد بن مُفرغ:

وَيومَ فتحْتَ سَيْفَكَ منْ بعيدٍ أضعْتَ وَ كلُّ أمرِكَ لِلضياعِ

ولما كلمه سُويد بن منجوف فى الهتهات بن ثور قال له : يا ابن البَظراء .
فقال له سُويد : كذبت على نساء بنى سَدوس . قال : اجلس على أست الارض.
قال سُويد : ما كنت أحسب أن للارض أستاً

قالوا : قال بشر بن مَروان — وعنده عمر بن عبد العزيز — لغلام له :
ادع لى صالحا . فقال الغلام : ياصالحاً . فقال له بشر : ألق منها ألِف . فقال له
عمر : وأنت فزد فى ألفك ألِفا .

وزعم يزيد مولى عَون قال : كان رجل بالبصرة له جارية تسمَّى ظَمياء، فكان
إذا دعاها قال : ياضمياء . بالضاد فقال له ابن المقفع : قل ياظمياء . فناداها : ياضمياء .
فلما غيَّر عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثا قال : هى جاريتى أو جاريتك ؟

قال نصر بن سيار : لاتسم غلامك إلا باسم يخف على لسانك .

وكان محمد بن الجهم ولى المكىَّ صاحب النظام موضعاً من مواضع كسكر ،
وكان المكى لايحسن أن يسمى ذلك المكان ولا يتهجاه ولا يكتبه ، وكان اسم ذلك
المكان « شانمثنا »

وقيل لأبى حنيفة : ماتقول فى رجل أخذ صخرة فضرب بها رأس رجل
فقتله أتقيده به ؟ قال : لا ، ولو ضرب رأسه بأبا قبيس .

وقال يوسف بن خالد التيمى لعمرو بن عبيد : ماتقول فى دجاجة ذبحت من
قفائها ؟ قال له عمرو : أحسِن . قال : من قفاؤها . قال : أحسِن. قال : من قفائها
قال له : من عناك هذا ؟ قل : من قفاها واسترح. قال : وسمعت من يوسف بن خالد
يقول : لا حتى يشِجه . بكسر الشين يريد حتى يشجه بضم الشين . وكان يوسف
يقول : هذا أحمر من هذا . يريد هذا أشد حمُرة من هذا

وقال بشر المريسى : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها .

فقال قاسم التمار : هذا على قوله :

إنَّ سُلَيْمَى واللهُ يَكلَؤُها ضَنَّتْ بِشَيْءٍ مَا كانَ يَرْزُؤُها

فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بشر

وقال مسلم بن سلام : حدثنى أبانَ بن عثمان قال : كان زياد النَبَطى شديد اللُّكنة وكان نحويا ، قال : وكان بخيلا ، دعا غلامه ثلاثا فلما أجابه قال : فمن لدن دَأَوتك فقلت لبى الى أن أجبتنى ما كنت تصنأ ؟ يريد من لدن دعوتك إلى أن أجبتنى ما كنت تصنع . قال : وكانت أم نُوح وبلال ابنى جرير أعجمية فقال لها: لاتتكلمى إذا كان عندنا رجال . فقالت يوما : يانوح جُرْدَان دخل فى عجان أمك. وكان الجرذ أكل من عجينها .

قال أبو الحسن : أهدى إلى قيل مولى زياد حِمار وحش فقال لزياد : أهدوا لنا حمار وهش . قال : أى شىء تقول ويلك ؟ قال : أهدوا لنا أيراً . يريد عَيراً ، قال زياد : الثانى شر من الاول

قال يحيى بن نوفل :

وإنْ يَكُ زَيْدٌ فَصيحَ اللِّسانِ خَطيباً فإنَّ أَسْتَهُ تَلْحَنُ

عَلَيْكَ بِسُكٍّ وَرُمَّانَةٍ وَمِلْحٍ يُدَقُّ ولاَ يُطْحَنُ

وَحِلْتِيتِ كَرْمَانَ أوْ نانَخاهُ وشَمْعٍ يُسَخَّنُ فى مُدْهُنِ (١)

وهذا الشعر فى بعض معانيه يشبه قول ابن مناذر: (٢)

---

(١) حلتيت : هو مادة صمغية راتنجية تسيل من جذوع الانجزان متى تشققت ، ذات رائحة قوية وطعم مركريه ، تذوب في مح البيض . وفى شرح المواليد أنها من أشد مضادات التشنج ، ومنبهة للوظائف الهضمية ، ومدرة للطمث ، طاردة للديدان المعوية . نانخاه : بذور ذات رائحة طيبة مقبولة ، وهى مخرجة للرياح . وتسمى عند العامة : نخوة

(٢) ابن مناذر : هو محمد بن مناذر ، مولى بنى صبير بن يربوع ، يكنى أبا جعفر . كان شاعراً فصيحاً مقدماً فى العلم باللغة إما ما فيها حجة في روايتها ، أخذ عنه أكابر أهلها ، وكان في مبدأ أمره متنسكا متأللها ، ثم خلع وفتك وهجا الناس وقذف

إذا أنتَ تعلّقتَ بحَبْلٍ مِنْ أبى الصَّلْتِ
تعلّقتَ بحَبْلٍ وَا هِنِ القُوَّةِ مُنبَتِّ
فخُذْ من سلح كيسانٍ ومنْ أظفار سبَخْتِ (١)
ألمْ يَبْلُغْكَ تَسْآلى لَدَى العلّامَةِ البُرْتِ
وقالَ المَرْءُ ما سَرْجِيـــــسُ داءُ المَرْءِ مِنْ تحتِ (٢)

وقال البردخت (٣)

لَقَدْ كانَ فى عَيْنَيْكَ ياحفْصُ شاغلٌ وَأنفٍ كَثيلِ العَوْدِ عَمَّا تَتَبَّعُ (٤)
تُتَبِّعُ لَحْنا فى كَلامٍ مُرَقَّشٍ وخَلْقُكَ مبْنىٌّ عَلَى اللَّحْنِ أجْمَعْ
وعَيْنُكَ إقْواءٌ وأنْفُكَ مُكْفأٌ وَوَجْهُكَ إيطاءٌ فأنْتَ المُرَقَّعُ (٥)

وقال المَيْسانى فى هجائه أهل المدينة :

ولَحْنُكُمُ بِتَقْصيرٍ وَمَدّ وألأمُ مَنْ يَدُبُّ عَلَى العفارِ

على بن معاذ قال : كتبت إلى فتى كتابا فأجابنى ، فاذا عنوان الكتاب :

الأعراض ، ونفى من البصرة إلى الحجاز . وكان من جلساء سفيان بن عيينة . ولما ترك النسك والتأله وعظه المعتزلة ومنعوه دخول المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم ، وكان يأخذ المداد فيطرحه في مطاهرهم بالليل فاذا توضأوا به سود وجوههم وثيابهم . توفي سنة ١٩٨ هـ ٨١٣ م

(١) سلح كيسان : في نسخة : شعر كيسان ، وما أثبتناه هو الأقرب إلى الصواب وهو رواية ثعلب . وكيسان هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوى . وسبخت : هو لقب لأبى عبيدة معمر بن المثنى الامام الراوية المشهور

(٢) ماسرجيس : هو ماسرجويه الطبيب البصرى المشهور ، كان سريانى اللغة يهودى النحلة ، وهو الذى تولى في أيام مروان بن الحكم تفسير كناش القس اهرن بن أعين إلى العربية ، ووجده عمر بن عبد العزيز فى خزائن الكتب فأخرجه وبثه في الناس .

(٣) البردخت ، في نسخة البردحت ، والذى أثبتناه هو الصواب . والبردخت هو على بن خالد الضبى أحد بنى السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة

(٤) كثيل العود : كقضيب البعير (٥) الاقواء : اختلاف إعراب القافية ، والاكفاء : اختلاف حروف القوافي ، والايطاء : تكرار القافية لفظاً ومعنى

إلى ذاك الذى كتب إلىّ . وقرأت على عنوان كتاب لأبى أميّة الشمرى : الموت أنا قبله . وكتب ابن المرادى إلى بعض ملوك بغداد : جُعلت فداك برحمته

وقال ابرهيم بن سيار : أنا لا أقول : متّ قبلك ، لأنى إذا متّ قبلك مات هو بعدى ، ولكن أقول: مت بدلك

وكتب عِقال بن شبة بن عِقال إلى زهير بن المسيب :

لِلأمِيرِ المُسَيَّبِ بْنِ زُهَيْرٍ مِنْ عِقَالِ بْنِ شَبَّةَ بنِ عقَالِ

ولما كتب بشير بن عبيد الله على خاتمه : بشير بن عبيد الله بالرحمن لا بشرك . قرأه أبوه على خاتمه قال : هذا أقبح من الشرك .

وقال عبد الملك بن مروان : اللحن هُجنة على الشريف ، والعُجب آفة الرأى . وكان يقال : اللحن فى المنطق أقبح من آثار الجُدرى فى الوجه .

وقال يحيى بن نوفل فى خالد بن عبد الله القسرى :

وَأَلْحَنُ النَّاسِ كلِّ النَّاسِ قاطِبَةً وكانَ يُولَعُ بالتَّشْدِيقِ فِي الخُطَبِ

وزعم المدائنى أن خالد بن عبد الله ـ وكان يولع بالتشديق ـ قال . إن كنتم رجبيون فإنا رمضانيون

ولولا أن تلك العجائب قد صححت على الوليد ما جوزت هذا على خالد

قال : وكتب الحصين بن الحر كتابا الى عمر فلحن فى حرفٍ فيه ، فكتب إليه عمر أن قَنِّع كاتبك سوطاً

وبلغنى عن كثير بن أحمد بن زهير بن سيار أنه كان ينشد بيت أبى داف

أَلْبِسينى الدِّرْعَ قدْ طا لَ عَنِ الحَرْبِ جِمَاحى

فسألته عن ذلك فحلف أنه إنما قال :

أَلْبِسينى الدِّرْعَ قدْ طا لَ عنِ الحَرْبِ جِمَاصى

قال الله تبارك وتعالى « ولَتَعْرِفَنَّهُمْ فى لَحْنِ القَوْلِ » فاللحن فى ذلك الموضع غير اللحن فى ذلك الموضع .

وكان سليمان بن عبد الملك يقول : المُغيرة بنُ عبد الرحمن بن الحارث يُفخم

اللحن كما يفخم نافع بن جُبير الاعراب

وقال الشاعر فى نحو ذلك :

لَعَمْرِى لَقَدْ قَعَّبْتَ حِينَ لَقِيتَنَا وأَنْتَ بِتَقْعِيبِ الْكَلَامِ جَدِيرُ (١)

وقال خلف الاحمر :

وَفَرْقَعْنَ بِتَقْعِيبِهِ كَفَرْقَعَةِ الرَّعْدِ بَيْنَ السَّحَابِ

وقال المَيْسَانِى :

ولَحْنِكُمُ بِتَقْعِيبٍ ومَدٍّ وَأَلْأَمُ مَنْ يَدُبُّ على العَفَارِ

وقال الاصمعى : خاصم عيسى بن عمر (٢) النحوى الثقفى رجلا إلى بلال بن أبى بردة ، فجعل عيسى يُشبع الاعراب وجعل الرجل ينظر إليه ، فقال له بلال : لأن يذهب بعض حق هذا أحب إليه من ترك الاعراب ، فلا تتشاغل به واقصد بحجتك .

وقدّم رجل من النحويين رجلا إلى السلطان فى دَين له عليه فقال : أصلح الله الامير ، لى عليه درهمان . قال خصمه : لا والله أيها الامير ، إن هى إلا ثلاثة دراهم ، لكنه لظهور الاعراب ترك من حقه درهما .

قال : خاصم رجل إلى الشعبى أو إلى شُريح رجلا فقال : إن هذا باعنى غلاما فصيحاً صبيحاً ، قال : هذا محمد بن عمر بن عطارد بن حاجب بن زرارة

قال ، مرّ ماسرجويه الطبيب بجد معاذ بن سعيد بن حميد الحميرى فقال : يا ماسرجويه إنى أجد فى حلقى بححا ، قال : انه عملُ بلغمٍ ، فلما جاوزه قال : أنا أحسن أن أقول بلغمٌ ، ولكنه كلمنى بالعربية فكلمته بالعربية

(١) التقعيب : أن تتكلم من أقصى فمك حتى كا نه قعب

(٢) عيسى بن عمر الثقفى ، كان مولى خالد بن الوليد ، ثم نزل في ثقيف فنسب اليهم ، إمام في النحو والعربية والقراءة ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي اسحق ، وروى عن الحسن البصرى والعجاج وغيرهما ، وعنه روى الأصمعي وغيره . قيل كان له نيف وسبعون مصنفاً ذهبت كلها . وكان يتقعر في كلامه . مات سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧ م

وروى أبو الحسن أن الحجاج كان يقرأ : إنا من المجرمون المنتقمون . وقد زعم رُؤبة بن العجاج وأبو عمرو بن العلاء أنهما لم يريا قَرَوِيين أفصح من الحسن والحجاج . وغلط الحسن فى حرفين من القرآن مثل قوله : ص والقرآن . والحرف الآخر : وماتنزلت به الشياطون

أبو الحسن قال : كان سابق الأعمى يقول : الخالق الباريُ المصوِّر. فكان ابن جابان إذا لقيه قال : يا سابق ، ما فعل الحرف الذى تشرك بالله فيه ؟ قال : وقرأ : ولا تَنكِحُوا المُشْرِكين حتى يُؤْمِنُونَ . وقال ابن جابان : وإن آمنوا أيضاً لم ننكحهم

وقال مسلمة بن عبد الملك : إنى لأحب أن أسأل هذا الشيخ ، يعنى عمرو ابن مسلم ، فما يمنعنى منه إلا لحنه

قال: وكان أيوب السختيانى يقول : تعلموا النحو ، فإنه جمال للوضيع، وتركه هُجنة للشريف

وقال عمر : تعلموا النحو كما تَعلّمون السنن والفرائض

قال رجل للحسن : يا أبى سعيد . فقال: كسب الدوانيق شغلك عن أن تقول يا أبا سعيد ؟

قالوا : وأول لحن سُمع بالبادية : هـذه عصاتى . وأول لحن سُمع بالعراق : حىٌ على الفلاح

﴿ باب من لحن البلغاء ﴾

ومن اللحانين البلغاء خالد بن عبد الله القَسْرِى ، وخالد بنُ صَفوان الأهتمى ، وعيسى بن المدور .

وقال بعض النساك : أعربنا فى كلامنا فما نلحن حرفاً ، ولحنّا فى أعمالنا فما نعرب حرفا

أخبرنا الربيع بن عبد الرحمن السلمى قال : قلت لأعرابى : أتهمز إسرائيل ؟

قال: إنى إذاً لرجل سوء . قلت : فتجر فِلسطين ؟ قال: إنى إذاً لقوى

وكان هُشيم[1] يقول : حدثنا يَوْنِسْ عن الحسن. يقولها بفتح الياه وكسر النون

وكان عبد الأعلى بن الله السلمى[2] يقول : فأخذِه فصرعهِ فذبحهِ فأكلهِ. بكسر هذا أجمع

وكان مهـدى بن مهلهل يقول : حدثنا هشام . مجزومة ، ثم يقول : ابنْ . ويجزمه ، ثم يقول : حسانْ . ويجزمه . لأنه حين لم يكن نحويًّا رأى أن السلامة فى الوقف[3]

وأما «خالد بن الحارث» و« بشر بن المفضل » الفقيهان فانهما كانا لا يلحنان

وممن كان لا يلحن ألبتة حتى كأن لسانه لسان أعرابى فصيح « أبو زيد » النحوى و « أبو سعيد » المعلم

قال خلف : قلت لاعرابى : ألقى عليك بيتاً سا كناً ؟ قال : على نفسك فألقه

وقال أبو الفضل العنبرى لعـلى بن بشير ، إنى التقطت كتاباً من الطريق فأنبئت أن فيه شعراً، أفتريده حتى آتيك به ؟ قال : نعم إن كان مُقيداً . قال : والله ما أدرى أمقيدٌ هو أم مغلول

الاصمعى قال : قيل لاعرابى : أتهمز الرمح ؟ قال : نعم . قيـل له : فقلها مهموزة . فقالها مهموزة . قال : أتهمز الترس ؟ قال : نعم . فلم يدع سيفاً ولا ترساً إلا همزه . فقال له أخوه ـ وهو يهزأ به ـ دعوا أخى فانه يهمز السلاح أجمع

وقال بعضهم : أرتفع إلى زياد رجل وأخوه فى ميراث ، فقال : إن أبو نامات وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله . فقال زياد : الذى أضعت من لسانك ، أضرُّ عليك مما أضعت من مالك . وأما القاضى فقال : فلا رحم الله أباك ، ولا

---

(١) هشيم : هو هشيم بن بشير ، مولى بنى سليم ، يكنى أبا معاوية ، كان من المحدثين البلغاء ولد سنة ١٠٥ هـ ٧٢٣ م وتوفى سـنة ١٨٣ هـ ٧٩٩ م (٢) فى الأصل : عبد الأعلى بن الأعلى السلمى . ولم أعرف له مسمى ، ولعل الصواب ما أثبتناه

(٣) قلت : كان قاسم بك أمين رحمه الله يرى هذا الرأى ويستحسنه . . . ؟

تنح عظم أخيك ، قم فى لعنة الله . وقال أبو شيبة قاضى واسط : آنيتمونا بعد أن أردنا أن نقم ؟

قد ذكرنا فى صدر هذا الكتاب من الجزء الاول ، وفى بعض الجزء الثانى ، كلاما من كلام العقلاء البلغاء ، ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء . وقد روينا نوادر من كلام الصبيان والمحرمين من الاعراب ، ونوادر كثيرة من كلام المجانين وأهل المرة [١] من الموسوسين ، ومن كلام أهل الغفلة من النوكى وأصحاب التكلف من الحمقى ، فجعلنا بعضها فى باب الهزل والفكاهة ، ولكل جنس من هذا موضع يصلح له ، ولا بد لمن اسْتَكَدَّهُ الجد من الاستراحة إلى بعض الهزل

قال أبو عبيدة : أرسل ابن لعجل بن لجيم فرساً له فى حلبة فجاء سابقا ، فقال لأبيه : يا أبت بأى شىء أسميه ؟ فقال : إفقأ إحدى عينيه وسمه الأعور

وشعراء مضر يحمقون رجال الأزد ويستخفون أحلامهم [٢] قال عُمر بن لجأ :

تَصْطَكُّ ٱلْحَيْها عَلى دِلاَئِها ... تلاطُمَ الأَزْدِ على عَطَائِهَا [٣]

وقال بشار :

وكانَّ غَلْىَ دِنَانِهِمْ فِى دُورِهِمْ ... لَغَطُ الْعَتِيكِ على خِوَانِ زِيَادِ [٤]

وقال الراجز :

لَبَّيْكَ بى أَرْفُلُ فى بِجَادِى ... حازِمُ حَقْوَىَّ وَصَدْرِى بادِى
أُفَرِّجُ الظَّلْمَاءَ عَنْ سَوَادِى ... أَقْوَى لِشَوْلٍ بَكَرَتْ صَوَادِ
كأَنَّمَا أَصْوَاتُها بالْوَادِى ... أَصْوَاتُ حَجٍّ عَنْ عُمَانَ غَادِ [٥]

وقال الآخر :

وإذَا سَمِعْتَ هَدِيلَهُنَّ حَسِبْتَهُ ... لَغَطَ المَعاوِلِ فى بُيُوتِ هدَادِ

---

(١) وفي نسخة أهل المره ، والصواب ما أثبتناه . وأهل المرة يعنى المعروفين الموسوسين (٢) في الاصل : أخلاقهم . والصواب ما أثبتناه (٣) تصطك : تضطرب.
(٤) العتيك : هم الازد أو فخذ منهم ،وهم قوم المهلب بن أبي صفرة
(٥) عمان : بلد باليمن، والمراد بها هنا الأزد لأنهم كانوا يسمون ازد عمان أيضاً

وبسبب هذا يدخلون فى هذا المعنى قبائل اليمانية . وقال ابن أحمر :

إخالها سمعت عزفاً فتحسبه ... إهابة القسر ليلاً حين تنتشر[1]

وقال الكميت :

كأن القطامط من غليها ... أراجيز أسلم تهجو غفارا[2]

فجعل الاراجيز التي شبهها فى لغطها والتفافها بصوت غليان القدر لأسلم دون غفار

﴿ باب النوكى والمجانين ﴾

قالوا : ومن النوكى « مالك بن زيد مناة » بن تميم ، الذى لما دخل على امرأته فرأت مارأت به من الجفاء والجهل وجلس فى ناحية منقبضا مشتملا قالت : ضع عمامتك . قال : يدى أحفظ لها . قالت : فاخلع نعليك . قال : رجلاى أحفظ لها . قالت : فضع شملتك . قال : ظهرى أولى بها . فلما رأت ذلك قامت فجلست إلى جانبه فلما شم ريح الطيب وثب عليها

ومن المجانين والموسوسين والنوكى « ابن فِنان » و « صباح الموسوس » و « ريسموس اليونانى » و « أبوحية النميرى » و « أبو يَبس الحاسب » و « جُعيفران الشاعر » و « جرنفش » ومنهم « سارية الليل » ومنهم « ريطة بنت كعب » بن سعد بن تميم بن مرة ، وهى التى نقضت غزلها أنكاثاً فضرب الله تبارك وتعالى بها

---

(١) إهابة القسر : نداء القسر . والقسر قبيلة يمانية ينسب إليها خالد بن عبد الله القسرى

(٢) لهذا البيت حكاية طريفة نرى ايرادها هنا لما فيها من النقد : اجتمع نصيب والكميت . فاستنشد النصيب الكميت فأنشده قصيدته التى أولها « أبت هذه النفس إلا ادكارا » فلما بلغ إلى قوله :

إذا ما الهجارس غنينها ... يجاوبن بالفلوات الوبارا

فقال له نصيب : الفلوات لا تسكنها الوبار . فلما بلغ إلى قوله :

كأن القطامط من غليها ... أراجيز أسلم تهجو غفارا

قال له نصيب : ماهجت أسلم غفاراً قط . فاستحيى الكميت وسكت . لأنهما من قبيلة واحدة

المثل وهى التى قيل لها : خرقاء وجدت صوفا . ومنهم « دُغة » و « جَهيزة » و « شَولة » و « وذراعة المعدية » . ولكل واحد من هؤلاء قصة سنذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى

فأما « ريسموس » فكان من موسوسى اليونانيين . قال له قائل : مابال ريسموس يعلم الناس الشعر ولا يستطيع قوله ؟ قال : مثله مثل المسن الذى يشحذ ولا يقطع . ورآه رجل يأكل فى السوق فقال : مابال ريسموس يأكل فى السوق ؟ قال : إذا جاع فى السوق أكل فى السوق . وألح عليه بالشتيمة رجل وهو ساكت فقيل له : يشتمك مثل هذا وأنت ساكت ؟ قال : أرأيت إن نبحك كلب أتنبحه ؟ أو رمحك حمار أترمحه ؟ وكان إذا خرج فى الفجر يريد الفرات ألقى فى دوّارة بابه حجرا حتى لا يعيانى دفع بابه إذا رجع . وكان كلما رجع إلى بابه وجد الحجر مرفوعا والباب مُنصفقا، فعلم أن أحداً يأخذ الحجر من مكانه ، فكمن لصاحبه يوماً فلما رآه قد أخذ الحجر قال : مالك تأخذ ماليس لك ؟ قال : لم أعلم أنه لك . قال : فقد علمت أنه ليس لك !

أما « جُعيفران » الموسوس الشاعر فشهدت رجلا أعطاه درهما وقال : قل شعراً على الجيم . فأنشأ يقول :

عادَنِى الْهَمُّ فاعْتَلَجْ ... كلُّ هَمٍّ إلى فرَجْ
سَلِّ عَنْكَ الْهُمُومَ بالْـ ... ـكأسِ والرَّاحِ تَنْفَرِجْ

وهى أبيات . وكان يتشيع ، قال له قائل ، أتشتم فاطمة وتأخذ درهماً ؟ قال : لا ، بل أشتم عائشة وآخذ نصف درهم . وهو الذى يقول :

مَا جَعْفَرٌ لِأَبِيهِ ... وَلَا لَهُ بِشَبِيهِ
أَضْحَى لِقَوْمٍ كُثَيِّرٍ ... فَكُلُّهُمْ يَدَّعِيهِ
هَذَا يَقُولُ بُنَيَّ ... وَذَا يُخَاصِمُ فِيهِ
وَالأُمُّ تَضْحَكُ مِنْهُمْ ... لِعِلْمِهَا بِأَبِيهِ

وهو الذى يقول فى قوم لاطة :

كَأَنَّهُمْ وَالأُيُورُ عَامِدَةٌ صَيَاقِلٌ فى جِلاَيَةِ النَّصْلِ

وأما « أبو يَس » الحاسب فإن عقله ذهب بسبب تفكيره فى مسألة ، فلما جُن كان يهذى أنه سيصير ملكا ، وقد ألهم ما يحدث فى الدنيا من الملاحم . وكان أبو نواس والرَّقاشى يقولان على لسانه أشعاراً على مذاهب أشعار ابن عقب الليثى ويرويانها أبا يَس إذا حفظها لم يشك أنه هو الذى قالها . فمن تلك الأشعار قول أبى نواس :

مَنَعَ النَّوْمَ ادِّكَارِي زَمَناً ذَا تَهاوِيل وَأَشْيَاء نُكُرْ
وَاعْتِرَاكُ الرُّومِ فِى مَعْمَعَةٍ لَيْسَ فيهَا إِجْبَانٌ مِنْ مَقَرْ
كَائِنَاتٌ لَيْسَ عَنها مَذْهَبٌ خَطَّهَا يُوشَعُ فى كُتُبِ الزُّبُرْ
وَعَلاَمَاتٌ سَتَأْتِى قَبْلَهُ جَمَّةٌ أَوَّلُهَا سَكْرُ النَّهَرْ
وَيَلِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ هَاشِمٍ أَقْنَصُ النَّاسِ جَمِيعاً لِلْحُمُرْ
يَبْتَنِى فى الصَّحْنِ مِنْ مَسْجِدِهِمْ لِلْمُصَلِّينَ مِنَ الشَّمْسِ سُتُرْ
وَرَجَاءٌ يَبْتَنِى مَطْهَرَةً ضَخْمَةً فِى وَسْطِهَا طَشْتٌ صُفُرْ
فَهُنَاكُمْ حِينَ يَفْشُو أَمْرُكُمْ وَهُنَاكُمْ يَنْزِلُ الأَمْرُ النُّكُرْ
فَاتْبَعُوهُ حَيْثُ مَا سَارَ بِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَإِنْ طَالَ السَّفَرْ
وَدَعُوا بِاللهِ أَنْ تَهْزُوا بِهِ لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ مِنْهُ سَخَرْ

والبصريون يزعمون أن أبا يَس كان أحسب الناس

أما « أبو حية النميرى » فإنه أجن من جعيفران ، وكان أشعر الناس وهو الذى يقول :

أَلاَ حَيِّ أَطْلاَلَ الرُّسُومِ الْبَوَالِيَا لَبِسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا

وهو الذى يقول :

فَأَلْقَتْ قِنَاعاً دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٍّ وَمِعْصَمِ

وحدثنى أبو المنجوف قال : قال أبو حية : عنَّ لى ظبى فرميته ، فراغ عن سهمى ، فعارضه والله السهم ، ثم راغ فراوغه حتى صرعه ببعض الجنارات .

وقال : والله رميت ظبية فلما نفذ السهم ذكرت بالظبية حبيبة لى فشددت وراء السهم حتى قبصت على قُذذه وكان يكلم العُمار ويخبر عن معاوضته للجن

وأما « جرنفش » فانه لما خلع الفرزدق لجام بغلته وأدنى رأسها من الماء قال له جرنفش : نح بغلتك خلق الله ساقيك . قال : ولم عافاك الله ؟ قال : لأنك كذوب المخبرة ، زانى الكمرة . قال ابو الحسن : وبلغنى أن الفرزدق لما أن قال له الجرنفش ماقال نادى : يابنى سدوس. فلما اجتمعوا إليه قال : سوّدوا الجرنفش عليكم فانى لم أر فيكم أعقل منه .

ومن مجانين الكوفة « عينادة » و « طاق البصل » . حدثنى صديق لى قال : قلت لعينادة : أيما أجن ، أنت أو طاق البصل ؟ قال : أنا شىء وطاق البصل شىء

ومن مجانين الكوفة « بهلول » وكان يتشيع ، قال له اسحق بن الصباح : أكثر الله فى الشيعة مثلك . قال : بل أكثر الله فى المرجئة مثلى ، وأكثر فى الشيعة مثلك . وكان جيد القفاء فربما مر به من يحب العبث فيقفنده ، فحشا قفاه خرءاً وجلس على قارعة الطريق ، فكلما قفنده إنسان تركه حتى يجوز ثم يصيح به : ياقفى شم يدك . فلم يعد بعده أحد يقفنده . وكان يغنّي بقيراط ، ويسكت بدانق . وكانت بالكوفة امرأة رعناء يقال لها « مُجيبة » فقفذ بهلولا فى كانت مجيبة أرضعته ، فقال له بهلول : كيف لاتكون أرعن وقد أرضعتك مجيبة ، فوالله لقد كانت تزق لى الفرخ فأرى الرعونة فى طيرانه

حدثنى حجر بن عبدالجبار قال : مر « موسى بن أبى ردقاء » فناداه « صباح » الموسوس : يابن أبى الردقاء ، أسمنت برذونك وأهزلت دينك ، أما والله إن أمامك لعقبة لايجوزها إلا المخف . فحبس موسى برذونه وقال : من هذا ؟ فقيل له : هذا صباح الموسوس . فقال : ماهو بموسوس ، هذا نذير

قال أبو الحسن : دعا بعض السلاطين مجنونين ليحركهما فيضحك مما يجىء منهما ، فلما أسمعاه وأسمعهما غضب ودعا بالسيف ، فقال أحدهما لصاحبه : كنا مجنونين فصرنا ثلاثة

وقال عمر بن عثمان ، شيعت عبد العزيز بن عبد الملك المخزومى وهو قاضى مكة إلى منزله،وبباب المسجد مجنونة تصفق وهى تقول :

أَرِقَ عَيْنِي طوارِقُ القاضِى هذَا المُقِيمُ لَيْسَ ذَاكَ الْماضِى

فقال : ياأبا حفص ، أتراها تعنى قاضى مكة ؟

وتذاكروا اللثغ فقال قوم : أحسن اللثغ ما كان على السين ، وهو أن يصير ثاء . وقال آخرون : على الراء ، وهو أن يصير غينا . فقال « مجنون البكرات » أنا أيضا، ألثغ إذا أردت أن أقول شرائط قلت رشيط

وبعث عبيد الله بن مَروان عم الوليد إلى الوليد بقطيفة حمراء فكتب إليه الوليد : قد وصلت إلىّ القطيفة،وأنت ياعم أحمق أحمق

وقال محمد بن بلال لوكيله زيد : اشتر طيبا سيرافيا . قال : تريده سِيرافى أو سَيْرافى سِيَرافى؟

وقال محمد بن الجهم المكى : أراك مستبصرا فى اعتقاد الجزء الذى لايتجزأ ، فينبغى أن يكون عندك حقاحقا . قال : أماأن يكون عندى حقا حقا فلا،ولكنه عندى حق

ودخل أبوطالب صاحب الطعام على «هاشمية» جارية حمدونة بنت الرشيد — على أن يشترى طعاما من طعامها فى بعض البيادر — فقال لها ، إنى قد رأيت متاعك . قالت هاشمية : قل طعامك . قال : وقد أدخلت يدى فيه فاذا متاعك قد خم وحمى وصار مثل الجيفة . قالت : يا أبا طالب ألست قد قبلت الشعير ؟ فاعطنا ماشئت وإن وجدته فاسداً . ودخل أبو طالب على المأمون فقال : كان أبوك يابا خيرٌ لنا منك ، وأنت يابا ليس تعدنا وليس تبعث إلينا ، ونحن يابا تجارك وجيرانك . والمأمون فى كل ذلك يتبسم

قيل للمُثَنّى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو على اليمامة : إن هاهنا مجنونا له نوادر ، فأتوه به ، فقال : ماهجاء الفشاش ؟ قال : الفلج القادى . فغضب ابن هبيرة وقال : ماجئتمونى به إلا عمدا ، ماهذا بمجنون !

والنشاش يوم كان لقيس على حنيفة ، والفلج يوم كان لحنيفة على قيس .

وأنشدوا :

تَرَى القَوْمَ أَسْوَاءً إِذا حُسِبُوا مَعاً ... وفى القَوْمِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ

وقال :

فَتًى زَادَهُ عِزُّ المَهَابَةِ ذِلَّةً ... وكل عَزِيزٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ

وقال :

قَدْ يَنْفَعُ الأَدَبُ الأَحْدَاثَ فى مَهَلٍ ... وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْكِبْرَةِ الأَدَبُ

إِنَّ الْغُصُونَ إِذا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ ... وانْ تَلِينَ إِذا قَوَّمْتَهَا الخشبُ

﴿ باب فى العى ﴾

قال جعفر بن أخت واصل : كتب رجل إلى صديق له : بلغنى أن فى بستانك آساً يعجبنى ، فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيم

وقال أبو عبد الملك — وهو الذى كان يقال له عناق — كان عَيَّاش وثُمامة حى كان يعظمنى تعظيما ليس فى الدنيا مثله ، فلما مات ثمامة صار ليس يعظمنى تعظيما ليس فى الدنيا مثله . وقال له عياش بن القاسم : بأى شىء تزعمون أن أبا على الأسوارى أفضل من سلام أبى المنذر ؟ قال : لأنه لما مات سلام أبو المنذر ذهب أبو على فى جنازته ، فلما مات أبو على لم يذهب سلام فى جنازته . وكان يقول : فيك عشر خصال من الشر ، أما الثانية والرابعة كذا ، وأما السابعة كذا ، وأما العاشرة كذا

قال : قلنا للفَقْعَسى : كيف ثناؤك على حمدان بن حبيب ؟ قال : هو والله عندى الكذا الكذا

وقال الخرداذى : آجرك الله وعظم أجركم وآجركم . فقيل له فى ذلك فقال : هذا كما قال عثمان بن الحكم : بارك الله لكم وبارك الله عليكم وبارك الله فيكم . قالوا له : ويلك إن هذا لا يشبه ذلك . وكتب إلى بعض الأمراء : أبقاك الله وأطال بقاءك ومد فى عمرك

وكان أبو إدريس السمان يقول : وأنت فلاصبحك الله إلا بالخير . ويقول : وأنت فلا حيا الله وجهك إلا بالسلام ، وأنتم فلا بيتكم الله إلا بالخير

ومرّ ابن أبي علقمة فصاح به الصبيان فهرب منهم وتلقاه شيخ وعليه ضفيرتان فقال له : ياذا القرنين ، إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض

وقال المهلب لرجل من بنى ملكان أحد بنى عدى : متى أنت ؟ قال : أيام « عُتيبة بن الحارث بن شهاب » وأقبل على رجل من الأزد فقال له ، متى أنت ؟ قال : أكلت من حبوة رسول الله ﷺ عامين . قال : أطعمك الله لحمك . وأنشد المُعَيْطِيُّ

وأنزلني طُولُ النوى دارَ غربةٍ ... إذا شئتُ لاقيتُ الذي لا أُشاكِلُهُ

فخامقتُهُ حتى يُقالَ سَجيَّةٌ ... ولوْ كانَ ذا عقلٍ لكنتُ أُعاقِلُهُ

وخطب عتّاب بنُ ورقاء [1] فحث على الجهاد . فقال : هذا كما قال الله تعالى :

كُتِبَ القتلُ والقِتالُ علينا ... وعلى الغانياتِ جرُّ الذُّيُولِ

وخطب والى اليمامة فقال : إن الله لا يقارّ عباده على المعاصى ، وقد أهلك الله أمةً عظيمة فى ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم . فسمى « مقوّم ناقة الله »

وهؤلاء من الجفاة والأعراب المحرمين وأصحاب المجرفية ومَن قل فقهه فى الدين إذا خطبوا على المنابر فكأنهم فى طباع أولئك المجانين

وخطب وكيع بن أبى سود [2] بخراسان فقال : إن الله خلق السموات

---

(١) عتاب بن ورقاء : هو عتاب بن ورقاء الرياحى ، كان يكنى أبا ورقاء ، قائد من قواد الدولة الأموية ، وكان من الشجعان الأجواد . وكان له بلاء حسن في فتنة الفرخان صاحب الرى حينما ارتد فقاتله حتى ظفر به وفتح الرى ، وولى أصبهان أيام فتنة عبد الله بن الزبير ، ووجهه الحجاج على جيش أهل الكوفة لقتال الازارقة ، وولى المدائن ونواحيها فبيته شبيب بن يزيد الشيبانى فتفرق عنه جيشه وخر صريعاً في المعركة ، وذلك في سنة ٧٧ هـ ٦٩٦ م (٢) وكيع بن أبى سود : هو وكيع بن حسان بن قيس بن أبى سود التميمى ، ويقال له ابن الدورقية ، كان يكنى أبا مطرف ، وكان سيد تميم ، افترض مع سلم بن زياد فجعل مكتبه بسجستان ، وولى عبد العزيز بن عبد الله

والأرض ، فى ستة أشهر . فقيل له : إنها ستة أيام ! قال : وأبيك لقد قلتها وإنى لأستقلها . وصعد المنبر فقال : إن ربيعة لم تزل غِضاباً على الله منذ بعث نبيه من مضر ، ألا وإن ربيعة قوم كُشف ، فإذا رأيتموهم فاطعنوا الخيل فى مناخرها ، فإن فرساً لم يطعن فى منخره إلا كان أشد على فارسه من عدوه

وضربت بنو مازن الحتات بن يزيد المجاشعى فجاءت جماعة منهم فيهم غالب أبو الفرزدق فقال : يا قوم كونوا كما قال الله : لا يعجز القوم إذا تعاونوا

وتزعم بنو تميم أن صبرة بن شيمان قال فى حرب مسعود والأحنف : إن جاء حتات جئت ، وإن جاء الأحنف جئت ، وإن جاء حارثة جئت ، وإن جاؤا جئنا ، وإن لم يجيئوا لم نجئ . وهذا باطل ، وقد سمعنا لصبرة كلاماً لا ينبغى أن يكون صاحب ذلك الكلام يقول هذا الكلام

ولما سمع الأحنف فتيان بنى تميم يضحكون من قول العرندس :

لَحَا اللهُ قوْماً شَوَّهُوا جارهم ... إذِ الشَّاةُ بالدِّرْهَمَيْنِ الشُّصُبْ

أرَى كلَّ قَوْمٍ رَعَوْا جارَهُمْ ... وجارُ تَمِيمٍ دُخانٌ ذَهَبْ

قال : أتضحكون ؟ أما والله إن فيه لمعنى سوء

وكان قبيصة يقول : رأيت غرفة فوق البيت . ورأى جراداً يطير فقال :

ابن عامر سجستان فغضب على وكيع في بعض الأمر فقبض عليه وحبسه ، فبيناهو فى حبسه مر به ابن لعبد العزيز مع ظئر له فدعا به فأمسكه ثم دعا بسكين وقال : والله لأذبحنه أو لتخلين عنى . فبلغ ذلك عبد العزيز فجاءه فقال : خل عنه ونؤمنك . فقال : لا والله حتى يجيء عشرة من بنى تميم فتضمن لهم ثم يكونون هم الذين يطلقون عنى . ففعل ذلك . ثم تحول وكيع إلى خراسان فكان رأسا . فكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم يأمره بقتله ، وكان وكيع قد أبلى مع قتيبة في مغازيه ويوم الترك خاصة بلاء حسناً ، فما كان من قتيبة إلا أن عزله عن الرياسة ، فلما ولى الوليد بن عبد الملك وخلع قتيبة وسار بالناس نحو فرغانة بايع الناس وكيعا فقتل قتيبة وبعث برأسه إلى سليمان بن عبد الملك ، وظل وكيع غالباً على خراسان تسعة أشهر الى أن تولاها يزيد بن المهلب فقتله سنة ٩٨ هـ ٧١٦ م

لا يهولنكم ما ترون ، فإن عامتها موتى . وأنه أول ما جاء الجراد قبّل جرادة ووضعها على عينيه على أنها من الباكورة

وهذه الأشياء وَلَّدها « الهَيْثم بنُ عدى » عند صنيع « داود بن يزيد » فى أمر تلك المرأة ما صنع

قال أبو الحسن : وتغدى « أبو السرايا » عند سليمان بن عبد الملك ، وهو يومئذ ولىّ عهد ، وقدامه جَدى فقال : كل من كليته فإنه يزيد فى الدماغ . فقال : لو كان هذا هكذا لكان رأس الأمير مثل رأس البغل

قال أبو كعب : كنا عند « عياش بن القاسم » ومعنا « سيفويه القاصُّ » فأتينا بفالوذجة حارّة فابتلع سيفويه منها لقمة فغشى عليه من شدة حرّها فلما أفاق قال : مات لى ثلاثة بنين ما دخل جوفى عليهم من الحرقة ما دخل جوفى من حُرقة هذه اللقمة

سعيد بن مالك قال : جالسنى رجل فقير لا يكلمنى ساعة ثم قال لى : جلستَ قط على رأس تنور فخريت فيه آمنا مطمئنا ؟ قلت : لا . قال : فإنك لم تعرف شيئا من النعيم قط

وقال هِشام بن عبد الملك ذات يوم لجلسائه : أى شىء ألذ ؟ قال له الأبرش ابن حسان : أأصابك جرب قط فحككته ؟ قال : مالَكَ ! أجرب الله جلدك ولا فرج الله عنك . وكان آنس الناس به

ومن غرائب الحمق المذهب الذى ذهب إليه الكُميت بن زيد فى مدح النبى ﷺ حيث يقول :

فاعْتَبَ الشَّوْقُ فى فُؤادِى وَاشْـ ... ـرُ إلى مَنْ إليْـهِ مُعْتَبُ

إلى السِّراجِ المُنِيرِ أحْمَدَ لاَ ... تَعْدِلُنِي رَغْبَـةٌ وَلاَ رَهَبُ

عَنْهُ إلى غيرِهِ ولوْ رَفَعَ النَّـ ... ـاسُ إلىَّ العُيُونَ وَارْتَقَبُوا

وقيلَ أفْرَطْتَ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ ... عَنَّفَنى القائِلُونَ أوْ ثَلَبُوا

إليْكَ يا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ الـ ... أرْضُ وَلوْ عابَ قَوْلِىَ العُيُبُ

لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فِيكَ اللَّجَاجُ وَاللَّجَبُ

فمن رأى شاعراً مدح النبي ﷺ فاعترض عليه واحد من جميع أصناف الناس حتى يزعم أن ناسا يعيبونه ويثلبونه ويمنعونه ؟ ولقد مدح النبي ﷺ فما زاد على قوله :

وَبُورِكَ قَبْرٌ أَنْتَ فِيهِ وَبُورِكَتْ بِهِ وَلَهُ أَهْلٌ بِذَلِكَ يَثْرِبُ

لَقَدْ غَيَّبُوا بِرًّا وَحَزْمًا وَنَائِلًا عَشِيَّةَ وَارَاهُ الصَّفِيحُ المُنَصَّبُ

يعني قبر النبي ﷺ ، ويثرب يعني المدينة . وهذا شعر يصلح في عامة الناس

وكتب مَسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب : إنك والله ما أنت بصاحب هذا الأمر ، صاحبُ هذا الأمر مغمور وموتور ، وأنت مشهور غير موتور . فقال له رجل من الازد يقال له عثمان بن المفضل : قدم ابنك مخلداً حتى يقتل فتصير موتورا

وقال : جاء ابن لجديع بن علي ـ وكان ابن خال يزيد بن المهلب ـ فقال ليزيد : زوجني بعض ولدك ؟ فقال له عثمان بن المفضل . زوّجه ابنك مُخَلَّداً فانه إنما طلب بعض الولد ولم يستمن شيئا

ومن الحمقاء كُثيِّر عزة ، ومن حمقه أنه دخل على عبد العزيز بن مروان فمدحه بمديح استجاده فقال له : سلني حوائجك . فقال : تجعلني في مكان ابن زمانة . قال : ويلك ، ذلك رجل كاتب وأنت شاعر ! فلما خرج ولم ينل شيئا قال :

عَجِبْتُ لِأَخْذِي خِطَّةَ الغَيِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَبُولُهَا

فَإِنْ عَادَ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا وَأَمْكَنَنِي مِنْهَا إِذًا لَا أُقِيلُهَا

قال أبو الحسن : قال « طارق » قال « ابن جابان » ، لقي رجل رجلا ومعه كلبان فقال : هب لي أحدهما . قال : أيهما تريد ؟ قال : الاسود . قال : الأسود أحب إلي من الابيض . قال : فهب لي الابيض . قال : الابيض أحب ألى من كليهما

وقال رجل لرجل : بكم تبيع الشاة ؟ قال : أخذتها بستة ، وهي خير من

سبعة ، وقد أعطيت بها ثمانية ، فإن كانت من حاجتك بتسعة فزن عشرة

قال أبو الحسن: قال «طارق بن المبارك» . دخل رجل على بلال فكساه ثوبين فقال : كساني الامير ثوبين فانزرت بالآخر وارتديت بالآخر . وقال : مرض فتى عندنا فقال له عمه : أى شيء تشتهى ؟ قال : رأس كبشين . قال : لا يكون . قال : فرأسيْ كبش . طارق قال : وقع بين جار لنا وجار له يكنى أبا عيسى كلامٌ فقال : اللهم خذ منى لأبى عيسى . قالوا : أتدعو الله على نفسك ؟ قال : نخذ لأبى عيسى منى

أبو زكريا العجلانى قال : دخل عَمرو بن سَعيد على معاوية وهو ثقيل فقال: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ قال : أصبحت صالحا . قال : أصبحت عينك غائرة ، ولونك كاسفا ، وأنفك ذابلا ، فاعهد عهدك ولا تخدَعن عن نفسك

وقال عبيد الله بن زياد بن ظُبيان التيمى [1] يرحم الله عمر بن الخطاب ،

---

(١) كان عبيد الله بن زياد بن ظبيان . شجاعاً باسلا،وفاتكا جريئاً ، وخطيباً مبيناً ، ومنطيقاً بليغاً . وكان يوم البشر على جند العراق من بكر بن وائل ، قتل مصعب بن الزبير أخاه أبان بن زياد بن ظبيان فى ضمن حروبه ضد عبد الملك بن مروان فحقدها عليه عبيد الله فلما ولى مصعب العراق لأخيه عبد الله كان ابن ظبيان على رأس عسكر مما سيره عبد الملك إليه ، فلما تفرق أكثر الجند عن مصعب ولم يبق معه أكثر من سبعة رجال تقدم إليه عبيد الله ودعاه إلى المبارزة فقال لهمصعب: أعزب يا كلب ،وشد عليه فضربه على البيضة فهشمها وجرحه ، فرجع عبيد الله فعصب رأسه ثم عاد إليه وحمل عليه فصرع مصعب بين يديه . قال عبيد الله بن ظبيان فلما وضع رأس مصعب بين يدى عبد الملك سجد فهممت والله أن أقتله فأكون أفتك العرب لقتلى ملكين من قريش في يوم واحد . ثم وجدت نفسى تنازعنى إلى الحياة فأمسكت . وقيل لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : بماذا تحتج عند الله من قتلك لمصعب؟ فقال : إن تركت أحتج رجوت أن أكون أخطب من صعصعة بن صوحان. وقال له مالك بن مسمع يوماً :أكثر الله فى العشيرة مثلك . فقال :لقدسألت اللهشططا وقيل : كان ابن ظبيان بعد قتله مصعباً لا ينتفع بنفسه في نومة ولا يقظة ، كان يهول عليه في منامه فلا ينام حتى كل جسمه ونهك ، فلم يزل كذلك حتى مات

كان يقول : اللهم إنى أعوذ بك من الزانيات وأبناء الزانيات . فقال عبيدالله بن زياد بن أبيه رحم الله عمر ، كان يقول : لم يقم جنين فى بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج مائقا

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : كونوا بُلهاً كالحمام

وقل قائل : حماقة صاحبى علىّ أشد ضرراً منها عليه

وقالوا : شَرد بعير لِهَبَنَّقَة القيسى ـ ويجنونه يضرب المثل ـ فقال : من جاء به فله بعيران . فقيل له : أتجعل فى بعير بعيرين ؟ فقال : إنكم لاتعرفون فرحة الوجدان .

وهبنقة هو يزيد بن ثروان أحد بنى قيس بن ثعلبة وكنيته أبو نافع . قال الشاعر :

عِشْ بِجَدٍّ ولاَ يَضُرُّكَ نَوْكٌ ... إنما عَيْشُ مَنْ تَرَى بالْجُدُودِ

عِشْ بِجَدٍّ وكُنْ هَبَنَّقَةَ القَيْـ ... ـسِيِّ نَوْكاً أوْ شَيْبَةَ بْنَ الوَلِيدِ

ولما خلع قُتيبة بن مسلم سليمان بن عبد الملك بخراسان قام خطيبا فقال : يا أهل خُراسان ، أتدرون من وليكم ؟ إنما وليكم يزيد بن ثروان . كنى به عن هبنقة . وذلك أن هبنقة كان يحسن من إبله إلى السمان ويدع المهازيل ويقول : إنما أكرم من أكرم الله ، وأهين من أهان الله . وكذلك كان سليمان يعطى الاغنياء ولا يعطى الفقراء ويقول : أصلح ما أصلح الله ، وأفسد ما أفسد الله

وقال الفرزدق : ما عيبت بجواب أحد قط ما عيبت بجواب مجنون بدير هِرقل ، دخلت فاذا هو مشدود إلى اسطوانة فقلت : بلغنى أنك حاسب ؟ قال : ألق علىّ ماشئت . فقلت : أمسك معك خمسة وجلدتها . قال : نعم . قلت : أمسك معك أربعة وجلدتها . قال : نعم . فقلت : كم معك ؟ قال : تسعة وجلدتها مرتين

وكان زريق الفزارى يمر بالليل وهو شارب فيشتم أهل المجلس ، فلما أن كان بالغداة عاتبوه قال : نعم زَنَّيت أمهاتكم فماذا عليكم ؟

وخطب يوما عَتَّاب بن ورقاء فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : إنما يتفاضل الناس بأعمالهم وكل ما هو آت قريب . قالوا له : إن هذا ليس من كتاب

الله ؟ قال: ماظننت إلا أنه من كتاب الله

وخطب عدى بن زياد الايادى فقال : أقول كما قال العبد الصالح : « ماأريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد » قالوا له : ليس هذا من قول عبدٍ صالح إنما هو من قول فرعون ؟ قال : من قاله فقد أحسن . وقال أعرابى :

خَلَقَ السَّماءَ وأهْلَها فى جُمْعَةٍ وأبُوكَ يَمْدُرُ حَوْضَهُ فى عامِ

وكان عبد الملك بن مروان أول خليفة من بنى أمية منع الناس من الكلام عند الخلفاء، وتقدم فيه وتوعد عليه، وقال : إن جامعة عمرو بن سعيد بن العاص عندى ، وانى والله لا يقول أحدكم هكذا إلا قلت به هكذا . وفى خطبة له أخرى: وانى والله ما أنا بالخليفة المستضعف ـ وهو يعنى عثمان بن عفان ـ ولا أنا بالخليفة المداهن ـ يعنى معاوية ـ ولا أنا بالخليفة المأبون ـ يعنى يزيد بن معاوية

قال أبو اسحق : والله لولا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المداهن، لكنت منها أبعد من العَيُّوق ، والله ماأخذتها من جهة الميراث ، ولا من جهة السابقة ، ولا من جهة القرابة ، ولا تدعى شورى ولا وصية

قال أبو الحسن : دخل كردم السدوسى على بلال بن أبى بُردة فدعاه إلى الغداء فقال : قد أكلت. قال : وما أكلت ؟ قال : قليل رُزٍّ فأكثرت منه . ودخل كردم الذرّاع أرض قوم يذرعها ، فلما انتهى إلى زنقة منها لم يحسن تذريعها قال : هذه ليست لكم . قالوا : هى لنا ميراث ، وما نازعنا فيها إنسان قط . قال : لا والله ماهى لكم . قالوا : فحصل لنا حساب مالا نشك فيه قال: عشرين فى عشرين مائتين . قالوا : من أجل هذا الحساب صارت الزنقة ليست لنا .

ودخل عكابة بن نميلة النميرى دار بلال بن أبى بردة فرأى ثوراً مجللا فقال: ما أفرهه من بغل ، لولا أن حوافره مشقوقة

ومن النوكى، وممن ربما عدوه فى المجانين « ابن فِنان » الازدى ، وضرب به المثل ابن ضب العتكى فى قوله يجديع بن على خال يزيد بن المهلب حيث قال:

لولاَ المُهَلَّبُ يا جَدِيعُ ورُسْلُهُ تَغْدُو عَلَيْكَ لَكُنْتَ كَابْنِ فِنان

أَنْتَ الْمُرَدَّدُ فِى الْجِيَادِ وَإِنَّمَا تَأْتِى سُكَيْنَةُ كُلَّ يَوْمٍ رِهَانِ

وقال آخر يهجو امرأته بأنها مضياع خرقاء :

وَإِنَّ بَلَائِى مِنْ دَرِينَةَ كَأَنَّمَا رَجَوْتُ انْتِعَاشًا أَوْ كَنَتْنِى بِعَاثِرِ
تُبَرِّدُ مَاءَ السُّعْنِ فِى لَيْلَةِ الصَّبَا وَتَسْتَعْمِلُ الْكَرْكُورَ فِى شَهْرِ نَاجِرِ (١)

وفى خطأ العلماء قال أبو الحسن : قال الشعبى : سايرت أبا سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف (٢) فكان بينى وبين أبى الزناد (٣) فقال : بينكما عالم أهل المدينة . فسألته امرأة عن مسألة فأخطأ فيها .

وقال طَرَفة بن العبد (٤) يهجو قابوس بن هند الملك :

لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنَ هِنْدٍ لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نَوْكٌ كَثِيرُ
فَسَمْتُ الدَّهْرَ فِى زَمَنٍ رَخِيٍّ كَذَاكَ الْحُكْمُ يُقْصِدُ أَوْ يَجُورُ
لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرْوَانِ يَوْمٌ تَطِيرُ الْبَائِسَاتُ وَلَا تَطِيرُ

(١) السعن : قربة تقطع من نصفها وينبذ فيها ، وقد يستقى بها ، وقد يجعل فيها الغزل والقطن. شهر ناجر : أحد شهور الصيف

(٢) أبو سلمة : هو عبدالله بن عبدالرحمن بن عوف. كان من خيار التابعين . وكان فقيهاً يحمل عنه الحديث . مات سنة ١٠٤ هـ ٧٢٢ م

(٣) أبو الزناد : هو عبد الله بن ذكوان مولى رملة زوجة عثمان بن عفان . كان ورعاً تقياً ، ولاه عمر بن عبد العزيز خراج العراق مع عبد الحميد الخطابى . مات فجأة فى شهر رمضان سنة ١٣٠ هـ ٧٤٧ م

(٤) طرفة بن العبد : هو الشاعر الفتى الجاهلى المعروف، يعد فى شعراء الطبقة الأولى. وهذه الأبيات التى أوردها الجاحظ هي من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند ملك الحيرة وأخاه قابوس بن المنذر . وقبلها :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تدور
من الزمرات أسبل قادماها وضرتها مركنة درور
يشاركنا لنا رخلان فيها وتعلوها الكباش فما تنور

ومات طرفة في خبر طويل سنة ٥٦٤ م

فأمَّا يَوْمُنا فَنَظَلُّ رَكْباً وُقُوفًا مَا نَحُلُّ وَما نَسِيرُ
وَأمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمُ سُوءٍ يُطَارِدُهُنَّ بالْجَنْبِ الصُّقُورُ

الفلوشكى قال : قلت لاعرابى : أى شىء تقرأ فى صلاتك ؟ قال : أم الكتاب ، ونسبة الرب ، وهجاء أبى لهب

وكان الفلوشكى البكرادى أجن الناس وأعبى الخلق لسانا ، وكان شديد القمار شديد اللعب بالودع. قال ابن عم له: وقفت على بقية تمر فى بَيْدَرٍ لى ، فأردت أن أعرفه بالحزر ومعنا قوم يجيدون الخَرْصَ وقد قالوا فيها واختلفوا . فهجم علينا الفلوشكى ، فقلت له : كم تحزر فى هذا التمر ؟ فقال : أنا لا أعرف الأكرار وحساب القُفزان ، ولكن عندى مِرجل أطبخ فيه تمر نبيذى ، وهو يسع مَكُّوكَين ، وهذا التمر يكون فيه مائتين وستين مِرجلا . فلا والله أن أخطأ بقفيز واحد

قال المهلب، والأزد حوله: أرأيتم قول الشاعر :

إذَا غَرَزَ المَحَالِبُ أتأقَتْهُ يَمُجُّ عَلى مَنَاكِبِهِ الثُّمالاَ[1]

وإلى جنب غَيلان بن خَرَشَة شيخ من الأزد فقال له : قل : هو ابن الفحل. فقالها ، فقال المهلب : ويلكم ما جالستم الناس

وأنشد بعض أصحابنا :

أَلِكْنِي إلَى مَوْلَى أُكَيْمَةَ وانْهَهُ وهَلْ يَنْتَهِي عنْ أوَّلِ الزَّجْرِ أحْمَقُ[2]

وزعم الهيثم بن عدى عن رجاله أن أهل يبرين[3] أخف بنى تميم أحلاماً وأقلهم عقولا

قال الهيثم : ومن النَّوكى « عُبيد الله بن الحر » وكنيته « أبو الأبرش »

قال الهيثم : خطب قَبيصة[4] وهو خليفة أبيه على خُراسان وأتاه كتابه فقال : هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهل لأن أطيعه ، وهو أبى وأكبر منى.

---

(١) غرز المحالب : قل اللبن فى آنية الحلب . أتأقته : أترعته حتى تمج نواحيه الثمالا : الزائد (٢) ألكنى : احمل عنى الألوكة وهي الرسالة (٣) يبرين بلد بالبحرين.
(٤) قبيصة :هو قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة

وكان فيما زعموا ابن السعيد الجوهرى يقول : صلى الله تبارك وتعالى على محمد ﷺ

قال أبو الحسن : صعد عدى بن أرطاة المنبر فلما رأى جماعة الناس حُصر فقال : الحمد لله الذى يطعم هؤلاء ويسقيهم

وصعد رُوح بن حاتم المنبر فلما رآهم قد شفنوا أبصارهم[1] وفتحوا أسماعهم نحوه قال : نكسوا رؤسكم ، وغضوا أبصاركم ، فإن المنبر مركز صعب ، وإذا يسر الله فَتْحَ قُفل تيسر

قالوا: وصعد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه المنبر فأرتج عليه فقال : إن أبا بكر وعمر كانا يُعدان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب

قالوا لزياد الأعجم : لم لا تهجو جريراً ؟ فقال : أليس الذى يقول :

كَأَنَّ بَنِي طُهَيَّةَ رَهْطَ سَلْمَى حِجَارَةُ خارِئٍ يَرْمِي كِلابا

قالوا : بلى ، قال : ليس بينى وبين هذا عمل

قال أبو الحسن :خطب مُصعب بن حَيان أخو مُقاتل بن حيان خطبة نكاح فحُصر فقال : لقنوا موتاكم قول لا إله إلا الله . فقالت أم الجارية : عجّل الله موتك ، أهذا دعوناك ؟

وخطب أمير المؤمنين الموالى ـ وهكذا لقبه ـ خطبة نكاح فحُصر فقال : اللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نشكرك

وقال مولى لخالد بن صفوان : زوجنى أمتك فلانة . قال : قد زوجتكها ، قال : أفأدخل الحىّ حتى يحضروا الخِطبة ؟ فقال : أدخلهم . فلما دخلوا ابتدأ خالد فقال : أما بعد ، فإن الله أجلّ وأعزّ من أن يُذكر فى نكاح هذين الكلبين ، وقد زوجنا هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة

---

(١) شفنوا أبصارهم : رموه بأنظارهم

وقال ابرهيم النخعى لمنصور بن المعتمر : سل مسألة الحمقى واحفظ حفظ الأكياس

ودخل كثير عزة ـ وكان محمقاً ويكنى أبا صخر ـ على يزيد بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين، ما يعنى الشماخ بن ضرار بقوله :

إذا الأرطى توسد أبردية خدود جوازىء بالرمل عين ؟

قال يزيد : وما يضر أمير المؤمنين أن لا يعرف ما عنى هذا الاعرابى الجلف ؟ واستحمقه وأخرجه

وكان عامر بن كريز يحمق ، قال عوانة : قال عامر لأمه : يا امه ، مسست اليوم بُرد العاص بن وائل السهمى . فقالت : ثكلتك أمك ! رجل بين عبد المطلب ابن هاشم وبين عبد شمس بن عبد مناف يفرح أن تصيب يده بُرد رجل من بنى سهم ؟

ولما حُصر عبد الله بن عامر على منبر البصرة فشق ذلك عليه قال له زياد : أيها الامير ، إنك إن أقمت عامة من ترى أصابه أكثر مما أصابك

وقيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم. فلما صعد حُصر وقال : الحمد لله الذى يرزق هؤلاء . وبقى ساكتا . فأنزلوه . وصعد آخر فلما استوى قائما وقابل بوجهه وجوه الناس وقعت عينه على صلعة رجل فقال : اللهم العن هذه الصلعة

وقيل لوازع اليشكرى : قم فاصعد المنبر وتكلم . فلما رأى جمع الناس قال : لولا أن امرأتى لعنها الله حملتنى على اتيان الجمعة اليوم ما جمعت ، وأنا أشهدكم أنها منى طالق ثلاثا

ولذلك قال الشاعر :

وما ضرنى أن لا أقوم بخطبة وما رغبتى فى ذا الذى قال وازعُ

ودخلت على أنس بن أبى شيخ واذا رأسه على مرفقه والحجام يأخذ من شعره فقلت له : مايحملك على هذا ؟ قال : الكسل . قلت : فإن لقمان قال لابنه: إياك والكسل ، وإياك والضجر ، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق . قال : ذاك والله أنه لم يعرف لذة الكسولة

وقيل لبحر بن الاحنف : مايمنعك أن تكون مثل أبيك ؟ قال : الكسل .
وقال الآخر :

أطَالَ اللهُ كَيْسَ بَنِي رَزِينٍ ... وحُمْقَى أنْ شَرِبْتُ لهُمْ بِدِينِي
أأكْتُبُ إبلهم شَاءً وفيها ... بِرَيْعِ فِصَالِها بِنْتا لَبُونِ[1]
فَمَا خُلِقُوا بِكَيْسِهِمُ دُهَاةً ... ولاَ مُلْجَاءَ بَعْدُ فَيُعْجِبُونِي[1]

وذكر آخر الكيس فى معاتبته لبنى أخيه حين يقول :

عَفَا رِيتاً عَلَيَّ وَأكْلِ مَالِي ... وعَجْزاً عَنْ أُنَاسٍ آخَرِينا ؟
فَهَلاَّ غيرَ عَمِّكُمُ ظَلَمْتُمْ ... إذَا مَا كُنْتُمُ مُتَظَلِّمِينَا[2] ؟
فلوْ كُنْتُمْ لِكَيْسَةِ أكَاسَتْ ... وكَيْسُ الأُمِّ أكْيَسُ لِلْبَنِينَا

وقال بعضهم : عيادة النوكى الجلوس فوق القدر والمجىء فى غير وقت

وعاد رجل رقبةَ بنَ الحر فنعى رجالا اعتلوا مثل علته فنعى بذلك إليه نفسه فقال له رقبة : إذا دخلت على المرضى فلا تنع إليهم الموتى ، وإذا خرجت من عندنا فلا تعد إلينا .

وسأل معاوية إبنَ الكواء عن أهل الكوفة فقال: أبحثُ الناس عن صغيرة، وأتركهم لكبيرة

وسئل شَريك عن أبى حنيفة فقال : أعلم الناس بمالا يكون ، وأجهل الناس بما يكون

وسأل معاوية دَغفلا النسابة عن اليمن فقال : سيد وأنوك

وذكر عيينة بن حصن [3] عند النبى ﷺ فقال : الاحمق المطاع

وجن أعرابى من أعراب المربد ورماه الصبيان فرجم فقالوا له : أما كنت وقورا حليما ؟ فقال : بلى ، بأبى أنتم وأمى ، والله ما استحمقت إلا قريباً . وكان أول جنونه من عبث الناس به . ورمى انسانا فشجه فتعلق به وهو لا يعرفه وضمه

(١) ملجاء . رجال أجلاء (٢) متظلمينا هنا بمعنى ظالمين (٣) كان فى الاصل : عتيبة بن حصين ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه

إلى الوالى فقال له الوالى : ولم رميت هذا وشججته ؟ قال : أنا لم أرمه ، هو دخل تحت رميتى

وكان وكيع بن الدورقية [١] يحمق . قال الوليد بن هشام القحذمى أبو عبد الرحمن قال أخبرنى أبى قال : لما قدم أمية [٢] خُراسان قيل له : لم لا تدخل وكيع ابن الدورقية فى صحابتك ؟ قال : هو أحمق . فركب يوما وسايره فقال له : ما أعظم رأس برذونك ! قال : قد كفاك الله حمله . ثم سايره قليلا فقال : أصلحك الله ، أرأيت يوم لقيت أبا فُديك [٣] ما منعك أن تكون قدمت رجلا وأخرت رجلا وداعست بالرمح حتى يفتح الله عليك ؟ قال : أعزب ، قبحك الله . وأمر به فنحى

وساير سعيد بن سلم موسى أمير المؤمنين ، والحربة فى يد عبد الله بن مالك وكانت الريح تسفى التراب الذى تثيره دابة عبد الله بن مالك فى وجه موسى ، وعبد الله لا يشعر بذلك ، وموسى يحيد عن سَنن التراب ، وعبد الله فيما بين ذلك يلحظ مسير موسى فيتكلف أن يسير على محاذاته ، وإذا حاذاه ناله ذلك التراب ، فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سلم فقال : ألا ترى ما نلقى من هذا المائق فى مسيرنا هذا ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما قصر فى الاجتهاد ولكنه حرم التوفيق

---

(١) وكيع بن الدورقية : هو وكيع بن حسان بن أبى سود المار ذكره (٢) أمية : هو أمية بن عبد الله بن أسيد (٣) أبو فديك : هو عبد الله بن ثور بن سلمة أبو فديك الخارجى . خرج فى سنة ٧٢ باليمن فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفى رأس الخوارج هناك فسير عليه خالد بن عبد الله بن أسيد أخاه أمية بن عبد الله بن أسيد في جيش كثيف فهزمه أبو فديك ونجا أمية على فرس له لا يلوى على شيء حتى دخل البصرة في ثلاثة أيام . ولما استشرى شره سير إليه عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى في عشرة آلاف فى خيرة الجند فلما وردوا البحرين صمد لهم أبو فديك وقاتلهم أشد قتال ، وإذ رأى عمر بن عبيد الله ما هو عليه من القوة جد فى قتاله وما زال به حتى قتله واستباح عسكره وقتل من أتباعه مقتلة عظيمة ثم عاد بجنوده وأسراه إلى البصرة وذلك في سنة ٧٣ هـ ٦٩٢ م

وسايرالبطريق الذى خرج إلى المعتصم من سور عمورية محمد بن عبد الملك[١] والافشين بن كاوس[٢] فساوم كلّ واحد منهما ببرذونه ، وذكر أنه كان يرغبهما

(١) محمد بن عبد الملك : هو محمد بن الملك الزيات كان أبوه تاجراً فى أيام المأمون غنيا موسراً ، ونشأ محمد نشأة أهل اليسار فتأدب وقرأ وفهم ، وكان ذكياً فطناً فبرع فى كل شىء ألم به حتى صار نادرة وقته عقلا وفهماً وذكاء وبلاغة في الكتابة وفصاحة فى الشعر وسعة فى المعارف والآداب ، وكان ذا خبرة بآداب الرياسة وقواعد الملوك . سأله أبوه العمل معه فى تجارته فأبى والتحق بالديوان وكتب للوزراء واشتهر حتى صار من كتاب الدولة العباسية وظل كذلك إلى أن ورد كتاب من بعض العمال على المعتصم يذكر فيه خصب الناحية وكثرة الكلأ فسأل المعتصم وزيره أحمد بن عمار عن الكلأ فلم يدر ما يقول فدعا محمد بن عبد الملك الزيات — وكان أحد خواصه وأتباعه — فسأله عن الكلأ فقال : أول النبات يسمى بقلا ، فاذا طال قليلا فهو الكلأ ، فاذا يبس وجف فهو الحشيش . فصرف المعتصم أحمد بن عمار واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات فنهض بأعباء الوزارة نهوضاً لم يكن لمن تقدمه من أضرابه . وكان جباراً غليظ القلب فظاً متكبراً خشن الجانب مبغضاً إلى الخلق . ومات المعتصم وهو على وزارته ، وقد كان المعتصم أمر لابنه الواثق بمال فأشار ابن الزيات على المعتصم بأن لا يعطيه شيئاً فرجع فيما كان أمر به فلما علم الواثق بما فعله ابن الزيات حقد عليه وكتب بخطه عهداً ليقتلن ابن الزيات متى ولى الخلافة شر قتله . فلما ولى الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم قال للحاجب : أدخل إلى عشرة عن الكتاب . فلما أدخلوا عليه اختبرهم فما أرضاه واحد منهم . فقال للحاجب : أدخل من الملك محتاج اليه محمد بن الزيات . فلما مثل بين يديه قال لخادم : أحضر إلى المكتوب الفلانى . فأحضر له ذلك العهد فدفعه إلى ابن الزيات وقال : اقرأه . فلما قرأه قال : يا أمير المؤمنين ، أنا عبد إن عاقبته فأنت حاكم فيه ، وإن كفرت عن يمينك واستبقيته كان أشبه بك . فقال الواثق : والله ما أبقيتك إلا خوفاً من خلو الدولة من مثلك ، وسأكفر عن يمينى فانى أجد عن المال عوضاً ولا أجد عن مثلك عوضاً . ثم كفر عن يمينه واستوزره وقدمه وفوض الأمور اليه . وظل فى وزارته إلى أن مات الواثق وولى أخوه المتوكل فقبض عليه وقتله فى تنوره سنة ٢٣٣ هـ ٨٤٧م

(٢) الافشين بن كاوس : اسمه خيذر . كان من أعظم قواد الدولة العباسية ، ومن ذوى النفوذ والسلطان في عهد المعتصم ، وهو الذى حارب بابك الخرمى الذى خرج

أو يريحهما . فاذا كان هذا أدب البطريق مع محله من الملك والمملكة فما ظنك بمن هو دونه منهم !؟ولما استجلس المعتصم بطريق خرشنة تربّع ومدّ رجليه

﴿ واجبات الملوك والأمراء ﴾

قال زياد : وقرأت مثل كتب الربيع بن زياد الحارثى ، ما كتب إلىّ إلاّ فى اجترار منفعة أو دفع مضرة ، وما كان فى موكبى قط فتقدم عنان دابته عنان دابتى ، ولامست ركبته ركبتى ، ولا شاورت الناس قط فى أمر إلا سبقهم إلى الرأى فيه

كان على شُرط زيادٍ عبدُ الله بن الحصين صاحب مقبرة بنى حصين ، والجعد ابن قيس النمرى صاحب طاق الجعد ، وكانا يتعاقبان مجلس صاحب الشرطة . فاذا كان يوم حمل الحربة سارا بين يديه معاً ، فجرى بينهما كلام وهما يسيران بين يديه ، فكان صوت الجعد أرفع وصوت عبد الله أخفض . فقال زياد لصاحب حربته : تناول الحربة من يد الجعد ومره بالانصراف إلى منزله

وعدا رجل من أهل العسكر بين يدى المأمون فلما انقضى كلامه قال له بعض من يسير بقربه : يقول لك أمير المؤمنين : اركب . قال المأمون : لا يقال لمثل هذا اركب ؟ إنما يقال لمثل هذا : انصرف

وكان الفضل بن الربيع يقول . مُساءلة الملوك عن أحوالهم من تحية النَّوكى ، فاذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير . فقل : صبح الله الأمير بالكرامة . فاذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه ، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء

على الدولة وغلب على جبل طبرستان عشرين سنة وعظم أمره واشتدت شوكته وهزم كثيراً من جند الدولة فسير إليه المعتصم قائده العظيم الافشين فجرت له معه معارك شديدة في مدة طويلة ثم انتصر عليه الافشين واستولى على مدينة البذ وأسره ومن كان معه من خاصة أنصاره واقتادهم إلى المعتصم فأراح الدنيا منهم . وكان للافشين غير ذلك بلاء عظيم في حروب الدولة غير أن المعتصم كشف عليه أموراً خطيرة أحفظته عليه فحبسه حتى مات ثم صلبه ثم أحرق جثته فى خبر يطول سنة ٢٢٦ هـ ٨٤٠ م

والرحمة . والمُسألة توجب الجواب فان لم يجبك اشتد عليك وان أجابك اشتد عليه

وقال محمد بن الجهم : دخلت على المأمون فقال لى : ما زال أمير المؤمنين إليك مشتاقا . فلم أدر ما جواب هذه الكلمة بعينها وأخذت لا أقصر فيما قدرت عليه من الدعاء ثم الثناء

قال أبو الحسن : قال ابن جَابان : قال المهدى : كان شَبيب بن شَيبة يسايرنى فى طريق خراسان فيتقدمنى بصدر دابته ، فقال لى يوماً : ينبغى لمن سابر خليفة أن يكون بالموضع الذى إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شئ لا يلتفت إليه ، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس . قال : فبينما نحن كذلك إذ انتهينا إلى مخاضة فأقحمت دابتى ولم يقف واتبعنى فملأ ثيابى ماء وطيناً . فقلت : يا أبا معمر ، ليس هذا فى الكتاب

﴿ رجع إلى النوكى ﴾

قال الهيثم بن عدى : كنت قائما إلى حُميد بن قَحطبة وهو على برذون فتفاجَّ البرذون ليبول ، فقال لى : تنح لا يهريق عليك البرذون الماء

وجاء رجل إلى محمد بن حرب الهلالى بقوم فقال : إن هؤلاء الفساق مازالوا فى مسيس هذه الفاجرة . قال : ما ظننت أنه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغى أن يُكنَّى عن الفجور بهن

وقلت لرجل من الحُساب : كيف صار البرذون المتحصن إلى البغلة أحرص منه على الرمكة ، والرمكة أشكل بطبعه ؟ قال : بلغنى أن البغلة أطيب حُلوة

وقال صديق لنا : بعث رجل وكيله إلى رجل من الوجوه يقتضيه مالا له عليه ، فرجع إليه مضروبا . فقال : ما بالك ويلك ؟ قال : سبك فسببته فضربنى . قال : وبأى شىء سبنى ؟ قال : قال : هن الحمار فى حر أم من أرسلك . قل : دعنى من افترائه علىّ ، أنت كيف جعلت لا يرا الحمار من الحرمة مالم تجعله لحر أمىّ ؟ فهلا قلت : أير الحمار فى هن أم من أرسلك ؟

أبو الحسن قال : كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمُرة أراد الوثوب

بالشام ، فحمل إلى المهدى فخلى سبيله وأكرمه وقرب مجلسه ، فقال له يوماً : أنشدنى قصيدة زهير التى أولها « لمن الديار بقنة الحجر » وهى التى على الراء :

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحَجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ (١)

فأنشده ، فقال المهدى : ذهب والله من يقول مثل هـذا . قال السمرى : وذهب والله من يقال فيه مثل هذا ؟ فغضب المهدى واستجهله ونحاه ولم يعاقبه ، واستحمقه الناس

ولما دخل خالد بن طليق على المهدى مع خصومه وأنشد قول شاعرهم :

إذا الْقُرَشِيُّ لم يَضْرِبْ بِعِرْقٍ خُزَاعِيٍّ فَلَيْسَ مِنَ الصَّمِيمِ

فغضب المهدى وقال : أحمق . فأنشد خالد فقال :

إذا كُنْتَ فى دَارٍ فَحَاوَلْتَ رِحْلَةً فَدَعْهَا وَفِيهَا إنْ أَرَدْتَ مَعَـادُ

فسكن عند ذلك المهدى . وقال بشار :

خَلِيلَيَّ إنَّ الْعُسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ وإنَّ يَساراً مِنْ غَدٍ لَخَلِيقُ
وما كُنْتُ إلاَّ كالزَّمانِ إذا صَحَا صَحَوْتُ وإنْ ماقَ الزَّمانُ أُمُوقُ

قالوا : ومن النوكى « أبو الربيع العامرى » واسمه عبـد الله ، وكان ولى بعض منابر اليمامة وفيه يقول الشاعر :

شَهِدْتُ بأنَّ اللهَ حَقٌّ لِقَاؤُهُ وأنَّ الرَّبِيعَ العَامِرِيَّ رَقِيعُ
أَقَادَ لَنَا كَلْباً بِكَلْبٍ ولم يَدَعْ دِماءَ كلاب المُسْلِمِينَ تَضِيعِ

قالوا : ومن النوكى « ربيعة بن عسل » أحد بنى عمرو بن يربوع ، وأخوه « ضبيع بن عسل » وفد ربيعة على معاوية فقال معاوية : حاجتك ؟ قال : زوجنى ابنتك . قال : اسقوا ابن عسل عسلا . فأعاد عليـه ، فأعاد عليه العسل ثلاثاً ،

(١) القنة : أعلى الجبل ، ومراد الشاعر ههنا ما أشرف من الأرض . والحجر موضع بعينه هو حجر اليمامة . أقوين : خلون وأقفرن . والحجج : السنون . وراجع ما حققناه عن هذه الأبيات في ترجمة المفضل الضبي التى حررناها وصدرنا بهـا المفضليات المشروحة بقلمنا

فتركه وقد كاد تنقدّ بطنه . قال : فاستعملنى على خُراسان . قال : زياد أعلم بثغوره قال : فاستعملنى على شُرطة البصرة . قال زياد : أعرف بشُرطته . قال : فاكسنى قطيفة . أو قال: هب لى مائة ألف جذع لدارى . قال : وأين دارك ؟ قال : بالبصرة قال : كم ذرعها ؟ قال : فرسخان فى فرسخين . قال : فدارك فى البصرة ، أو البصرة فى دارك ؟

قال عوانة : استعمل معاوية رجل من كلب ، فذكر يوماً المجوس وعنده الناس فقال : لعن الله المجوس ، ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت مائة ألف درهم ما نكحت أمّى . فبلغ ذلك معاوية فقال : قاتله الله ، أترونه لو زاده على مائة ألف فعل ؟ فعزله

أبو الحسن : وفد ربيعة بن عسل، وهو من بنى عمرو بن يربوع، على معاوية ، فقال لمعاوية: أعنى بعشرة آلاف جذع فى بناء دارى بالبصرة . فقال له معاوية : كم دارك ؟ قال : فرسخان فى فرسخين . قال معاوية : هى فى البصرة أم البصرة فيها . قال : بل هى فى البصرة . قال معاوية: فإن البصرة لا تكون هكذا (١)

وقال أبو الأحوص الرياحى :

لَيْسَ بِيَرْبُوعٍ إلى العَقْلِ حاجَةٌ ... سِوَى دَنَسٍ تَسْوَدُّ مِنْهُ ثِيَابُها

فكيفَ بِنَوْكى مالِكٍ إن كَفَرْتُمُ ... لَهُمْ هَذِهِ أوْ كَيْفَ بَعْدُ خِطابُها

مَشائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً ... ولاَ ناعِبٌ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرَابُها

الهيثم عن الضحاك بن رُمَل قال : بينا « معاوية بن مروان » واقف بدمشق ينتظر عبدَ الملك على باب طحان وحمار له يدور بالرحى فى عنقه جُلجل إذ قال للطحان : لم جعلت فى عنق هذا الحمار هذا الجلجل ؟ قال : ربما أدركتنى سآمة أو نعسة ، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمتُ أنه قد قام فصحت به . قال معاوية :

(١) هذه الرواية التى رواها الجاحظ عن ابى الحسن كانت مضطربة فى الأصل اضطراباً غريباً فأقمنا أودها على هذه الصورة . على أننا كنا اعتزمنا حذفها لأنها رويت قبل ذلك بأسطر ولكنا آثرنا إصلاحها وإبقاءها ضنا بمرويات الجاحظ انى كانت

أفرأيت إن قام ثم قال برأسه : هكذا هكذا ـ وجعل يحرك رأسه يمنة ويسرة ـ وما يدريك أنت أنه قائم ؟ قال الطحان : ومن لى بحمار بعقل مثل عقل الأمير ؟

ومعاوية بن مروان هذا هو الذى قال لأبى امرأته : ملأتنا ابنتك البارحة بالدم . قال : إنها من نسوة يخبأن ذلك لأزواجهن

وصعد يوسف بن عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قد قتل الله زيداً ونصر بن سيار . يريد نصر بن خُزَيمة

وقال على الاسوارى : عمر بن الخطاب معلق بشعرة . قلت : وما صَيَّرَه إلى ذلك ؟ قال : لما صنع بنصر بن سيار . يريد نصر بن الحجاج بن علاط

وقالوا : أحب الرشيد أن ينظر إلى أبى شُعيب القَلَّال كيف يعمل القلال ، فادخلوه القصر وأتوه بكل ما يحتاج اليه من آلة العمل ، فبينا هو يعمل إذا هو بالرشيد قائم فوق رأسه ، فلما رآه نهض قائما فقال له الرشيد : دونك مادعيت له ، فإنى لم آتك لتقوم إلى ، وإنما أتيتك لتعمل بين يدى ؟ قال : وأنا لم آتك ليسوء أدبى ، وإنما أتيتك لازداد بك فى كثرة صوابى . فقال له الرشيد : إنما تعرضت لى حين كسدت سوقك . قال أبو شعيب : ياسيد النـاس ، وما كساد عملى فى جلال وجهك ؟ فضحك الرشيد حتى غطى وجهه ثم قال : والله مارأيت أنطق منه أولا ، ولا أعيى منه آخراً ، ينبغى لهذا أن يكون أعقل الناس أو أجن الناس

عبد الله بن شداد قال : أرى داعى الموت لايُقلع ، وأرى من مضى لايَرجع ، ومن بقى فاليه يَنزع . ولا تزهدن فى معروف ، فان الدهر ذو صروف . فكم من راغب قد كان مرغوبا إليه ، وطالب قد كان مطلوبا إليه . والزمان ذوألوان ، ومن يصحب الزمان يرالهوان

الفرج بن فَضاله ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن على ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبى ﷺ قال « إذا فعلت أمتى خَمس عشرة خَصلة حل بها البلاء : إذا أكلوا الاموال دولا ، واتخذوا الامانة مَغنما ، والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، وبرّ صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الاصوات فى المساجد ، وأكرم

الرجل مخافة شره ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وإذا لبس الحرير ، وشربت الخمور واتخذت القيان والمعازف ، ولعن آخرُ هـذه الامة أولها . فليرتقبوا بعد ذلك ثلاث خصال : ريحا حمراء ، ومسخا ، وخسفا »

الهيثم قال: أخبرنا الكلبي قال : كانت قريش تعد أهل الجزالة فى الرأى : العباس بن عبد المطلب ، وأبا سفيان ، وابنيهما ، وأمية بن خلف .

قال : وقال ابن عباس : لم يكن فى العرب أمرد ولا اشيب أشد عقلا من السائب بن الاقرع .

قال : حدثنى الشعبى أن السائب شهد فتح مهرجان قذق ودخل منزل الهُرمزان وفى داره ألف بيت فطاف فيه فإذا ظبى من جص فى بيت منها مادّ يده فقال : أقسم بالله أنه يشير الى شىء ، انظروا . فنظروا فاستخرجوا سفط كنز الهرمزان فاذا فيه ياقوت وزبرجد ، فكتب فيه السائب إلى عمر ، وأخذ منه فصا أخضر وكتب الى عمر . إن رأى أميرُ المؤمنين أن يهبه لى فليفعل . فلما عرض عُمر السفط على الهرمزان قال : فأين الفص الصغير ؟ قال عمر : سألنيه صاحبنا فوهبته له . فقال : إن صاحبك بالجوهر لعالم

أخبرنا مجالد عن الشعبى قال : قال السائب لجميل بن بصبهرى : أخبرنى عن مكان من القرية لا يخرب حتى اقتطع ذلك المكان . قال : ما بين الماء إلى دار الامارة . قال: فاختط لثقيف فى ذلك الموضع. قال الهيثم : بت عندهم ليلة فإذا ليلهم مثل النهار

أبو الحسن قال : قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنا على السواء بمكة لعلمت . قال معاوية : إذًا كنتُ أكون معاوية ابن أبى سفيان منزلى الأبطح ينشق عنى سيله ، وكنت أنت عبد الرحمن بن خالد منزلك أجياد أعلاه مدرة ، وأسفله عَذِرة

وقال سُهيل بن عَمرو : أشبه امرا بعضُ بَزه . فصار مثلا . وقال محرز ابن علقمة :

لَقَدْ وَارَى المَقَابِرُ مِنْ شَرِيكٍ كَثِيرَ تَحَلُّمٍ وَقَلِيلَ عَابِ
صَمُوتاً فِي المَجَالِسِ غَيرَ عَيٍّ جَدِيراً حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوَابِ

وقال ابن الرِّقَاع [1] :

(١) ابن الرقاع : هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملى : شاعر مقدم بليغ كان مداحاً لبنى أمية واختص من بينهم بالوليد بن عبد الملك .وهوصاحب القصيدة التى أولها « عرف الديار توهما فاعتادها » ولما كانت هذه القصيدة غير مستكملة في كتاب من كتب الأدب المتداولة فقد رأيت أن أثبتها هنا بأكملها لندرتها وبلاغتها وتنافس الأدباء فيها ، وقد كنت نشرتها بجريدتى « الثمرات » بالعدد الصادر في ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٤٤ (٣ يونيه سنة ١٩٢٦) وقد عثر عليها في مكتبة تيمور باشا ونقلها القائمون على كتاب نهاية الارب فى جزئه الرابع ص ٢٤٧ وها هي :

عرف الديار توهماً فاعتادها من بعد ما شمل البلا أبلادها
إلا رواسى كلهن قد اصطلى جمراً وأشعل أهلها إيقادها
كانت رواحل للقدور فعريت منهن واستلب الزمان رمادها
وتنكرت كل التنكر بعدنا والأرض تعرف بعلها وجمادها
ولرب واضحة العوارض حرة كالريم قد ضربت به أوتادها
تصطاد بهجتها المعلل بالصبا عرضا فتقصده ولن يصطادها
كالظبية البكر الفريدة ترتعى من أرضها قفاتها وعهادها
حصبت بها عقد البراق حنينها عن عكرها علجانها وعرادها
كالزين في وجه العروس تبذلت بعد الحياء فلاعبت أرآدها
تزجى أغن كان ابرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها
ركبت به من عالج متحيرا قفراً تريث وحشه أولادها
فترى محانيه التى تسقى الثرى والهبر يونق نبتها روادها
باتت سعاد وأخلفت ميعادها وتباعدت عنا لتمنع زادها
إنى إذا ما لم تصلنى خلتى وتباعدت عنى اغتفرت بعادها
إما ترى شيبى تقشع لمتى حتى علا وضح يلوح سوادها
فلقد ثنيت يد الفتاة وسادة لى جاعلا يسرى يدى وسادها
وأصاحب الحيش العرمرم فارساً في الخيل أشهد كرها وطرادها
وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها

أُمَمٌ تَدَاخَلَتِ الْحُتُوفُ عَلَيْهِمُ ... أَبْوَابَهُمْ فَكَشَفْنَ كُلَّ غِطَاءِ
فَإِذَا الَّذِي فِي حِصْنِهِ مُتَحَرِّزٌ ... مِنْهُمْ كَآخَرَ مُصْحِرٍ بِفَضَاءِ
وَالْمَرْءُ يُورِثُ مَجْدَهُ أَبْنَاءَهُ ... وَيَمُوتُ آخَرُ وَهْوَ فِي الأَحْيَاءِ
وَالْقَوْمُ أَشْبَاهٌ وَبَيْنَ حُلُومِهِمْ ... بَوْنٌ كَذَاكَ تَفَاضُلُ الأَشْيَاءِ

وقال بعضهم :

بَيْضَاءُ نَاصِعَةُ الْبَيَاضِ كَأَنَّهَا ... قَمَرٌ تَوَسَّطَ نِصْفَ لَيْلٍ مُبْرِدِ
مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ ... إِنَّ الْحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ

نظر المثقف في كعوب قناته ... حتى يقيم ثقافه منآدها
فسترت عيب معيشتي بتكرم ... وأتيت في سعة النعيم سرادها
وعلمت حتى ما أسائل واحدا ... عن علم واحدة لكن ازدادها
صلى الاله على امرئ ودعته ... وأتم نعمته عليه وزادها
وإذا الربيع تتابعت أنواؤه ... فسقى خاصرة الأحص فجادها
نزل الوليد بها فكان لأهلها ... غيثا أغاث أنيسها وبلادها
أو لا ترى أن البرية كلها ... ألقت خزائمها إليه فقادها
ولقد أراد الله إذ ولاكها ... من أمة إصلاحها ورشادها
أعمرت أرض المسلمين فأقبلت ... وكففت عنها من يروم فسادها
وأصبت في أرض العدو مصيبة ... عمت أقاصي غورها ونجادها
ظفراً ونصراً ما تناول مثله ... أحد من الخلفاء كان أرادها
فاذا نشرت له الثناء وجدته ... جمع المكارم طرفها وتلادها
غلب المسامح الوليد سماحة ... وكفى قريش المعضلات وسادها
تأتيه أسلاب الأعزة عنوة ... قسرا وتجمع للحروب عتادها
وإذا رأى نار العدو تضرمت ... سامى جماعة أهلها فاقتادها
بعرمرم تبدو الروابي ذى وعى ... كالجرة احتمل الضحى أطوادها
أطفأت ناراً للحروب وأوقدت ... نار قدحت براحتيك زنادها
فبدت بصيرتها لمن يبغى الهدى ... وأصاب حر شديدها جسادها
وإذا غدا يوماً بنفحة نائل ... عرضت له الغد مثلها فأعادها
وإذا عدت خيل تبادر غاية ... فالسابق الجالى يقود جيادها

وترى ما قيها تقلّبُ مقلةٍ حوراء ترغب عن سواد الإثمد

وقال الآخر :

خودٌ إذا كثر الحديث تعوّدت بحمى الحياء وإن تكلّم تقصد

وقال :

إسانك خيرٌ وحدهُ من قبيلةٍ ومأمنُ بعدٌ في الفتى أنت فاعلهْ
سوى طبع الأخلاق والفحش والخنا أبت ذاكمُ أخلاقهُ وشمائلهْ (١)

وقال الآخر :

على امرئٍ هدّ عرش الحيّ مصرعهُ كأنه من ذوى الأحلام من عادِ

وقال النابغة :

أحلامُ عادٍ وأجسامٌ مطهّرةٌ من المعقّة والآفاتِ والأثمِ (٢)

وقالت الخنساء :

خطّابُ مُعْضِلةٍ فرّاجُ مظلمةٍ إن جاء مفظعةً هيّا لها بابا

وعد الاصمعي خصال معدّ فقال :

كانوا أديماً ماعزاً شانهُ أخلصَ فيه القرظَ الآهبُ (٣)
أو مرقيء عرقَ دمٍ مفرّجٍ أو سائلٌ في لزبةٍ زاعبُ (٤)
أو ذمّةٌ يوفى بها عاقدٌ أو عقدةٌ يحكمها آربُ (٥)
أو حائطٌ من غيرِ لا نعمةٍ أو رحمٌ متّ بها جانبُ (٦)
أو خطبةٌ بزلاء مفصولةٌ يرضى بها الشاهدُ والغائبُ (٧)

---

(١) طبع الأخلاق : شينها وعيبها (٢) المعقة : سوء الخلق ، أو فساد المعدة . وكل صالح في التفسير (٣) الأديم الماعز : الجلد الصلب دبغ أو لم يدبغ . القرظ : ورق السلم وثمر السنط تدبغ به الجلود . الآهب : دابغ الأهب (٤) مرقيء الدم : حاقنه . المفرج : المقتول في الفلاة غير المعروف قاتله . اللزبة : السنة الشديدة . الزاعب : السيل المنحدر (٥) الآرب : العاقل الداهي المحكم (٦) جانب : غريب (٧) خطبة بزلاء : فاصلة بين الحق والباطل

وقال ابنُ نَوْفَلٍ يهجو:

وأنْتَ كَسَاقِطٍ بَيْنَ الْحَشَايَا ... يَصيرُ إلَى الْخَبِيثِ مِنَ المَصيرِ
ومِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بَعِيرًا ... تُعاظِمُها إذَا مَا قِيلَ طِيرِى
وإنْ قِيلَ احْمِلِى قالَتْ فإنِّى ... مِنَ الطَّيْرِ المُرِبَّةِ بالْوُكُورِ (١)
وكُنْتَ لَدَى المُغيرَةِ عَيْرَ سُوءٍ ... تَبُولُ مِنَ المَخَافَةِ لِلزَّبِيرِ
لِأَعْلاجٍ ثَمَانِيَةٍ وشَيْخٍ ... كَبِيرِ السِّنِّ ذِى بَصَرٍ ضَرِيرِ
تَقُولُ لِمَا أصَابَكَ أطْعِمُونِى ... شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

وقال عَبْدُ يَغُوثَ (٥)

أَلَا لَا تَلُومَانِى كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا ... فَمَا لَكُمَا فِى اللَّوْمِ خَيْرٌ ولَا لِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ المَلَامَةَ نَفْعُهَا ... قَلِيلٌ ومَا لَوْمِى أَخِى مِنْ شِمَالِيَا
فَيَا رَاكِبًا إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
أَبَا كَرِبٍ والأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا ... وقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اليَمَانِيَا
جَزَى اللهُ قَوْمِى بِالْكُلَابِ مَلَامَةً ... صَرِيحَهُمُ والآخَرِينَ المَوَالِيَا
أَقُولُ وقَدْ شَدُّوا لِسَانِى بِنِسْعَةٍ ... أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا
وتَضْحَكُ مِنِّى شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كَأَنْ لَمْ تَرَا قَبْلِى أَسِيرًا يَمَانِيَا

قال أبو عثمان: وليس فى الارض أعجب من طَرَفة بن العبد وعبديغوث، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الامن والرفاهية

أبو عُبَيْدَةَ قال: حدثنى أبو عبدالله الفَزَارِىُّ عن مَالِك بن دِينَار قال: ما رأيت أحداً أبين من الحَجَّاج، إن كان لَيرقَى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل

(٤) المربة: المقيمة الملازمة (٥) راجع هذه القصيدة بأكملها فى كتاب المفضليات مشروحة بقلمنا شرحاً وافياً

العراق وصفحه عنهم وإساءتهم إليه ، حتى أقول فى نفسى: إنى لأحسبه صادقا وإنى لاظنهم ظالمين له

قال : وكانت العرب تخطب على رواحلها ، وكذلك روى النبي ﷺ عن قُسّ بنِ ساعِدَة . قال : أخبرنى عبدُ الرحمن بنَ مهدى عن مالك بن أنس قال : الوقوف على ظهور الدواب بعرفة سنة ، والقيام على الاقدام رُخصة . وجاء فى الاثر : لاتجعلوا ظهور دوابكم مجالس .

ووقف الْهَيْثَمُ بنُ مُطَهَّر الفأفاء على ظهر دابته على باب الْخَيْزُرَان ينتظر بعض من يخرج من عندها ، فلما طال وقوفه بعث إليه عمر الكَلْوَاذِى فقال : انزل عن ظهر دابتك ، فلم يرد عليه شيئاً ، فكرر الرسول إليه ، فقال : إنى رجل أعرج وإن خرج صاحبى من عند الخيزران فى موكبه خفت أن لا أدركه ؛ فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك ، فبعث إليه قال : هو حبيس فى سبيل الله إن أنزلتنى عنه أن أقْضَمْتُهُ شهراً ، فانظر أيهما خير له أراحة ساعة أو جوع شهر ، قالوا له : هذا الهيثم بن مطهر ، قال : هذا شيطان

وقال أَبُو عَلْقَمَةَ النَّحْوِى : يا آسى [1] إنِّى رجعت إلى المنزل أنا سَنِقٌ لَقِسٌ ، فأتيت لِشَنْشَنَةٍ من لوِيَّةٍ وَلَكِيكٍ وقطيع أقرن قد غدرن هناك من سمن ورقاق سر شصان وسقيط عطمط ، ثم تناولت عليها كاسا [2] فقال له الطبيب : خذ خرفقا وسفلقا وجرفقا . فقال : ويلك ، أىّ شىء هذا ؟ قال : وأى شىء ماقلت ؟

وقال الزبرقان : أحب صبياننا الينا العريض الورك ، السبط الغرة ، الطويل الغُرّلة ، الأبله العقول . وأبغض صبياننا إلينا الأقيعس الذكر ، الذى كأنما ينظر

---

(١) يا آسى : يا طبيب . سنق : بشم متخم . اللقس : الذى غثت نفسه وخبثت من البشم والتخمة (٢) الشنشنة : قطعة من اللحم . اللوية : مايدخره الرجل لنفسه أو لضيفه: قال الشاعر :

اثرت ضيفك باللوية والذى كانت له ولمثله الأدخار

ولكيك : ولحم

من جحر ، واذا سأله القوم عن أبيه هرّ فى وجوههم

قال الهيثم ، قال الاشعث : إذا كان الغلام سائل الغرة ، طويل الغُرلة ، ملتاث الازْرة ، كأن به لوثة ، فما يشك فى سؤدُده

قال أبو المخش : كان المخش أشدقَ خُرْطُمانيا سائلا لعابه كأنما ينظر من قُلتين . كأن تَرْقُوته بُوان أو خالفة ، وكأن كاهله كِرْكرة جمل ، فقأ الله عينىّ هاتين إن كنتُ رأيت بعده ولا قبله مثله

وكان زيادٌ حوّل المنبر وبيوت الاموال والدواوين إلى الازد وصلى بهم وخطب فى مسجد حُدان فقال عمرو بن العرندس :

فأصْبَحَ فِى الْحُدَّانِ يَخْطُبُ آمِنًا ... وَالْأَزْدِ عِزٌّ لا يَزَالُ تِلَادُ

وقال الاعرج :

وَالْقَائِلِينَ فَلاَ يُعَابُ خَطِيبُهُمْ ... يَوْمَ الْمَقَامَةِ بِالْكَلاَمِ الْفَاصِلِ

وقال ابن مفرغ :

وَمَتَى تَقُمْ يَوْمَ اجْتِمَاعِ عَشِيرَةٍ ... خُطَبَاؤُنَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ تَفْصِلِ

وقال :

فَبِارْبَّ خَصْمٍ قَدْ كَفَيتُ دِفَاعَهُ ... وَقَوَّمْتُ مِنْهُ دَرْأَهُ فَتَنَكَّبَا

وقال آخر :

وَحَامِلِ ضَبٍّ ضِغْنٍ لَمْ يُضِرَّنِى ... بَعِيدِ قَلْبُهُ حُلْوِ اللِّسَانِ

وَلَوْ أَنِّى أَشَاءُ نَقَمْتُ مِنْهُ ... بِشَغْبٍ مِنْ لِسَانٍ تَيِّحَانِ

وقال :

عَهِدْتُ بِهِ هِنْدًا وَهِنْدٌ عَزِيزَةٌ ... عَنِ الْفُحْشِ تَلْهَاهُ الْعِشَاءَ نَؤُومُ

رَوَاحُ الضُّحَى مَيَّالَةٌ بَخْتَرِيَّةٌ ... لَهَا مَنْطِقٌ يُصْبِى الْحَلِيمَ رَخِيمُ

وقال آخر :

وَخَصْمٍ يَرْكَبُ الْعَوْصَاءَ طَاطٍ ... عَلَى الْمُثْلَى قُصَارَاهُ الْقِرَاعُ

وَمَلْمُومٍ جَوَانِبُهَا رَدَاحٍ ... تُزَجَّى بِالرِّمَاحِ لَهَا شُعَاعُ

وقال محلم بن فراس يرثى منصوراً وهماماً ابنى السجاح :

كَمْ فِيهِمُ لَوْ تَمَتَّعْنا حَيَاتَهُمُ ... مِنْ فَارِسٍ يَوْمَ رَوْحِ الحَيِّ مِقْدَامِ
وَمِنْ فَتًى يَمْلَأُ الشِّيزَى مُكَلَّلَةً ... شَحْمَ السَّدِيفِ نَدِيَّ الحَمْدِ مِطْعَامِ
وَمِنْ خَطِيبٍ غَدَاةَ الحَفْلِ مُرْتَجِلٍ ... ثَبْتِ المَقَامِ أَرِيبٍ غَيْرِ هَيْحَامِ

وقال خالد للقعقاع : أنافرك على أينا أطعن بالرماح ، وأطعم للسجاح ، وأنزل بالبراح . قال : لا بل على أينا أفضل أباً وجداً وعماً ، وقديماً وحديثاً . قال خالد : أعطيتَ يوماً من سأل ، وأطعمتَ حولا من أكل ، وطعنتَ فارساً طعنة شككت فخذيه بجنب الفرس ؟ قال القعقاع : وأخرج نعلين فقال : ربع أبى عليهما أربعين مرباعاً لم تشكل فيهن تميمية ولدا

كان مالك بن الأخطل التغلبى — وبه كان يكنى — أتى العراق فسمع شعر جرير والفرزدق ، فلما قدم على أبيه سأله عن شعرهما فقال : وجدت جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر . فقال الأخطل : الذى يغرف من بحر أشعرهما . وقال بعضهم :

وَمَا خَيْرُ مَنْ لا يَنْفَعُ الأَهْلَ عَيْشُهُ ... وَإِنْ مَاتَ لَمْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهْ
كَهَامٌ عَلَى الأَقْصَى كَلِيلٌ لِسَانُهُ ... وَفِى بَشَرِ الأَدْنَى حِدَادٌ مَخَالِبُهْ

وقال العُمانى :

إِذَا مَشَى لِكُلِّ قِرْنٍ مُقْرِنِ ... ثُمَّ مَشَى القِرْنُ لَهُ كَالأَرْعَنِ
بِصَارِمٍ يَفْرِى صَفِيحَ الْجَوْشَنِ ... مُقَرْطَنٌ ذَافَ إِلَى مُقَرْطَنِ
يُفْضِى إِلَى أُمِّ الْفِرَاخِ الْمُكْمِنِ ... حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقِنِى اسْقِنِى
كَمْ لأَبِى مُحَمَّدٍ مِنْ مَوْطِنِ

وقال العُمانى :

وَمَقُولٌ نِعْمَ لِزَازُ الْخَصْمِ ... أَلَدُّ يَشْتَقُّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ (١)

(١) ومقول : ولسان مبين داحض . لزاز الخصم : آخذ على الخصم المسالك ، مضيق عليه المسارب . ألد : قوى الخصومة شديد اللدد فيها . يشتق : يأتى بالحجج ويولد الأدلة والبراهين لأهل العلم

بِبَاطِلٍ يَدْحَضُ حَقَّ الْخَصْمِ حَتَّى يَصِيرُوا كَسَحَابِ الْيَكْمِ (١)

وقال عُبيد فى حديث على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه حين رأى فلاناً يخطب فقال: هذا الخطيب الشَّحْشَحُ . قال : هو الماهر الماضى . قال الطِّرِمَّاحُ ،

كَأَنَّ الْمَطَايَا لَيْلَةَ الْخَمْسِ عُلِّقَتْ بِوَثَّابَةٍ تَنْضُو الرَّوَاسِمَ شَحْشَحِ

وقال ذو الرُّمَّةِ :

لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى إِذَا امْتَدَّتِ الضُّحَى وَحَثَّ الْقَطِينَ الشَّحْشَحَانُ الْمُكَلَّفُ

يعنى الحادى . وكان أسد بن كُرْزٍ (٢) يقال له : خطيب الشيطان . فلما استعمل ابنه على العراق قيل له: خطيب الله ، فجرت إلى اليوم، قال أبو سلم الهذلى :

أَصَخْرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا فَإِنَّكَ لَا تُهْدِى الْقَرِيضَ لِمُفْحَمِ

وقال بَلْعاء بنُ قَيس :

أَبَيْتُ لِنَفْسِى الْخَسْفَ لَمَّا رَضُوا بِهِ وَوَلَّيْتُهُمْ سَمْعِى وَمَا كَانَ مُفْحَمَا

وقال عبد الله بن مُصعب : وقف معاوية على امرأة من بنى كنانة فقال لها : هل من قِرًى ؟ قالت : نعم . قال : وما قِراك ؟ قالت: عندى خبز خمير ، وابن فطير ، وماء نمير . وقال أُحَيْحة :

وَالصَّمْتُ أَكْرَمُ بِالْفَتَى مَالَمْ يَكُنْ عِىٌّ يَشِينُهْ
وَالْقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهْ

وقال أبو ثُمامة الضَّبِّى :

وَمِنَّا حُصَيْنٌ كَانَ فِى كُلِّ خُطْبَةٍ يَقُولُ أَلَا مِنْ نَاطِقٍ مُتَكَلِّمِ

---

(١) بباطل: يريد أنه لقوة لسنه وشدة عارضته يدحض حق الخصم بالحق وبالباطل

(٢) أسد بن كرز : هو جد خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسرى البجلى. وكان أسد بن كرز يدعى في الجاهلية رب بجيلة، وكان ممن حرم الخمر فى الجاهلية تنزهاً عنها : وكان سيداً شاعر فاتكا مغواراً . أدرك أسد وابنه يزيد الاسلام وأسلما واهدى أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم إسلامه قوسا . وكان كريماً ممدحاً ، ولتأبط شرا فيه مديح جيد

وقال عُبيدُ بنُ أُمَيَّةَ الضبيُّ ، واستَبَّ هو والحارثُ بنُ شَيْبة المُجاشِعيُّ عند النُّعْمان . فقال :

تُرَى بيُوتٌ وتُرَى رِماحُ ... ونَعَمٌ مُزَنَّمٌ سِحَاحُ (١)
ومَنْطِقٌ لَيْسَ لهُ نَجَاحُ ... يا قَصَباً طَارَ بِهِ الرِّياحُ
وَاذْرُعاً لَيْسَتْ لَها أَلْوَاحُ

وقال قَيسُ بن الخطيم :

وبَعْضُ القَوْلِ لَيْسَ لهُ حَصَاةٌ ... كَمَخْضُ المَرْءِ لَيْسَ لهُ إِنَاهُ

وهذا شبيهٌ بقوله :

كُسَالَى إذا لاقَيْتَهُمْ غيرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّى بِهِ المَتْبُولُ وهْوَ عَنَاهُ

وقال أبو ثُمامة :

أُخاصِمُهُمْ مَرَّةً قائِمًا ... وأَجْثُو إذا مَا جَثَوْا لِلرُّكَبْ
إذَا مَنْطِقٌ قالَهُ صَاحِبِي ... تَعَقَّبْتُ آخَرَ ذَا مُعْتَقَبْ

وقال الشَّمَّاخ :

ومَرْتَبَةٍ لا يُسْتَطَاعُ بِهَا الرَّدَى ... تَرَكْتُ بِهَا الشَّكَّ الذِي هُوَ عاجِزُ

ويُرْوَى : تَلافَى بِهَا حِلْمِي عنِ الجَهْلِ حَاجِزُ

﴿ باب من الكلام المحذوف ﴾

ثم نرجع بعد ذلك إلى الكلام الأول

هُشَيْمٌ ، عن يونُس ، عن الحسن يرفعه ، أن المهاجرين قالوا : يارسول الله ، إن الانصار فَضَلُونا بأنهم آووا ونصرواوفعلوا وفعلوا . قال النبي ﷺ : « أتعرفون ذاكلهم ؟ » قالوا : نعم . قال : « فان ذاك » ليس فى الحديث غير هذا ، يريد : إن ذاك شكر ومكافأة

قال : وكلم رجل من قيس عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فى حاجة ، وجعل يمتّ بقرابة ، فقال عمر : وإنَّ ذَاكَ . ثم ذكر حاجته فقال : لَعَلَّ ذَاكَ .

(١) نعم مزنم سحاح : النعم هنا الابل ، والمزنم ، كان من عادة العرب أن تعرض لكرام إبلها فتقطع من أذن كل بعير قطعة ولا تفصلها بل تتركها معلقة. والسحاح : السمان

لم يزده على أن قال : فان ذاك ، ولعل ذاك . فان ذاك كما قلت ، ولعل حاجتك أن تقضى . وقال عبيد الله بن قيس [١] :

بَكَرَتْ علىَّ عَوَازِلى يَلْحَيْنَنى وألُومُهُنَّهْ
وقُلْنَ شَيْبٌ قدْ عَلاَ كَ وقدْ كَبِرْتَ فقُلْتُ إنَّهْ

وقال الاسدى [٢] لعبد الله بن الزُّبَير : لاحملت ناقة حملتنى إليك . قال ابن الزبير : إنّ ورا كبها

عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن أبى هاشم القاسم بن كثير ، عن قيس الخارجى : أنه سمع عليًا يقول : سَبَقَ رسولُ الله ﷺ وصلى أبو بكر ، وثلَّثَ عُمَرُ ، وخبطتنا فتنة فما شاء الله . ليس فى الحديث أكثر من هذا

ولما كتب أبو عبيدة [٣] إلى عمر جواب كتاب عمر فى أمر الطاعون فقرأ

---

(١) كان في الأصل عبد الله ، والصواب ما أثبتناه . وهو عبيد الله بن قيس بن شريح العامرى ، المعروف بابن قيس الرقيات : كان شاعراً مجيداً له مدايح حسان في مصعب بن الزبير وفي عبد الملك بن مروان . قال حماد الراوية : إذا أردت أن تقول الشعر فارو شعر ابن قيس الرقيات ، فانه أرق الناس حواشي شعر . وسأل سعيد بن المسيب نوفل بن مساحق : من أشعر ؛ ابن قيس الرقيات أم ابن أبى ربيعة ؟ فقال : ابن أبى ربيعة أشهر بالغزل ، وابن قيس أكثر أفانين شعر . قال : صدقت

(٢) الأسدى : هو فضالة بن شريك الأسدى ، وفد على عبد الله بن الزبير فلما مثل بين يديه قال : إن ناقتى قد تعبت ودبرت ، فقال ابن الزبير : إرقعها بجلد ، واخصفها بهلب ، وسربها البردين . فقال فضالة : إنى قد جئتك مستحملا لامستشيراً ، فاعن الله ناقة حملتنى إليك . فقال ابن الزبير : إن ورا كبها . يعنى نعم ورا كبها . وزعم يونس بن حبيب أن هذه الحادثة إنما كانت مع عبد الله بن فضالة لا مع فضالة نفسه

(٣) أبو عبيدة : هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشى . كان من كبار الصحابة وأجلائهم حتى لقد رشحه أبو بكر للخلافة يوم سقيفة بنى ساعدة وقال : رضيت لكم أحد صاحبى : أبا عبيدة أو عمر . شهد كثيراً من المشاهد والفتوحات ، وكان شجاعاً باسلا ، وقائداً بطلا ، وأميراً عاقلا . وكان عفاً زاهداً . توفي بالشام عن ٥٨ سنة فى طاعون عمواس سنة ١٨ هـ ٦٣٩ م

عمر الكتاب استرجع فقال له المسلمون : مات أبو عبيدة ؟ قال : لا وكأن قد

وقال النابغة :

أزِفَ الترحُّلُ غيرَ أنَّ ركابَنا ... لمَّا تَزَلْ بِرِحالِنا وكأنْ قدِ

وأنشد ابنُ الأعرابيِّ :

إذا قيلَ أعْمَى قُلْتُ إنَّ وربَّما ... أكونُ وإنّي مِنْ فَتًى لَبَصيرُ

إذا أبْصَرَ القَلْبُ المُرُوءَةَ والتُّقَى ... فإنّ عَمَى العَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضيرُ

وإنّ العَمَى أجْرٌ وذُخْرٌ وعِصْمَةٌ ... وإنّي إلَى هَذِي الثَّلاثِ فَقيرُ

ابن أبي الزناد قال : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، وكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه ، فكتب اليه :

إنه ليخيل إليَّ أنيَّ لو كتبتُ إليك أن تعطي رجلا شاة ، لكتبتَ إليّ : أضأن أم ماعز ؟ وإن كتبتُ إليك بأحدهما ، كتبتَ إليّ : أذَكَرٌ أو أنثى ؟ فان كتبتُ إليك بأحدهما كتبتَ إليَّ : صغيرٌ أم كبير ؟ فإذا أتاك كتابي في مظلمة فلا تراجعني والسلام

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : إني لأستعين بالرجل الذي فيه. ليس في الحديث غير هذا ، ثم ابتدأ بالكلام فقال : ثم أكون على قضائه إذا كان أقوى من المؤمن الضعيف . وأراد هو قول الأسدي :

سُوَيْدٌ فيهِ فابْغُونا سِوَاهُ ... أبَيْناهُ وإنْ بَهَّاهُ تاجُ

ولم يقل فيه كذا وفيه كذا . وقال الراجز :

بِتْنا بِحَسَّانٍ ومِعْزَاهُ تَئِطْ ... في سَمَنٍ حَمٍّ وتَمْرٍ وأقِطْ (١)

حَتّى إذا كادَ الظَّلامُ يَنْكَشِطْ ... جاءَ بِمَذْقٍ هَلْ رأيْتَ الذِّئْبَ قَطْ ؟ (٢)

---

(١) تئط : تتجاوب بأصواتها . سمن حم : كثير سائل : الاقط : الجبن يتخذ من اللبن بصناعة معروفة (٢) ينكشط : يذهب . جاء بمزق : جاء بلبن مشوب بماء . هل رأيت الذئب قط : يعني أن لون ما قدم له من مزقة اللبن كلون الذئب

وقيل للمنتجع بن نبهان ـ أو لأبي مهدية ـ : مَاالنَّضْنَاضُ ؟ فاخرج طرف سانه وحركه . وقيل له : مَاالدَّلَنْظَى ؟ فزحر وتقاعس وفرج مابين منكبيه

ومن الكلام كلام يذهب السامع منه إلى معانى أهله والى قصد صاحبه ، كقول الله تبارك وتعالى « وتَرَى الناسَ سُكارَى وما هُم بسُكارَى » وقال « لايموت فيها ولا يَحيَا »وقال « ويَأتيه الموتُ مِن كل مَكان ، وما هُو بِمَيِّتٍ »

وسئل المفسر عن قوله « لَهمُ رِزقهم فيها بُكْرَةً وَعَشِيًا » فقال : ليس فيها بكرة ولا عَشِى . وقال لنبيه ﷺ « فإن كنتَ فى شَكٍّ مِمَّا نَزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » . قالوا : لم يشك ولم يسأل

وقال عمر رضى الله تعالى عنه فى جواب كلام قد تقدم ، وقول قد سلف منه : مُتعتَانِ كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى عنهما وأضرب عليهما . وهذا مثل قائل لو قال : أنضرب بنا على الكلام فى الصلاة وعلى التطبيق إذا ركعنا ؟ فيقول : نعم ، أشد الضرب. إذا كان قد تقدم منه إعلامه إياهم بحال الناسخ والمنسوخ

وقد سأل رجل بلالاً مولى أبى بكر رضى الله تعالى عنه — وقد أقبل من الحَلْبَةِ ـ فقال له : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : سبق المقربون . قال : إنما أسألك عن الخيل ؟ قال : وأنا أجيبك عن الخير . فترك بلال جواب لفظه إلى خير هو أنفع له

حدثنا عبد الملك بن شيبان قال : حدثنى يعقوب بن الفضل الهاشمى قال : كتب أبو جعفر إلى سلم يأمره بهدم دور من خرج مع ابرهيم [1] وعقر نخلهم ، قال: فكتب اليه سلم . بأى ذلك نبدأ . بالدور أم بالنخل ؟ فكتب اليه أبو جعفر : أما بعد فإنى لو كتبت إليك بإفساد ثمرهم لكتبت إلىّ تستأذنى بأية نبدأ : بالبرنى أم بالشهريز ؟ وعزله وولى محمد بن سُليمان

وقال ابن مسعود : إن طولَ الصلاة وقِصَرَ الْخُطبة مِئِنَّةٌ من فِقه الرجل مِئِنَّةٌ : كقولك مَخلقة ومَجدرة ومَجرأة . قال الأصمعى : مئنة : علامة

(١) هو ابرهيم بن عبد الله بن حسن العلوى خرج فى زمن أبى جعفر المنصور فصرع في المعركة سنة ١٤٥ هـ ٧٦٢ م

وقال عبد الله : عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدرى متى يخيل إليه

ولما أقدم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عَمرَو بنَ العاص من مصر قال له عُمر : لقد سرت سير عاشق . قال عمرو : إنى والله ما تأبطنى الإماء ولا حملتنى البغايا فى غبَرَات المآلى[٢] قال له عمر : والله ما هذا بجواب الكلام الذى سألتك عنه ، وإن الدَّجاجة لتفحص فى الرماد فتضع لغير الفحل ، والبيضة منسوبة إلى طرقها . وقام عمر فدخل ، وقام عمرو فقال : قد أفحش أمير المؤمنين علينا

وجاء فى الحديث : لا يمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ . وقال أعرابى : اللهم لا تنزلنى ماء سوء فأكون امرأ سوء

وقال بلعاء بن قيس :

وكَمْ كانَ فى آلِ المُلَوَّحِ مِنْ فَتًى ... مُنادًى مُفْدًى حِينَ تَبْلَى سَرَائِرُهْ

وكَمْ كانَ فى آلِ المُلوَّحِ مِنْ فَتًى ... يُجِيبُ خَطِيبًا لا يُخافُ عَوَائِرُهْ

وقال آخر :

ومُخاصِمٍ قاوَمْتُ فِى كَبَدٍ ... مِثْلِ الرِّهَانِ فَصارَ لِي العُذْرُ[٢]

وقال آخر :

وَجْهٌ قَبِيحٌ ولِسَانٌ أبكَمُ ... ومِشْفَرٌ لا يَتَوَارَى أضْجَمُ

ولما رأى الفرزدق دَرَسْتَ بن رِباطِ الفُقَيْمِي على المنبر وكان أسود دميما قصيراً قال :

بكَى المِنبَرُ الشَّرْقِيُّ إذْ قامَ فوْقَهُ ... أمِيرٌ فُقَيْمِيٌّ قَصِيرُ الدَّوَارِجِ

وقال :

بَكَى المِنْبَرُ الشَّرْقِيُّ والنَّاسُ إذْ رَأوْا ... عَلَيْهِ فُقَيْمِيًّا قَصِيرَ القَوَائِمِ

وإنما كان يعادى بنى فُقَيم لأنهم قتلوا أباه غالباً

قال أبو عبيدة : قال رجل ليونس بن حبيب : إذا أخذتم فى مذاكرة

(١) غبرات المآلى : آثار الحيض فى الخرق البوالى (٢) الكبد : الشدة

الحديث وقع على النُّعاس .قال : فاعلم أنك حِمارٌ فى مسلاخ [1] إنسان

ودخل عبد الله بن خازم على عُبيد الله بن زياد ـ وهو يخطر فى مِشيته ـ فقال للمُنذر بن الجَارُودِ : حرِّكه . فقال : يا ابن خازم ، إنك لتجر ثوبك كما تجر المرأة البَغِيُّ ذيلها . قال : أما والله إنى مع ذلك لأنفذ بالسرية ، وأضرب هامة البطل المُشيح ، ولو كنت وراء هذا الحائط لوضعت أكثرك شعراً . وقد كان قبض عطاءه فصبه بين أيديهم ثم قال : لعنكِ الله من دراهم ، والله ما تقومين بمؤنة خيلنا

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه : خذ الحكمة أنَّى أتتْكَ ، فإن الحكمة تكون فى صدر المنافق فتلجلج فى صدره حتى تخرج فتسكن إلى صاحبها

وقال عَمرو بن العاص لأهل الشام يوم صِفِّينَ : أقيموا صفوفكم مثل قصّ الشارب ، وأعيرونا جماجمكم ساعة من النهار ، فقد بلغ الحق مقطعه ، فوالله ما هو ظالم أو مظلوم

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه يومئذ : عضُّوا على النواجذ من الاضراس ، فانه أنبا للسيوف عن الهام

وقال رجل : طِدْ رجلَك إذا اعتقبتَ بالسيف والعصا ، وأنت مخير فى رفعها ساعة المسالمة والموادعة . ولما أقاموا ابن قُتيبة بين العقابين قال له أبوه : طِدْ رجليك الارض ، وأصرَّ إصرار الفرس ، واذكر أحاديث غد . وإياك وذكر الله فى هذا الموضع فانه من الفشل

وقيل للحجاج . مَن أخطب الناس ؟ قال : صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة . يعنى الحسن

وقال الاحنف : قال عمر : تفقهوا قبل أن تسودوا . وقال عمر : أحذر من فلتات الشباب كلَّ ما أورثك النَّبْزَ وأعلقك اللقب ، فإنه إن يعظم بعدها شأنك يشتد على ذلك ندمُك

(١) المسلاخ: الجلد

﴿ كلام لعمر بن الخطاب ﴾

ولما بنى عتبة بنُ غزْوانَ وأصحابه بالبصرة بناء اللَّبِنِ كتب إليهم عُمر : قد كنت أكره لكم ذلك ، فاذا فعلتم مافعلتم فعرضوا الحيطان وارفعوا السَّمْكَ وقاربوا بين الخشب . ولما بلغه أنهم قد اتخذوا الضياع وعَمَرُوا الأرضين كتب اليهم : لاتنهكوا وجه الارض فان شحمتها فيه . وقال عمر : بع الحيوان أحسن مايكون فى عينك . وقال : فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين . وقال : أملِكوا العجين فإنه أحد الرَّبِحين . وقال : إذا اشتريت بعيراً فاجعله ضخما فان أخطأك خُبر لم يُخطئك سوق . وقال عمر : العمائم تيجان العرب . وقال : نعم المستند الاحتماء .

وقال رسول الله ﷺ ، الناس كالابل ترى المائة لاتجد فيها راحلة

وأنشدوا :

وكأنَّ مِنْ زَهْرِ الخُزَامَى والنَّدَى ... والأُقْحُوَانِ عليهِ رَيْطَةَ بُرْنُسِ
وإذا تَرَنَّمَ حَوْلَهُ ذِئْبانهُ ... أصْغَى تَسَمُّعَ خائِفٍ مُتَوَجِّسِ
خرَجَتْ عليهِ من الضَّراءِ دَواجِنٌ ... تَحْتَثُّ نَحْوَ مَلاذِ وَانٍ أشْوَسِ (١)
يَسْعَى بِمُثْكِلُ والصَّفِيرُ كَلامُهُ ... وتَحِي يَدَاهُ لهُنَّ وحْيَ الأَخْرَسِ (٢)

وقال الراعى :

أبا خَالِدٍ لا تَنْبِذَنَّا فَصَاحَةً ... كَوَحْيِ الصَّفَا خُطَّتْ لكُمْ فى فُؤَادِيا

وقال الشاعر :

رُبَّ طَرْفٍ مُصَرَّحٍ ... عَنْ ضَمِيرٍ بِمَا هَجَسْ

وقال آخر : ... بِلَحْنِ القَوْلِ والطَّرْفِ الفَصِيحِ

وقال المُثَقِّبُ العَبْدِيُّ فى استماع الثور وتوجسه وجمع باله إذا أحس بشىء من أسباب القانص وذكر ناقة :

---

(١) الضراء : الشجر الملتف يخفى ما وراءه . الدواجن : يريد بها كلاب الصيد المستخفية في الضراء . تحتث : تسرع العدو . الملاذ : الملجأ . وان : متوان فى عدوه تعبا . أشوس : جرئ . يعنى ثور الوحش (٢) الوحى : الايماء باليد

كَأَنَّها أَسْفَعُ ذُو جُـدَّةٍ بِضَمَّةُ الْقَفْرُ وَلَيْلٌ سَدِي (١)
كَأَنَّما يَنْظُرُ مِنْ بُرْقُعٍ مِنْ تَحْتِ رَوْقٍ سَكَبٍ مِذْوَدِ (٢)
تُصِيخُ لِلنَّبْأَةِ أَسْمَاعُـهُ إِصَاخَةَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ (٣)
وَيُوجِسُ السَّمْعَ لِنُـكْرَائِهِ مِنْ خَشْيَةِ الْقَانِصِ وَالْمُؤْسِدِ (٤)

وقال بعض العبيد شعراً يقع فى ذكر الخطباء وفى ذكر أشداقهم ونشادقهم :

أَغَرَّكَ مِنِّي أَنَّ مَوْلاىَ مَزْيَدًا سَرِيعٌ إِلَى دَاعِي الطَّعَامِ سَرُوطُ
غُلَامٌ أَتَاهُ الذُّلُّ مِنْ نَحْوِ شِدْقِهِ لَهُ نَسَبٌ فِى الْوَاغِلِينَ بَسِيطُ
لَهُ نَحْوَ دَوْرِ الْكَاسِ إِمَّا دَعَوْتَهُ لِسَانٌ كَذَلْقِ الزَّاعِبِيِّ سَلِيطُ (٥)

وقال الاول : إِنَّ سَلِيطاً كَاسْمِهِ سَلِيطُ

وقال بعض العبيد ، وقد كان مفتوق اللهاة وشاعراً :

أَشْدَقُ يَفْرِى حِينَ لَا أَحَدٌ يَفْرِى

وقال مُؤَرِّقٌ العبد يتوعد مولاه :

لَوْلَا عَجُوزٌ قَحْمَةٌ وَدَرْدَقُ وَصَاحِبٌ جَمُّ الْحَدِيثِ مُونِقُ (٦)
كَيْفَ الْفَوَاتُ وَالطُّلُوبُ مُورِقُ شَيْخٌ مَغِيظٌ وَسِنَانٌ يُبْرِقُ
وَحَنْجَرٌ رَحْبٌ وَصَوْتٌ مُصْلِقُ وَشِدْقُ ضِرْغَامٍ وَنَابٌ مُخْرِقُ

وسأل رجل عُمَرَ بنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عن الْجَمَلِ وَصِفِّينَ فقال : تلك دماء كف الله يدى عنها فلا أحب أن أغمس لسانى فيها

---

(١) الأسفع : الذى بخديه حمرة تضرب إلى السواد . والجدة : الخطة في ظهر الثور تخالف لونه . ومنه قوله تعالى : جدد بيض وحمر . وليل سدى : أى ليل ذوندى (٢) الروق : القرن . سكب : يريد أنه مصمت . المذود : القرن (٣) النبأة : الصوت الخفى . الناشد : الطالب . المنشد : المطلوب (٤) لنكرائه : أى لما ينكره ويخشاه . المؤسد : المغرى كلابه بالصيد (٥) كذلق الزاعبى سليط : يعنى طويل كحد السنان (٦) القحمة : المرأة المسنة . ويريد بها أمه . والدردق : أطفاله الصغار . ويريد بالصاحب : امرأته . حونق : معجب

ويقع فى باب التطبيق قول الشاعر :

لأَنْتُمْ بِبَيْعِ اللَّحْمِ أعْلَمُ مِنْكُمُ بِضَرْبِ السُّيُوفِ المُرْهَفَاتِ القَوَاطِع

وقال عَمرُو بن هُدَّابٍ : إنما كنا نعرف سُؤددَ مُسلم بن قُتيبة أنه كان يركب وحده ويرجع فى خمسين .

وقال الاصمعى: دخل حبيب بنُ شَوْذَبٍ الأَسَدِيُّ على جعفر بن سليمان بالمدينة فقال : أصلح الله الامير ، حَبيب بن شوذب وادّ الصدر ، جميل الذكر ، يكره الزيارة المملّة ، والعقدة المنسية . وفى الحديث : « زُرْ غِبًّا تزدد حُبًا »

وقال بعضهم عن الثَّوْرِيِّ ، عن محمد بن عَجلان ، عن عِياض بن عبدالله قال : إن الدَّين مجمع لكل هَمٍ : همٌّ بالليل وذُل بالنهار ، ورعاية الله فى أرضه ، فإذا أراد الله أن يُذِل عبداً جعله طوقا فى عنقه

عمر بن ذرٍّ قال : الحمد لله الذى جعلنا من أمة تُغفر لهم السيئات ، ولا تُقبل من غيرهم الحسنات

ابن أبى زياد : كنا لا نكتب إلا سُنة ، وكان الزُّهرى يكتب كل شىء ، فلما احتيج إليه عُرف أنه أوعى الناس .

قال فَيروز بن حُصين : إذا أراد الله أن يُزيل عن عبده نعمة كان أول مايغيّر منه عقله .

وقيل لمحمد بن كعب القُرظى : ماعلامة الخِذلان ؟ قال : أن يستقبح الرجلُ ما كان عنده حسناً ، ويستحسن ما كان عنده قبيحاً

وقال محمد بن حفص : كن إلى الاستماع أسرع منك إلى القول ، ومن خطأ القول أشد حذراً من خطأ السكوت .

وقال الحسن : إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وتَعلّم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ، ولا تقطع على أحد حديثه

سُفيان بن عُيينه قال : كان يقال : العالم مثل السراج من مر به اقتبس منه

وقال الشاعر أبو دُهْمان الفلابى :

لَئِنْ مِصْرُ فاتَتْنى بِما كُنْتُ أَرْتَجى ... وأَخْلَفَنى مِنْها الَّذِى كُنْتُ آمَلُ
فَما كُلُّ ما يَخْشَى الْفَتَى بِمُصِيبِهِ ... وَما كلُّ ما يَرْجُو الْفَتَى هُوَ نائِلُ
فما كانَ بَيْنِى لَوْ لَقِيتُكَ سالِمًا ... وبَيْنَ الْغِنَى إلاَّ لَيالٍ قَلائِلُ

وقال الآخر :

وإنَّ كَلامَ الْمَرْءِ فى غيرِ كُنْهِهِ ... لَكالنَّبْلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيها نِصالُها

وقال كعب الأحبار : قرأت فى بعض ما أنزل الله على أنبيائه عليهم السلام : الهدية تفقأ عين الحكيم ، وتُسفِّه عقل الحليم . زحم رجل سالم بنَ عبد الله فزحم سالم الذى يليه فقال له : ياشيخ ، ما أحسبك إلا شيخ سوء . قال سالم : ما أحسبك أبعدت .

وسأل رجل محمد بن عمير بن عُطارد وعتّاب بن وَرْقاء فى عشر ديات فقال محمد : علىّ دِيَةٌ . فقال عتاب : الباقى علىّ . فقال محمد : نعم العون اليسار على المروءة .

وقال الأحنف :

فلوْ مَدَّ سَرْوِى بِمالٍ كَثِيرٍ ... لَجُدْتُ وكُنْتُ بِهِ باذِلا
فإنَّ الْمُرُوءَةَ لا تُسْتَطاعُ ... إذَا لَمْ يَكُنْ مالُها فاضِلا

وقال يزيدُ بن حُجيّة حين بلغه أن زياد بن خَصْفة تبعه ولم يلحق به :

أَبْلِغْ زِيادًا أَنَّنِي قَدْ كَفَيْتُهُ ... أُمُورِى وَخَلَّيْتُ الَّذِى هُوَ غالِبُهْ
وبابٍ شَدِيدٍ داوُهُ قَدْ فَتَحْتُهُ ... عليْكَ وقَدْ أَعْيَتْ عَلَيْكَ مَذاهِبُهْ
هُبِلْتَ فَما تَرْجُو غَنايَ وَمَشْهَدِى ... إذا كانَ يَوْمٌ لا تُوارَى كَواكِبُهْ

قال آخر : ... وَمَنْطِقٍ حُرِّقَ بالْعَواسِلِ

وتجردت حضرمية لزوجها ثم قالت : هل ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ؟ قال : أرى فُطوراً . وقال آخر : راودت امرأةٌ شيخاً واستهدفت له وأبطأ عليه الانتشار فلامته فقال لها : إنك تفتحين بيتاً وأنا أنشر مَيِّتاً

﴿ كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعرى ﴾

على بن محمد ، عن عمر بن مجاشع أن عمر رضى الله تعالى عنه كتب إلى أبى موسى الأشعرى :

أما بعد فإن للناس نُفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عَمْيَاء مجهولة ، وضغائن محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، فأقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فآثر نصيبك من الآخرة ، على نصيبك من الدنيا ، فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وكن من خشية الله على وجل ، وأخِفِ الفساق وأجلهم يداً يداً ، ورجلا رجلا . وإذا كانت بين القبائل نائرةٌ وتداعوا : يا آل فلان ، فإنما تلك نجوَى الشيطان ، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله وإلى الإمام ، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبةَ تدعو : يا آل ضبة ، وإنى والله ما أعلم أن ضَبة ساق الله بها خيراً قط ، ولا منع بها سوءا قط ، فإذا جاءك كتابى هذا فأنهكهم عقوبةً حتى يفرقوا إن لم يفقهوا . وألصق بغَيْلان بن خرشة من بينهم ، وعُد مرضَى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح بابك ، وباشر أمرَهم بنفسك ، أنت امرؤ منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حِملا . وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فَشا لك ولا هل بيتك هَيئةٌ فى لباسك ومطعمك ومركَبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبدَ الله أن تكون بمنزلة البَهيمة التى مرت بواد خصيب فلم يكن لها همةٌ إلا السِّمن ، وإنما حتفُها فى السِّمن . واعلم أن للعامل مَرَدًّا إلى الله ، فإذا زاغ العامل زاغت رَعيته ، وإن أشقى الناس من شَقيت به رعيته والسلام

عَوانةُ قال : قدم علينا أعرابى من كلب ، وكان يحدثنا الحديث فلا يكاد يقطعه ، فقال له رجل : أما لحديثك هذا آخر ؟ فقال : إذا عجز وصلناه

وقال معاوية ليونس الثَّقَفىِّ : اتَّق أن أطير بك طَيرة بطيئا وُقوعها . قال : أليس لى ولك المرجع بعدُ إلى الله ؟ قال : بلى ، فأستغفر الله

رَقبةُ بن مَصقَلة قال : ما سمعت عُمرَ بن ذَرٍّ يتكلم إلا ذكرت النفخ في الصور ، وما سمعت أحداً يحكيه إلا تمنيت أن يُجلد ثمانين . قال : وتكلم عمر بن ذَرٍّ فصاح بعض الزفانين [1] صيحة فلطمه رجل قال عمر بن ذرٍّ : ما رأيت ظلماً قط أوفق لى من هذا . وقال طاوس : كنت عند محمد بن يوسف فأبلغه رجل من بعض أعدائه كلاماً فقال رجل من القوم : سبحان الله ؟ فقال طاوس : ما ظننت أن قول : سبحان الله ، معصية لله ، حتى كان اليوم . كأنه عنده إنما سبح ليظهر استعظام الذى كان من الرجل ليوقع به

وقال الآخر :

لوْ كانَ عَدْوَاكَ البَطِيءُ المُسْهِمُ ... إذا بَدا منْكَ الَّذِى لا يُكْتَمُ

وَجْهٌ قَبِيحٌ ولِسَانٌ أبْكَمُ ... ومِشْفَرٌ لا يَتوارَى أضْجَمُ

وقال الآخر :

يُقَعِّرُ القَوْلَ لِكَيْما تَحْسَبَهْ ... مِنَ الرِّجَالِ الفُصَحاءِ المُعْرِبَهْ

وهْوَ إذا نَسَبْتَهُ مِنْ كَرَبَهْ ... مِنْ نَخْلَةٍ نابِتَةٍ فِي خَرِبَهْ [2]

قالت امرأة الحطيئة للحطيئة حين تحول عن بنى رياح إلى بنى كليب : بئس ما استبدلت من بنى رياح بعر الكبش . لأنهم متفرقون ، وكذلك بعر الكبش يقع متفرقا

﴿ كلام لعائشة أم المؤمنين فى قتل عثمان ﴾

على بن محمد ، عن مَسلمة بن مُحارب ، عن داود بن أبى حرب بن أبى الأسود ، عن أبيه قال : بعثنى وعِمرانَ بن حُصين عثمانُ بن حَنيفٍ إلى عائشة رضى الله تعالى عنها فقلنا : يا أم المؤمنين : أخبرينا عن مسيرك هذا ، أعهد عهده إليك رسول الله ﷺ أم رأى رأيتيه ؟ قالت : بل رأى رأيته حين قُتل عثمان ، إنا نَقِمنا عليه ضربةً بالسوط ، وموقعَ السحابة المُمحاة ، وإمرةَ سعيد والوليد ،

(١) الزفانون : الرقاصون (٢) الكربة : أصل السعفة اليابس

فعدوتم عليه فاستحللتم منه الحرم الثلاث : حرمةَ البلد ، وحرمة الخلافة ، وحرمة الشهر الحرام ، بعد أن مِصْناه كما يُماص الإناء ، فاستنقَى ، فركبتم منه هذه ظالمين ، فغضبنا لكم من سوط عُثمان ولا نغضب لعثمان من سيفكم ؟ قلت : فما أنت وسيفنا وسوط عثمان وأنت حَبيسُ رسول الله ﷺ أمرك أن تَقرّ فى بيتك فجئت تَضر بين الناس بعضهم ببعض ؟ قالت : وهل أحد يقاتلنى أو تقول غير هذا ؟ قلنا : نعم . قالت : ومن يفعل ذلك ؟ أزنيم بنى عامر ؟ . ثم قالت : هل أنت مبلغ عنى يا عِمران ؟ قال : لا ، لست مبلغاً عنك خيراً ولا شرًّا . فقلت : لكنّي مبلغ عنك ، فهاتى ما شئت . قالت : اللهم اقتل مُذمَّماً — تعنى محمد بن أبى بكر — قصاصاً بعثمان ، وارم الأشتر بسهم من سهامك لا يشْوَى وأرْدِ [1] عماراً بحفرته فى عثمان

﴿ بين زياد والحكم بن عمرو ﴾

حدثنا يزيد بن هرون قال : أخبرنا هِشام بن حسان ، عن الحسن أن زياداً بعث الحكَم بن عمرو على خراسان فأصاب مغنما ، فكتب إليه زياد : إن أمير المؤمنين مُعاوية كتب إلىّ يأمرنى أن أصطفى له كل صفراء وبيضاء ، فإذا أتاك كتابى هذا فانظر ما كان من ذهب وفضة فلا تقسمه واقسم ما سوى ذلك . فكتب إليه الحكم : إنى وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، ووالله لو أن السموات والأرض كانتا رتقاً على عبد فاتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجا والسلام

ثم أمر المنادى فنادى فى الناس أن : اغدوا على غنائمكم . فغدوا فقسمها بينهم

وقال خالدُ بنُ صَفْوانَ : مارأينا أرضاً مثل الأُبُلَّةِ أقرب مسافة ، ولا أطيب نُطفة ، ولا أوطأ مطية ، ولا أربح لتاجر ، ولا أخفى لعابد

﴿ كلام بعض الأعراب ﴾

قال الكِسائى : لقيت أعرابيًّا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف ، والشىء

(١) وارد . في نسخه: وأدرك . وليس للادراك معنى هنا والصحيح ماأثبتناه

بعد الشيء أقرنه بغيره . فقال : تالله ما رأيت رجلا أقدر على كلمة إلى جنب كلمة منها أشبه شيء بها ، وأبعد شيء منها ، منك . ووصف أعرابي رجلا فقال : ذاك والله ممن ينفع سِلمه ، ويتواصف حِلمه ، ولا يُستمرأ ظُلمه . وقال آخر لخصمه : لئن هَملجت إلى الباطل إنك لقطوف إلى الحق

ورأى رَقَبةُ بنُ مَصقَلة العبدى جارية عند العطار فقال له : ما تصنع هذه عندك ؟ قال : أكيل له حناء . قل : أظنك والله تكيل لها كيلا لا يأجرك الله عليه ؟

﴿ كلام عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس ﴾

محمد بن سعيد ، عن ابرهيم بن خويطب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله ابن عباس : إن هذا الأمر الذى نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم ما نرى ، وما أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبراً ، ولسنا نقول ليت الحرب عادت ، ولكننا نقول ليتها لم تكن كانت ، فانظر فيما بقى بغير ما مضى فانك رأس هذا الأمر بعد علىّ ، وإنما هو أمير مطاع ومأمور مُطيع ، ومشاور مأمون ، وأنت هو

وقال عيسى بنُ طَلْحة لِعُرْوة بنِ الزُّبير حين ابتُلى برجله فقطعها : يا أبا عبد الله ذهب أهونك علينا ، وبقى أكثرك لنا

قال أبو الحسن : خطب الحجاج يوم جمعة فأطال الخطبة فقال رجل : إن الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعذرك ؟ فحبسه فأتاه أهل الرجل وكلموه فيه وقالوا : إنه مجنون . فقال : إن أقر بالجنون خليتُ سبيله . فقيل له : أقر بالجنون . قال : لا والله ، لا أزعم أنه ابتلانى وقد عافانى

﴿ وصف الإبل ﴾

قالت ام هاشم السلولية : ما ذكر الناس مذكوراً خيراً من الإبل أحناه على أحد بخير ، إن حملت أثقلت ، وإن مَشت أبعدت ، وإن نُحرت أشبعت ، وإن حُلبت أروت

﴿ كتاب الحسن بن على إلى زياد ورد زياد عليه ﴾

حدثنى سليمان بن أحمد الخرشى قال : حدثنى عبد الله بن محمد بن حبيب قال : طلب زياد رجلا كان فى الأمان الذى سأله الحسن بن على لأصحابه ، فكتب فيه الحسن رضى الله تعالى عنه إلى زياد

من الحسن بن على إلى زياد : أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا لأصحابنا ، وقد ذكر لى فلان أنك عرضت له فأحب أن لا تعرض له إلا بخير

فلما أتاه الكتاب ، ولم ينسب الحسن إلى أبى سفيان ، غضب فكتب

من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن : أما بعد أتانى كتابك فى فاسق يؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك . وأيم الله لأطلبنهم ولو بين جلدك ولحمك . وإن أحب لحم إلىّ آكله للحم أنت منه

﴿ كتاب معاوية إلى زياد ﴾

فلما وصل الكتاب الحسن وجّه به إلى معاوية فلما قرأه معاوية غضب وكتب

من معاوية بن أبى سفيان إلى زياد بن أبى سفيان : أما بعد فإن لك رأيين : رأياً من أبى سفيان ورأياً من سمية ، فأما رأيك من أبى سفيان فحلم وحزم ، وأما رأيك من سمية فكما يكون رأى مثلها . وقد كتب إلىّ الحسن بن على أنك عرضت لصاحبه ، فلا تعرض له ، فإنى لم أجعل لك إليه سبيلا . وإن الحسن بن على ممن لا يرمى به الرجوان . والعجب من كتابك إليه لا تنسبه إلى أبيه ، أفإلى أمه وكلته وهو ابن فاطمة بنت محمد ﷺ ؟ فالآن حين اخترت له والسلام

﴿ خطبة مصعب بن الزبير ﴾

قدم مصعب بن الزبير العراق فصعد المنبر ثم قال :

بسم الله الرحمن الرحيم « طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الْأَرْضِ وجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ويَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ » وأشار بيده نحو الشام « ونُرِيد أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ

اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » وأشار بيده نحو الحجاز « وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ » وأشار بيده نحو العراق

وكتب محمد بن كعب « القرظى » فقيل له : والأنصارى . قال : أكره أن أمن على الله بما لم أفعل

﴿ عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس ﴾

وقام عمرو بن العاص بالموسم فأطرى مُعاوية وبنى أمية وتناول بنى هاشم ثم ذكر مشاهده بصِفِّين فقال ابن عباس : يا عمرو إنك بعت دينك من معاوية فأعطيته ما فى يدك ومنّاك ما فى يد غيره ، فكان الذى أخذ منك فوق الذى أعطاك ، وكان الذى أخذت منه دون ما أعطيته ، وكلٌّ راضٍ بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصر فى يدك تتبعك فيها بالعزل والتنقُّص حتى لو أن نفسك فيها ألقيتها إليه . وذكرت مشاهدك بصِفِّين فما ثَقُلَتْ علينا يوم وطأتُك ، ولا نكأتنا فيها حربك ، وإن كنتَ فيها لطويل اللسان قصير السنان ، آخر الحرب إذا أقبلَتْ ، وأولها إذا أدبرَتْ ، لك يدان : يد لا تبسطها إلى خير ، ويد لا تقبضها عن شر . ووجهان : وجه مؤنس ووجه موحش . ولعمرى إن من باع دينه بدنيا غيره لحرىٌّ أن يطول حزنه على ما باع واشترى . لك بيان وفيك خَطَل ، ولك رأى وفيك نكد ، ولك قَدر وفيك حَسد ، فأصغر عيب فيك أعظم عيب فى غيرك . فقال عمرو : أما والله ما فى قريش أحد أثقل وطأة علىَّ منك ، ولا لأحد من قريش قَدر عندى مثل قَدرك

﴿ كلام عمرو بن عتبة ﴾

ورأى عَمْرو بن عُتبة بن أبى سفيان رجلا يشتم رجلا ، وآخر يسمع منه ، فقال للمستمع : نزه سمعك عن استماع الخَنا كما تنزه لسانك عن الكلام به ، فإن السامع شريك القائل ، وإنما نظر إلى شر ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ، ولو رُدَّت كلمةُ جاهل فى فيه لسعد رادُّها كما شَقِىَ قائلها

﴿ خصمان عند زياد ﴾

عوانة قال : اختصم إلى زياد رجلان فى حق كان لأحدهما على الآخر ؛ فقال المدعى : أيها الامير ، إنه ليسطو على بخاصة ذكر أنها له منك . فقال زياد : صدق وسأخبرك بمنفعتها له ، إن يكن الحق له عليك أخذتك به ، وإن يكن لك عليه حكمت عليه ثم قضيت عنه

﴿ تأبين عائشة لأبى بكر الصديق ﴾

ولما توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه قامت عائشة رضى الله تعالى عنها على قبره فقالت : نضّر الله وجهك، وشكر لك صالحَ سَعْيِك ، فلقد كنت للدنيا مُذِلاً بإدبارك عنها ، وللآخرة مُعِزًّا بإقبالك عليها ، وإن كان لأجل الأرزاء بعد رسول الله ﷺ رزؤك ، وأكبر المصائب فقدك ، وإن كتاب الله ليعِد بجميل العزاء [فيك] حسن العوض منك ، فأنتجز من الله موعده فيك بالصبر عنك ، وأستخلصه بالاستغفار لك

﴿ تأبين الأحنف بن قيس ﴾

وقامت فَرغانة بنت أوس بن حَجَر على قبر الأحنف بن قيس وهى على راحلة فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، [رحمك الله] أبا بحر من مِجَنٍّ فى جَنَنْ ، ومُدْرَجٍ فى كفن ، فوالذى ابتلانى بفقدك ، وبلّغنا يوم موتك ؛ لقد عشت حميداً ، ومتّ فقيداً ؛ ولقد كنت عظيم الحلم ، فاضل السلم ، رفيع العماد ، وارى الزناد ، منيع الحريم ، سليم الاديم ؛ وإن كنت فى المحافل لشريفاً ، وعلى الأرامل لعطوفا ، ومن الناس لقريبا ، وفيهم لغريبا ؛ وإن كنت لمسوَّداً ، وإلى الخلفاء لموَفّداً ؛ وإن كانوا لقولك لمستمعين ، ولرأيك لمتبعين . ثم انصرفت

﴿ وصف عمرو بن العاص لمعاوية ﴾

أبو الحسن قال : قال عمرو بن العاص : مارأيت معاوية قط متكئا على يساره واضعا احدى رجليه على الاخرى ، كاسراً إحدَى عينيه ، يقول للذى يكلمه : ياهناه ، إلا رحمت الذى يكلمه

﴿ كلام لعمر بن الخطاب ﴾

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كونوا أوعية الكتاب ، وينابيع العلم ، وسلوا الله رزق يوم بيوم ، ولا يضيركم أن لا يكثر لكم

﴿ بين معاوية وعائشة ﴾

وكتب معاوية إلى عائشة أن أكتبي الىَّ بشيء سمعتيه من أبي القاسم ﷺ فكتبت إليه : سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : من عمل بما يُسخط الله عاد حامده من الناس له ذامًّا

﴿ وصية عالم لابنه ﴾

أوصى بعض العلماء ابنه فقال : أوصيك بتقوى الله ، وليسعك بيتك ، وأملك عليك لسانك ، وأبك على خطيئتك

﴿ فضل الشورى ﴾

بكر بن أبي بكر القرشي قال : قال أعرابي : ما غُبنت قط حتى يُغبن قومي . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أفعل شيئا حتى أُشاورهم . قيل لرجل من عبس ما أكثر صوابكم ! قال : نحن ألف رجل ، وفينا حازم ونحن نطيعه ، فكأننا ألف حازم

﴿ الحجاج أول بحر لنوع من السفن ، وأول صانع للمحامل ﴾

قال أبو الحسن : أول من أجرى في البحر السفن المُقيّرة المسمَّرة ، غير المخرزة والمدهونة ، وغير ذوات الجآجئ ، وكان أول من عمل المحامل الحجاج . قال بعض رجاز الأكرياء :

أوَّلُ عَبْدٍ عَمِلَ المَحامِلاَ ... أخْزَاهُ رَبِّى عاجِلاً وآجِلا

وقال آخر :

شَيَّبَ أصْدَاغِى وهُنَّ بِيضُ ... مَحامِلُ لِقَـدِّها نَقِيضُ

﴿ كلام بعض الاعراب ﴾

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : لو تنحل رجل أخا شقيقاً لم يأمن أن يبدو منه مايبدو من الثوب ذى الخرق ، فرحم الله رجلا أغضى على الاقذاء

واستمتع بالظاهر . وقال الاصمعى : سمعت بعض الاعراب يقول : من ولد الخير أنتج له فِراخا تطير بالسرور ، ومن ولد الشر أنبت له نباتاً مرًّا مذاقه ، قضبانه الغيظ ، وثمره الندم وأنشد النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ (١) :

يُحِبُّ بَقَائِيَ المُشْفِقُونَ وَمُدَّتِي ... إلى أجَلٍ لَوْ يَعْلَمُونَ قَرِيبِ

وَمَا أَرَبِي فِي أَرْذَلِ العُمْرِ بَعْدَمَا ... لَبِسْتُ شَبَابِي قَبْلَهُ وَمَشِيبِي

وأنشد ابنُ الأَعرابى (٢) :

---

(١) النضر بن شميل المازنى النحوى البصرى كان عالماً ثقة صاحب غريب وفقه ومعرفة بأيام الناس ، وكان شاعراً محدثاً ، أخذ عن الخليل بن أحمد وأقام في البادية أربعين سنة ، وله في رواية الأثر والسنن والأخبار منزلة . ضاقت به المعيشة في البصرة فأراد الخروج إلى خراسان فشيعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محدث ، أو نحوى ، أو لغوى ، أو عروضى ، أو إخبارى ، فلما صار بالمربد جلس وقال : يا أهل البصرة ، يعز على فراقكم ، والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما فارقتكم . ثم أتى خراسان وأفاد بها مالا عظيماً . قال النضر : كنت أدخل على المأمون ـ حينما كان مقيماً بمرو ـ فجرى الحديث فقال : حدثنا هشيم عن خالد عن الشعبى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز . فقلت : صدق ياأمير المؤمنين هشيم ، حدثنا عوف بن أبى جميلة عن الحسن عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز . قال : وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : يا نضر ، كيف قلت سداد ؟ قلت : لأن السداد ههنا لحن . قال : أو تلحننى ؟ قلت : إنما لحن هشيم وكان لحانة . قال : فما الفرق بينهما ؟ قلت السداد بالفتح : القصد فى الدين والسبيل ، والسداد بالكسر : البلغة ، وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد الخ . توفى سنة ٢٠٤ هـ ٨١٩ م

(٢) ابن الاعرابى : هو أبو عبد الله محمد بن زياد ، كان مولى لبنى هاشم وكان أبوه عبداً سندياً ، كان نحوياً كوفياً راوية ناسباً لغوياً ثقة ، أخذ عن المفضل الضبى وأبى معاوية الضرير والقاسم بن معن المسعودى والكسائى ، وأخذ عنه ابرهيم الحربى وأبو العباس ثعلب وابن السكيت وغيرهم ، وكان رأساً فى غريب اللغة ناقش العلماء واستدرك عليهم وخطأ كثيراً من نقلة اللغة ، وكان يزعم أن أبا عبيدة والأصمعى لا يحسنان شيئا . وكان يحضر مجلسه خلق كثير من المستفيدين ويملى عليهم ، وكان واسع المحفوظ ،

يا ابْنَ الزَّبير جَزَاكَ اللهُ لائِمَةً ... هلاَّ انْتَهَيْتُمْ وفي الأَقْوَالِ تَعْتِيبُ

تنزُو لِتُدْرِكَ مِنْ كَعْبٍ غَطارِفَةً ... لا تَسْتَوِي بُسْرَةُ العُرْجُونِ والطِّيب

كما تَرَى فَرْخَ عُشٍّ لا حِرَاكَ بِهِ ... وفَوْقَهُ مِنْ نُسَالِ الرِّيشِ تَزْغِيبُ

مَا فِيكُمُ قَدْ عَلِمْنَا مِنْ مُحافَظَةٍ ... يَوْمَ الْحِفاظِ ولا خَبِيرًا لِمَنْكُوبِ

وأَنْتُمُ تَحْتَ أَرْوَاقِ الْبُيُوتِ إِذا ... هَبَّتْ شَآمِيَةٌ دُرْنٌ طَحَارِيبُ

أَنْتُمْ مَنَاخُ الْخَنَا قُبْحًا لِخَلَّتِكُمْ ... فَكُلُّكُمْ يَا بَنِي الْبَلْقَاءِ مَقْشُوبُ (١)

فِي ذِمَّتِي أَنْ تَضِجُّوا مِنْ مُصَادَمَتِي ... كَمَا تَضِجُّ مِنَ الْحَرِّ الْجَنَادِيبُ

مَا بَيْنَ أَدْبَسَ نَتَّاجٍ لَهُ دَفَرٌ ... ومُقْصَدِ الْقَلْبِ ذِي سِنٍّ مَعْصُوبُ (٢)

خَالِي سَمَاعَةُ فَاعْلَمْ لا خَفَاءَ بِهِ ... لَقَدْ هَوَى بِكَ يَا دَفْنَ شُنْخُوبُ (٣)

صَعْبٌ مَنَاكِبُهُ تَعْيَا الْكُمَاةُ بِهِ ... خَوْفًا وتَصْطَادُهُمْ مِنْهُ كَلاَلِيبُ

وأنشد ابن المعذَّل (٤)

قال أبو العباس ثعلب : شاهدت مجلس ابن الأعرابي بضعة عشرة سنة وكان يحضره زهاء مائة إنسان وكان يسئل ويقرأ عليه فيجيب من غير كتاب ، ولم أر بيده كتابا قط ، ولقد املى على الناس ما يحمل على اجمال ولم ير أحد فى علم الشعر أغزر منه . وله تصانيف عدة . كان مولده سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧ م وتوفي سنة ٢٣١ هـ ٨٤٥ م

(١) مقشوب هنا بمعنى مذموم (٢) أدبس: أسود . الدفر : الريح الخبيثة . المقصد : المصاب . المعصوب : السغب (٣) في نسخة: شخوب ولا معنى لها هنا ،والشنخوب رأس الجبل

(٤) ابن المعذل : هو أحمد بن المعذل ، كان شاعراً متعففا ذا دين ومروءة ، وكان متقدما عند المعتزلة ذا جاه واسع وحرمة عند سلطانه ، وكان أخوه عبد الصمد شاعراً هجاء خبيث اللسان كثير الحسد لأخيه أحمد هجاء له وكان أحمد يحلم عليه . كتب أحمد إلى أخيه عبد الصمد يقول : إنى أرى المكروه من حيث يرتجى المحبوب ، وقد شمل عرك وعم أذاك ، وصرت فيك كأبي الابن العاق ، إن عاش نغصه ، وإن مات نقصه ، وقد خشنت بقلب جيبه لك ناصح ، والسلام . فرد عليه عبد الصمد :

أطاع الفريضة والسنه ... فتاه على الانس والجنه

كأن لنا النار من دونه ... وأفرده الله بالجنه

وينظر نحوى إذا زرته ... بعين حماة إلى كنه

تواعدَ للبَيْنِ الخليطُ ليَنْبَتُّوا ... وقالوا لِرَاعِي الظَّهْرِ مَوْعِدُكَ السَّبْتُ
فَفَاجَأَنِي بَغْتاً ولَمْ أَخْشَ بَيْنَهُمْ ... وأَفْظَعُ شَيْءٍ حِينَ يَفْجَؤُكَ البَغْتُ
مَضَى لِسُلَيْمَى مُنْذُ مَالَمْ أُلاَقِهَا ... سنُونٌ تَوَالَتْ بَيْنَنَا خَمْسٌ أَوْسِتُّ
وفي النَّفْسِ حاجاتٌ إِلَيْكُمْ كَثِيرَةٌ ... بِرُبَّانِهَا فِي الحَيِّ لَوْ اخَّرَ الوَقْتُ
تَأَيَّمْتُ حتى لاَمَنِي كلُّ صَاحِبٍ ... رَجَاءَ سُلَيْمَى أَنْ تَئِيمَ كَمَا إِمْتُ (١)
أَئِنْ بِعْتُ حَظِّي مِنْكِ يوْماً بِغَيْرِهِ ... لَبِئْسَ إِذًا يَوْمَ التَّغَابُنِ مَا بِعْتُ
تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَعَهْدُهُمْ ... بِأَنْ يَتَمَنَّوْا لَوْ حَيِيتِ إِذَا مِتُّ
وقَدْ عَلِمُوا عِنْدَ الحَقَائِقِ أَنَّنِي ... أَخُو ثِقَةٍ مَا إِنْ وَنِيتُ وَلا إِنْتُ (٢)
وإِنِّي وقَدْ سَيَّرْتُ نَبْلِي وإِنَّنِي ... كَأَنِّي وقَدْ وَقَّعْتُ أَنْصَالَهَا رِشْتُ

وقال أحمد بن المُعَذَّل : أنشدنى أعرابى من طى :

ولَسْتُ بِمَيَّالٍ إلى جَانِبِ الغِنَى ... إذا كانتِ العَلْيَاءُ فى جانِبِ الفَقْرِ
وإِنِّى لَصَبَّارٌ على ما يَنُوبُنِي ... وحَسْبُكَ أَنَّ اللهَ أَثْنَى على الصَّبْرِ

﴿ خطبة للحجاج ﴾

حدثنى محمد بن يحيى بن على ، عن عبد الحميد ، عن عبد الله بن أبى عُبيدة ابن محمد بن عَمَّار بن ياسر قال : خرج الحجاج بريد العراق واليًا عليها فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار — وقد كان بِشْرُ ابنُ مَرْوان بعث المهلب إلى الحرورية — فبدأ الحجاجُ بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال : علىّ بالناس . فحسبوه وأصحابَهُ خوارج فهمّوا به ، حتى إذا اجتمع الناس فى المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال :

أنا ابْنُ جَلاَ وطَلاَّعُ الثَّنايا ... مَتَى أَضَعُ العِمامَةَ تَعْرِفُونى

وقال أحمد فى عبد الصمد :

قال لى أنت أخو الكلب وفي ... ظنه أن قد هجانى واجتهد
أحمد الله تعالى إنه ... ما درى أنى أخو عبد الصمد

(١) تئيم : فى نسخة : تئم ، وهو غلط والصواب ما أثبتناه (٢) إنت : تريثت

أما والله إني لأحتمل الشر بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله . وإني لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها ، وإني لصاحبها . وإني لأنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى: قد شمرت عن ساقها فشمر

ثم قال :

هذا أوان الشد فاشتدي زيم ... قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ... ولا بجزار على ظهر وضم

وقال أيضا

قد لفها الليل بعصلبي ... أروع خراج من الدوي

مهاجر ليس بأعرابي

إني والله يا أهل العراق ، والشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، ما أغمز تغماز التين ، ولا يقعقع لي بالشنان . ولقد فررت عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وجربت من الغاية . إن أمير المؤمنين كب كنانته ، ثم عجم عيدانها ، فوجدني أمرها عوداً وأصلبها عموداً ، فوجهني إليكم . فانكم طالما أوضعتم في الفتن ، واضطجعتم في مراقد الضلال ، وسننتم سنن الغي . أما والله لأحوزنكم حوز المعصا ، ولأعصبنكم عصب السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الابل . فإنكم لكأهل « قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » إني والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أهم إلا أمضيت ، ولا أخلق إلا فريت ، فإياي وهذه الجماعات ، وقال وقيل وما تقول ، وفيم أنتم وذاك . أما والله لتستقيمن على طريق الحق أولأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده . من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه وأنهبت ماله

ثم دخل منزله

﴿ كتاب الحجاج إلى قطري ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الحسن قال : كتب الحجاج بن يوسف إلى قطري بن الفجاءة :

سلام عليك ، أما بعد فانك مرقت من الدين مُروق السهم من الرمية . قد علمت حيث نجرثمت ذلك أنك عاص لله ولولاة أمره ، غير أنك أعرابى جِلف أمى تستطعم الكِسرة ، وتشتفى بالتمرة ، والأمور عليك حسرة . خرجت لتنال شبعة فلحق به طَغامٌ صلوا بمثل ما صُليت به من العيش ، يهزون الرماح ، ويستنشون الرياح ، على خوف وجهد من أمورهم . وما أصبحوا ينتظرون أعظم مما جهلوا معرفته . ثم أهلكهم الله بنزحتين والسلام

﴿ جواب قطرى بن الفجاءة ﴾

فأجابه قَطَرِىُّ بنُ الفُجَاءَةِ

من قطرى بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف : سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله ويرهبون نِقمه . فالحمد لله على ما أظهر من دينه ، وأظلع به أهل السفالة ، وهدَى به من الضلالة ، ونصر به عند استخفافك بحقه . كتبتَ إلىَّ تذكر أنى أعرابى جِلف أمِّىٌّ أستطعم الكسرة واشتفى بالتمرة . ولعمرى يا ابن أم الحجاج إنك لميت فى جبنك ، مُطْلَخِمٌّ فى طريقتك واهٍ فى وثيقتك ، لا تعرف الله ، ولا تجزع من خطيئتك . يئست واستيأست من ربك : فالشيطان قرينك لا تجاذبه وثاقك ، ولا تنازعة خناقك . فالحمد لله الذى لو شاء أبرز لى صفحتك ، وأوضح لى طلعتك . فوالذى نفس قَطَرِى بيده لعرفت أن مقارعة الأبطال ليست كتصدير المقال ، مع أنى أرجو أن يدحض الله حجتك ، وأن يمحنى مهجتك

﴿ بين معاوية وعدى بن حاتم ﴾

خالد بن يزيد الطائى . قال : كتب معاوية إلى عدىّ بن حاتم : حاجيتُك مالا يُنسى . يعنى قتل عثمان . فذهب عدىّ بالكتاب إلى علىّ فقال : ان المرأة لاتنسى قاتل بِكرها ولا أبا عذرها . فكتبَ اليه عدىّ : إن ذلك منى كليلة شَيْبَاء .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ياغلام ارفع ذلك النشيل . يعنى روثا . وقيل له : أين خرج هذا الحِبْنُ[1] ؟ قال : تحت منكبى .

(١) الحبن : الدمل

وقيل لقُتَيْبَةَ : أين خرج بك هذا الخَرَاجُ ؟ قال : بين الرانفة والصَّفَنة .

وقيل لِرَقَبَةَ : ما بال القرّاء أشد شيء نَهِمةً وظُلمةً ؟ قال : أما الظُّلمة فانهم لا يزنون ، وأما النهمة فلأنهم يصومون . وعرض عليه رجل الغداء فقال له : يا هذا إن أقسمت عليّ وإلا فدعني .

وقال مُورِّق العجلي : ما تكلمت بكلمة في الغضب أندم عليها في الرضا ، وقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة فما أجابني ولا يئست منها ، ولا أتكلم إلا فيما يعنيني . قيل مكتوب في حكمة داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالما بأهل زمانه ، مالكا للسانه ، مقبلا على شأنه . ولما قدم الفرزدق الشام قال له جرير ـ وكان هناك ـ : ما ظننت أنك تقدم بلداً أنا فيه . قال الفرزدق : إني طالما خالفت رأي العَجَزَة . وقال يونس بن حبيب : إذا قالوا غلب الشاعر فهو الغالب ، وإذا قالوا مغلَّبٌ فهو المغلوب . قال امرؤ القيس :

وإنَّكَ لمْ يَفْخَرْ عليْكَ كَعاجِزٍ ضَعِيفٍ ولمْ يَغْلِبْكَ مِثْلَ مُغَلَّبِ

وقال بعضهم :

إنِّي امْرُؤٌ يَنْفَعُ قَوْمِي مَشْهَدِي أَذُبُّ عَنْهُمْ بلساني ويَدِي

وقال قتيبة بن مسلم : إذا غزوتم فأطيلوا الأظفار ، وقصروا الشعور .

ونظر مخنثٌ إلى شيخ قبيح الوجه في الطريق فقال : ألم ينهكم سليمان بن داود عليهما السلام عن الخروج بالنهار ؟

وعزى أعرابي نائما فقال : يرحم الله فلاناً ، لقد كان كثير الإهالة ، دسم الاشداق . وقال الشاعر :

تَرَى وَدَكَ السَّدِيفِ على لِحاهُمْ كَوَنْنِ الرَّاءِ لَبَّدَهُ الصَّقِيعُ

وقال أعرابي : رحم الله فلاناً ، إن كان لضخم الكاهل . ثم جلس وسكت . وقال آخر : كان والله نقي الأظفار ، قليل الأسرار . وسارّ رجلٌ أعرابيا بحديث فقال : أفهمت ؟ قال : بل نسيت

﴿ هجاء وائلة السدوسي لعبد الملك بن المهلب ﴾

قال وائلة بن خليفة السدوسي يهجو عبد الملك بن المهلب :

لَقَدْ صَبَرَتْ لِلذُّلِّ أَعْوَادُ مِنْبَرٍ ... تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ
بَكَى المِنْبَرُ الغَرْبِيُّ إِذْ قُمْتَ فَوْقَهُ ... وَكَادَتْ مَسَامِيرُ الحَدِيدِ تَذُوبُ
رَأَيْنَكَ لَمَّا شِبْتَ أَدْرَكَكَ الَّذِي ... يُصِيبُ سَرَاةَ الأَزْدِحِينَ تَشِيبُ
سَفَاهَةُ أَحْلَامٍ وَبُخْلٌ بِنَائِلٍ ... وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ المُزُونَ عُيُوبُ
وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ رَسَاتِيقُ فَارِسٍ ... وَبِالمِصْرِ دُورٌ جَمَّةٌ وَدُرُوبُ
إِذَا عُصْبَةٌ ضَجَّتْ مِنَ الجُرْحِ نَاسَبَتْ ... مَزُونِيَّةً إِنَّ النَّسِيبَ نَسِيبُ

﴿ رثاء بشار لعمر بن حفص ﴾

وقال بشار الاعمى فى عمر بن حفص :

مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمْعُهَا مَسْكُوبُ ... حَرِبَتْ فَأَنْتَ بِنَوْمِهَا مَحْرُوبُ
وَكَذَاكَ مَنْ صَحِبَ الحَوَادِثَ لَمْ يَزَلْ ... تَأْتِي عَلَيْهِ سَلَامَةٌ وَنُكُوبُ
يَا أَرْضُ وَيْحَكِ أَكْرِمِيهِ فَإِنَّهُ ... لَمْ يَبْقَ لِلْمُتَمَسِّكِيِّ فِيكِ ضَرِيبُ
أَبْهَى عَلَى خَشَبِ المَنَابِرِ قَائِمًا ... يَوْمًا وَأَحْزَمُ إِنْ تَشِبَّ حُرُوبُ
إِنَّ الرَّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا ... يَوْمَ ابْنُ حَفْصٍ فِي الدِّمَاءِ خَضِيبُ
لَا يَسْتَجِيبُ وَلَا يَجِيرُ لِسَانُهُ ... وَلَقَدْ يَجِيرُ لِسَانُهُ وَيُجِيبُ
غُلِبَ العَزَاءُ عَلَى ابْنِ حَفْصٍ وَالأَسَى ... إِنَّ العَزَاءَ بِمِثْلِهِ مَغْلُوبُ
إِذْ قِيلَ أَصْبَحَ فِي المَقَابِرِ ثَاوِيًا ... عُمَرٌ وَشُقَّ لِوَاؤُهُ المَنْصُوبُ
فَظَلَلْتُ أَنْدُبُ سَيْفَ آلِ مُحَمَّدٍ ... عُمَرًا وَعَزَّ هُنَالِكَ المَنْدُوبُ
فَعَلَيْكَ يَا عُمَرُ السَّلَامُ فَإِنَّنَا ... بَاكُوكَ مَا هَبَّتْ صَبًا وَجَنُوبُ

قال اسمعيل بن غزوان : الأصوات الحسنة والعقول الحسان كثيرة ، والبيان الجيد والجمال البارع قليل .

وذكر أبو الحارث صاحبَ مسجد ابن رَغبان فقال : إن حدثته سابَّك إلى ذلك الحديث ، وإن سكت عنه أخذ فى الترهات .

وقال أبو وهب : أنا أستثقل الكلام كما يستثقل حُرَيث السكوت . كما قال

ابن شُبرمة لاياس بن معاوية : شكلى وشكلك لا يتفقان :أنت لا تشتهى أن تسكت وأنا لا أشتهى أن أسمع .

وقال أبو مُقبل بن درست : إذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل فى منطقه ، وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه

وقال ابن بشار البرقى : كان عندنا واحد يتكلم فى البلاغة فسمعته يقول : لو كنت أنا ليس أنا وأنا ابن من أنا منه ، لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه ، فكيف وأنا أنا وابن من أنا منه ؟

وقالوا : ثلاث يسرع اليهن الخلَف : الحريق ، والتزويج ، والحج

قال المهلب : ليس شئ أنمى من بقية السيف . فوجد الناس تصديق قوله فيما نال ولده من السيف وصار فيهم من النماء

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه : بقية السيف أنمى عدداً ، وأكثر ولداً . ووجد الناس ذلك بالعيان للذى صار اليه ولده من نهك السيف ، وكثرة الذرء ، وكرم النجل

قال الله تبارك وتعالى « ولكُمْ فى القِصَاصِ حَيَاةٌ يا أُولِى الأَلْبابِ » وقال بعض الحكماء: قَتلُ البعض إحياء للجميع .وقال هَمَّام الرَّقاشى :

أَبْلِغْ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّى مُغَلْغَلَةً ... وفى العِتَابِ حَيَاةٌ بينَ أَقْوَام

قَدَّمْتَ قَبْلِى رِجالاً لم يَكُنْ لهُمُ ... فى الحَقِّ أَنْ يَلِجُوا الأَبْوَابَ قُدَّامى

لو عُدَّ قَبْرٌ وقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ ... قبراً وأَبْعَدَهُمْ من مَنْزِلِ الذَّامِ

حتى جَعَلْتُ إذا ما حاجَةٌ عَرَضَتْ ... بِبابِ قَصْرِكَ أَدْلُوهَا بأَقْوَامِ

﴿ الحجاج وامرأة خارجية ﴾

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج : والله لأعدنكم عدًّا ، ولأحصدنكم حصداً . فقالت : أنت تحصد والله يزرع ، فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق

ولم يظهر من عدد القتلى مثل الذى ظهر فى آل أبى طالب وآل الزُّبير وآل المهلب . وقال الشاعر فى آل الزبير :

آلُ الزُّبَيْرِ بَنُو حَـرْبَةٍ مَرَوْا بالسُّيُوفِ صُدُوراً حِنَاقَا
يَمُوتُونَ والقَتْلُ دَأْبٌ لَهُـمْ يُغِيثُونَ يَوْمَ السِّبَاقِ السِّبَاقَا
إذا فَرَّجَ القَتْلُ مِنْ عِيصِهِمْ أَبَى ذلِكَ العِيصُ إلَّا اتِّفَاقَا(٤)

احترقت دار ثمامة فقالوا له : ما أسرع خلف الحريق ؟ قال : فأنا أستحرق الله . وقال ثمامة : سمعت قاصًّا بعَبادان يقول فى دعائه : اللهم ارزقنا الشهادة وجميع المسلمين . قال وتساقط الذبان على وجهه فقال : الله أكبر كثر الله بكم القبور . قال : وسمع أعرابى رجلا يقرأ سورة براءة فقال : ينبغى أن يكون هذا آخر القرآن . قيل له : ولم ؟ قال : رأيت عهوداً تنبذ . وقال أبو عبد العزيز : قال الغزال القاص فى قصصه : ليت الله لم يكن خلقنى وأنا الساعة أعور ؟ فحكيت ذلك لأبى عتاب الجزار . فقال أبو عتاب : بئس ما قال ، وددت والله الذى لا إله إلا هو أن الله لم يكن خلقنى وأنى الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين .

﴿ عمر والزبرقان والحطيئة ﴾

ولما استعدى الزِّبرقان على الحطيئة فأمر عمرُ بقطع لسانه . قال الزِّبرقان : نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تقطعه ، فإن كنت لا بد فاعلا فلا تقطعه فى بيت الزِّبرقان . قيل له : إنه لم يذهب هنك ، إنما أراد أن يقطع لسانه عنك برغبة أو رهبة

﴿ من كلام العرب ﴾

وتقول العرب : قتلت أرضٌ جاهلَها وقتل أرضاً عالمُها . وتقول : ذبحنى العطش . و : المسك الذبيح . و : ركب بنو فلان الفلاة فقطع العطشُ أعناقهم . وتقول العرب : فلان لسان القوم ونابُهم الذى يفترُّون عنه . و : هؤلاء أنف القوم وخراطيمهم . و : بيان لسان الأرض يوم القيامة . و : فلان اصطلمه الوادى . و : فلان عين البلد

قال الأصمعى : قال رجل لأبى عمرو بن العلاء : أكرمك الله قال : مُحدَثة . قال : وكان أبو عَون يقول : كيف أنت أصلحك الله

وكان الأصمعى يقول : قولهم : جعلت فداك . و : جعلنى الله فداك . محدث وقد روى علماء البصريين أن الحسن لما سمع صُراخاً فى جنازة أم عَبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فالتفت قال له عبد الأعلى : جعلت فداك ، لا والله ما أمرت ولا شعرت . قال الأصمعى : صلى أعرابىّ فأطال الصلاة وإلى جانبه ناس فقالوا: ما أحسن صلاته ! قال : وأنا مع هذا صائم . قال الشاعر :

صلَّى فأعْجَبَنِي وصَامَ فَرَابَنِي عَدُّ القَلوصَ عَنِ المُصلِّى الصَّائِمِ

وقال طاهر بن الحسين لأبى عبد الله المَرْوَزِى : منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلت العراق منذ عشرين سنة ، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة . قال : يا أبا عبد الله ، سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين ؟

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال عوانة : قال زياد بن أبيه : من سعادة الرجل أن يطول عمره ، ويرى فى عدوه ما يسره . قال الباهلى : قيل لاعرابى : ما بال المرائى أجود أشعاركم ؟ قال : لأنا نقول وأكبادنا تحترق . قال أبو الحسن : كانت بنو أمية لا تقبل الراوية إلا أن يكون راوية المرائى قيل: ولم ذاك ؟ قال : لانها تدل على مكارم الاخلاق

﴿ عمر والشعر ﴾

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : من خير صناعات العرب الابيات يقدّمها الرجل بين يدى حاجته يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم

وقال شُعبة : كان سماك بن حرب إذا كان له إلى الوالى حاجة قال فيه أبياتاً ثم يسأله حاجته

﴿ لص ينطق بالحكمة ﴾

قال أبو الحسن: كان شِظاظ لصّاً فأغار على قوم من العرب فطرد نعمهم فساقها ليلته حتى أصبح ، فقال رجل من أصحابه : لقد أصبحنا على قصد من طريقنا ! قال : إن المحسن مُعان

﴿ عبد الملك بن مروان وتعقله ﴾

وقال أبو الحسن : أزبى غلامٌ من بنى على على عبد الملك — وعبد الملك

يومئذ غلام — فقال له كهل من كهولهم — لما رآه ممسكا عن جواب المربي عليه — لو شكوته إلى عمه انتقم لك منه . قال : أمسك يا كهل ، فإني لا أعد انتقام غيري انتقاماً . قال أبو الحسن : خاض جلساء عبد الملك يوماً في قتل عثمان فقال رجل منهم : يا أمير المؤمنين ، في أي سنك كنت يومئذ ؟ قال : كنت دون المحتلم . قال : فما بلغ من حزنك عليه ؟ قال : شغلني الغضب له عن الحزن عليه

وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إذا اشترى رقيقاً قال : اللهم ارزقني أنصحهم حياء وأطولهم عمراً . وكان إذا استعمل رجلا قال : إن العمل كبير فانظر كيف تخرج منه ؟

﴿ الكرخي المتفقه ﴾

ومضى أبو عبد الله الكرخي إلى الربض فجلس على بابه ونفش لحيته وادعى الفقه ، فوقف عليه رجل فقال له : إني أدخلت إصبعي في أنفي فخرج عليها دم . فقال : احتجم . قال : جلست طبيباً أو فقيهاً ؟ قالوا : بينا الشعبي جالس في مجلسه وأصحابه يناظرونه في الفقه وإذا شيخ بقربة قد أقبل عليه بعد أن طال جلوسه فقال له : إني أجد في قفاي حكة أفترى لي أن أحتجم ؟ قال الشعبي : الحمد لله الذي حولنا من الفقه إلى الحجامة . وذكر ناس رجلا بكثرة الصوم وطول الصلاة وشدة الاجتهاد فقال أعرابي كان شاهداً لكلامهم : بئس الرجل هذا ، أيظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب ؟

وقال ابن عون : أدركت ثلاثة يتشددون في السماع وثلاثة يتساهلون في الأغاني : فأما الذين يتساهلون : فالحسن ، والشعبي ، والنخعي . وأما الذين يتشددون فمحمد بن سيرين ، والقاسم بن محمد ، ورجاء حيوة .

وقال رجل من أصحاب ابن لهيعة : ما رأيت أحسن أدباً من عبد الله بن المبارك والمعافى بن عمران : قال أبو الحسن حدثني عبد الأعلى قال : رأيت الطير ماح مؤدباً بالري ، فلم أر أحداً آخذ لعقول الرجال ولا أجذب لأسماعهم إلى حديثه منه . ولقد رأيت الصبيان يخرجون من عنده كأنهم قد جالسوا العلماء

وكان رجل يبلغه كلام الحسن البصرى ، فبينا الرجل يطوف بالبيت إذ سمع رجلا يقول : عجباً لقوم أُمروا بالزاد ، ونودى فيهم بالرحيل ، وحبس أولهم على آخرهم ؟ قال : فقلت فى نفسى : هذا الحسن

قال : وأربعة من قريش كانوا رواة الناس للأشعار ، وعلماءهم بالأنساب والأخبار : مَخرمة بن نَوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف ، وحُويطب بن عبد العزّى ، وعَقيل بن أبى طالب

وكان عقيل أكثرهم ذكراً لمثالب الناس ، فعادوه لذلك ، وقالوا فيه وحمّقوه ، وسمعت ذلك العامة منهم فلا تزال تسمع الرجل يقول : قد سمعت الرجل يُحَمِّقُهُ حتى ألّف بعض الأعداء فيه الأحاديث . فمنها قولهم : ثلاثة حُمقاء كانوا إخوةَ ثلاثةِ عقلاء والأم واحدة : علىّ وعَقيل ، وأمهما فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وعُتبة ومعاوية ابنا أبى سفيان ، وأمهما هند بنت عُتبة بن ربيعة ، وعبد الملك ومعاوية ابنا مروان ، وأمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص . فكيف وُجَعدة بن هبيرة يقول :

أبى من بنى مَخزُوم إن كُنتَ سائِلاً ... ومن هاشِمٍ أُمِّي لخَيرِ قَبيلِ
فَمَن ذا الذى يَبْآى علىَّ بخَالِهِ ... وخالِي علىٌّ ذُو النَّدَي وعَقيلُ

وقال قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مَظعون :

وخالِي بُغاةُ الخَيرِ تَعْلَمُ أنّهُ ... جَديرٌ بِتَوْلِ الحَقِّ لا يَتَوَعَّرُ
وجَدِّى علِيٌّ ذُو التُّقَى وابْنُ أُمِّهِ ... عَقيلٌ وخالِي ذُو الجَناحينِ جَعْفَرُ
فنَحْنُ وُلاةُ الخيرِ فى كلِّ مَوْطِنٍ ... إذا ما وَنَى عنهُ رجالٌ وقَصَّرُوا

وقال حسان :

إنَّ خالِي خَطيبُ جابيَةِ الجَوْ ... لانِ عِنْدَ النُّعْمانِ حِينَ يَقُومُ
وهُوَ الصقْرُ عِنْدَ بابِ ابْنِ سلْمَى ... يَوْمَ نُعْمانَ فى الكُبُولِ سَقيمُ

وسطت نسبي الذ وائب منهم ... كل دار فيها أب لي عظيم
وأبى في سميحة القائل الفا ... صل يوم التفت عليه الخصوم
يفصل القول بالبيان وذو الرأ ... ي من القوم ظالع مكعوم
تلك أفعاله وفعل الزبعرى ... خامل في صديقه مذموم
رب حلم أضاعه عدم المال ... وجهل غطى عليه النعيم
ولى الناس منكم إذ أبيتم ... امرة من بني قصي صميم
وقريش تجول منا لواذا ... أن يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حمله العواتق منهم ... إنما يحمل اللواء النجوم

﴿ عقيل بن أبي طالب ﴾

وكان عقيل رجلا قد كف بصره وله بعد لسانه ونسبه وأدبه وجوابه ، فلما فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها أطول ، وغاضب عليا وأقام بالشام فكان ذلك أيضاً أطلق للسان الباغي والحاسد فيه . وزعموا أنه قال له معاوية : هذا أبو يزيد ، لولا أنه علم أني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه . فقال له عقيل : أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي . وقال له مرة : أنت معنا يا أبا يزيد ؟ قال : ويوم بدر كنت معكم ؟

وقال معاوية يوماً : يا أهل الشام ، هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى في كتابه « تبت يدا أبي لهب وتب » ؟ قالوا : نعم . قال : فإن أبالهب عمه . فقال عقيل : فهل سمعتم قول الله عز وجل « وامرأته حمالة الحطب » قالوا : نعم . قال : فانها عمته . قال معاوية حسبنا ما لقينا من أخيك

وذكروا أن امرأة عقيل وهي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة قالت : يابني هاشم ، لا يحبكم قلبي أبداً . أين أبي ؟ أين عمي ؟ أين أخي ؟ كأن أعناقهم أباريق الفضة ترد أنفسهم قبل شفاههم . قال لها عقيل : إذا دخلت جهنم فخذي على شمالك

وقيل لعمر رضي الله تعالى عنه : فلان لا يعرف الشر . قال : ذلك أجدر أن يقع فيه . وسمع أعرابي رجلا يقرأ : وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري

أعينا جزاء لمن كان كفر . قالها بفتح الكاف ، فقال الاعرابى : لا يكون . فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء فقال الاعرابى : يكون

﴿ تشابيه من الشعر ﴾

قال الشاعر :

بَدَا البَرْقُ مِنْ نَحْوِ الحِجَازِ فَشَاقَنِي ... وكلُّ حِجَازِيٍّ لهُ البَرْقُ شَائِقُ

سَرَى مِثْلَ نَبْضِ العِرْقِ واللَّيْلُ دُونَهُ ... وأعلامُ أبْلَى كلُّها والأَسَالِقُ

وقال الآخر :

أرِقْتُ لِبَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ يَلْمَعُ ... سَرَى دَائِباً فِيها يَهُبُّ ويَهْجَعُ

سَرَى كاحْتِسَاءِ الطَّيْرِ واللَّيْلُ ضَارِبٌ ... بأرْوَاقِهِ والصُّبْحُ قَدْ كادَ يَسْطَعُ

﴿ المنصور والشاب الهاشمى ﴾

حدثنى ابرهيم بن السندى عن أبيه قال : دخل شاب من بنى هاشم على المنصور فسأله عن وفاة أبيه ؛ قال : مرض أبى رضى الله تعالى عنه يوم كذا ، ومات رضى الله تعالى عنه يوم كذا ، وترك رضى الله تعالى عنه من المال كذا ومن الولد كذا . فانتهره الربيع وقال : بين يدى أمير المؤمنين تتوالى بالدعاء لأبيك ؟ فقال الشاب : لا ألومك ، لأنك لم تعرف حلاوة الآباء . قال : فما علمنا أن المنصور ضحك فى مجلسه ضحكا قطّ اقترّ عن نواجذه إلا يومئذ

﴿ آداب الملوك ﴾

وحدثنى ابرهيم بن السندى عن أبيه قال : دخل شاب من بنى هاشم على المنصور فاستجلسه ذات يوم ودعا بغدائه فقال للفتى : أدنهُ . فقال : قد تغدّيت يا أمير المؤمنين . فكفّ عنه الربيع حتى ظننا أنه لم يفطن لخطابه ، فلما نهض للخروج أمهله فلما كان من وراء الستر دفع فى قفاه ، فلما رأى ذلك الحجّاب منه دفعوا فى قفاه حتى أخرجوه من الدار . فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الربيع إلى المنصور ، فقال المنصور : إن الربيع لا يُقدم على مثل هذا إلا وفى يديه حجة فإن شئتم أغضيتم على مافيها وإن شئتم سألته وأنتم تسمعون . قالوا : فاسأله . ودعا

الربيع وقصوا قصته فقال الربيع : هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف . فاستدناه أمير المؤمنين حتى سلم عليه من قريب . ثم أمره بالجلوس . ثم تبذل بين يديه وأكل . ثم دعاه إلى طعام ليأكل معه من مائدته فبالغ به الجهل بفضيلة المرتبة التى صيّره فيها إلى أن قال حين دعاه إلى غدائه : قد تغديت . وإذاً ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين الا سدّ خلة الجوع . ومثل هذا لايقوّمه القول دون الفعل

حدثنى ابرهيم بن السندى عن أبيه قال : والله انى لواقف على رأس الرشيد والفضل بن الربيع واقف فى الأيسر ، والحسن اللؤلؤى يسائله ويحدثه عن أمور . وكان آخر ماسأله عن بيع أمهات الاولاد ، فلولا أنى ذكرت أن سلطان ماوراء الستر للحاجب ، وسلطان الدار لصاحب الحرس ، وأن سلطانى إنما هو على من خرج من حدود الدار لقد كنت أخذت بضبعه وأقمته . فلما أن صرنا وراء الستر قلت له والفضل يسمع : أما والله لو كان هذا منك فى مسايرة أو موقف لعلمتَ أن للخلافة رجالا يصونونها عن مجلسك

وحدثنى ابرهيم بن السندى قال : بينا الحسن اللؤلؤى فى بعض الليالى بالرَّقة يحدث المأمون — والمأمون يومئذ أمير — إذ نعس المأمون فقال له اللؤلؤى : نمت أيها الامير ؟ ففتح المأمون عينه وقال : سوقى والله ، خذ ياغلام بيده . قال : وكنا يوما عند زياد بن محمد بن منصور بن زياد — وقد هيأ لنا الفضل بن محمد طعاما ومعنا فى المجلس خادم وكان لايتهم — فجاء رسول الفضل إلى زياد فقال : يقول لك اخوك قد أدرك طعامنا ، فتحولوا . ومعنا فى المجلس ابرهيم النظام ، وأحمد بن يوسف ، وقُطرب النحوى ، فى رجال من أدباء الناس وعلمائهم فما منا أحد فطن لخطأ الرسول ، فأقبل عليه مبشر الخادم فقال : يا ابن اللّخناء ، تقف على رأس سيدك فتستفتح الكلام كما يستفتحه الرجل من عرض الناس ؟ ألا تقول : ياسيدى يقول لك أخوك : ترى أن تصير إلينا باخوانك فقد تهيأ أمرنا ؟

وابتعت خادما كان قد خدم أهل الثروة واليسار وأشباه الملوك ، فمر به خادم

من معارفه ممن قد خدّم الملوك فقال : إن الأديب ـ وإن لم يكن ملكا ـ فقد يجب على الخادم أن يخدمه خدمة الملوك ، فانظر أن تخدمه خدمة تامة . قلت له : وما الخدمه التامة ؟ قال : الخدمة التامة أن تقوم فى دارك لبعض الامر وبينك وبين النعل تمشى خمس خطا فلا يدعك أن تمشى إليها ولكن يأخذها ويدنيها منك . ومن كان يضع النعل اليسرى قدام الرجل اليمنى فلا ينبغى لمثل هذا أن يدخل دار ملك ولا أديب . ومن الخدمه التامة أن يكون إذا رأى متكئا يحتاج إلى مخدّة أن لا ينتظر أمرك . ويتعاهد ليقة الدواة قبل أن تأمره أن يصب فيها ماء أو سواداً وينفض عنها الغبار قبل يأتيك بها . وإن رأى بين يديك قِرطاساً على طية قطع رأسه ووضع بين يديك على كسره ، وأشباه ذلك .

ولما كلم عُروة بن مسعود الثقفى رسول الله ﷺ كان فى ذلك ربما مس لحية النبى ﷺ ، فقال له المُغيرة بن شُعبة : نحِّ يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل أن لا ترجع إليك يدك . فقال عروة : يَاغُدَرْ ، وهل غسلت رأسك من من غدرتك إلا بالامس ؟ .

ونادى رجال من وفد بنى تميم النبى ﷺ باسمه من وراء الحجرات فقال الله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » وقال الله عزوجل ذكره « لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا » وقال ابنُ هَرْمَةَ أو غيره :

لِلّٰهِ دَرُّ سَمَيْذَعٍ فَجَعَتْ بِهِ ... يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ

هَشٍّ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودُ بِبَابِهِ ... سَهْلِ الْحِجَابِ مُؤَدَّبِ الْخُدَّامِ

فَإِذَا رَأَيْتَ شَقِيقَهُ وَصَدِيقَهُ ... لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ

﴿ شىء من نوادر الأعراب ﴾

قال أبو الحسن : بينا هِشام يسير ومعه أعرابى إذ انتهى إلى ميل عليه كتاب فقال للاعرابى : أنظر أىّ ميل هذا ؟ فنظر ثم رجع إليه فقال : عليه حجن وحلقة

وثلاثة كأطباء الكلبة ورأس كأنه رأس قطاة . فعرفه هشام بصورة الهجاء ولم يعرفه الاعرابى . وكان عليه « خمسة » وهى من نوادر الاعراب .

استشهدوا أعرابيا على رجل وامرأة فقال : رأيته قد تقمصها ، يحفزها (١) بمؤخره ويجذبها بمقدمه ، وخفى علىّ المسلك . وقال آخر : رأيته قد تبطنها ، ورأيت خلخالها شائلا ، وسمعت نفسا عاليا ، ولا علم لى بشىء بعدُ .

وقال أعرابى : رأيت هذا قد تناول حجراً فالتفّ بهذا ، وحجز الناس بينهم ، وإذا هذا يستدمى .

﴿ كلام فى الشيب ﴾

وقال بعضهم : الشيب نذير الآخرة : وقال قيس بن عاصم : الشيب خِطام المنية . وقال آخر : الشيب توأم الموت . وقال الحكيم : شيب الشعر موت الشعر ، وموت الشعر علة موت البشر . وقال المعتمر بن سليمان : الشيب أول مراحل الموت . وقال السهمى : الشيب تمهيد الحِمام . وقال العتابى : الشيب تاريخ الكتاب . وقال النمرى : الشيب عنوان الكبر . وقال عدى بنُ زيد العبادى :

وابْيضاضُ السَّوادِ مِنْ نَذُرِ الشَّـ ـرِّ وهَلْ مِثْلُهُ لِحَيٍّ نَذِيرُ ؟

وقال الآخر :

أصْبَحَ الشَّيْبُ فى المَفارِقِ شَاعا وا كْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ بَيَاضٍ قِناعا
ثُمَّ وَلَّى الشَّبابُ إلاَّ قَلِيلاً ثُمَّ يأبَى القَلِيلُ إلاَّ نِزَاعا

﴿ كلمات لاشعب ﴾

وقال رجل لأشعب : ماشكرتَ معروفى عندك ؟ قال : لان معروفك جاء من عند غير محتسب فوقع إلى غير شاكر . وخفف أشعب الصلاة مرة فقال له بعض أهل المسجد : خففت صلاتك جداً ؟ فقال : لانه لم يخالطها رياء .

---

(١) تقمصها ، يحفزها . في نسخة : تقصمها ، يحفرها ، وهذا غلط والصواب ما أثبتناه

﴿ كلام بعض المتكلمين من الخطباء ﴾

الحمد لله كما هو أهله ، والسلام على أنبيائه المقربين الطيبين . أخي ، لا تغترَّنَّ بطول السلامة مع تضييع الشكر ، ولا تعملن نعمة الله في معصيته ، فان أقل ما يجب لمهديها ألاّ يجعلها ذريعة في مخالفته . واعلم أن النعم نوافر ، ولقلّما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها . فاستدع شاردها بالتوبة ، واستدم الراهن منها بكرم الجوار ، واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، ولا تحسب أن سُبوغ ستر نعم الله عليك غير متقلّص عما قريب إذا لم ترج لله وقاراً . وإني لا خشى أن يأتيك أمر الله بغتة أو لإملاء ، فهو أولى مغيبة وأثبت في الحجة . ولأن لا تعلم ولا تعمل خيرٌ من أن تعلم ولا تعمل . إن الجاهل العامل لم يؤت من سوء نية ، ولا استخفاف بربوبية . وليس كمن قهرته الحجة ، وأعرب له الحق مُفصِحا عن نفسه ، فآثر الغفلة والخسيسَ من الشهوة على الله تبارك وتعالى ، فأسمحت نفسه عن الجنة وأسلمها لأبد العقوبة . فاستشر عقلك ، وراجع نفسك ، وادرس نعم الله عليك ، وتذكر إحسانه إليك ، فانه مجلبة للحياء ، ومَرْدعة للشهوة ، ومشحذة على الطاعة ، فقد أظلّ البلاء أو كأنْ قد . فكفكِف عنك غَرب شؤبوبه وجوائح سطواته بسرعة النزع وطول التضرع

ثلاث هي أسرع في العقل من النار في يَبيس العرفج : إهمال الفِكرة ، وطول التمنّي ، والاستغراب في الضَّحك . إن الله لم يخلق النار عبثاً ، ولا الجنة هملاً ، ولا الانسان سُدًى . فاعترف رِق العبودية ، وعجزَ البشرية . فكل زائد ناقص ، وكل قرين مُفارق ، وكل غَنيّ مُحتاج وإن عصفت به الخُيلاء ، وأبطره العُجب ، وصال على الاقران ، فإنه مذال مدبر ، ومقهور ميسر . إن جاع سخط المحنة ، وإن شبع بطر النعمة . ترضيه اللمحة فيستشري مَرحاً ، وتغضبه الكلمة فيستطير شَفقاً . حتى تنفسخ لذلك مُنتّه ، وتنتقض مَريرته ، وتضطرب فَريصته ، وتنتشر عليه حُجته . وللعجب من لبيب تُوبقه الخياطة ، ويسلم مع

الاضاعة ، ويُؤْنَى من الثقة ، ولا يشعر بالعاقبة . إن أهمل عمى ، وإن علم نسى . كيف لم يتخذ الحق معقلا ينجيه ، والتوكل ذائداً يحميه : أعمِيَ عن الدلائل وعن وضوح الحجة ؟ أم آثر الخسيس على الاجلّ النفيس ؟ وكيف توجد هذه الصفة مع صحة العقيدة واعتدال الفطرة ؟ وكيف يشير رائد العقل بايثار القليل الفانى على الكثير الباقى ؟

وما أظن الذى أقعدك عن تناول الحظ مع قُرب مجناه — حتى صار لا يثنيك زجر الوعيد ، ولا يقدح فى عزماتك فوت الجنّة ، وحتى ثقلت على سمعك الموعظة ونأت عن قلبك العبرة — إلا طول مجاوره التقصير ، واعتياد الراحة ، والانس بالهوينا ، وإيثار الأخفّ ، وإلف قرين السوء . فاذكر الموت وأدم الفكرة فيه فإن من لم يعتبر بما رأى لا يعتبر بما لا يرى . وإن كان ما يوجد بالعيان من مواقع العبرة لا يكشف لك عن قبيح ما أنت عليه ، وهُجنة ما أصبحت فيه — من إيثار باطلك على حق الله ، وإختيار الوهن على القوة ، والتفريط على الحزم ، والاشفاق على الدون ، واصطناع العار ، والتعرض للمقت ، وبسط لسان العائب — فستبطات الغيب أخرى بالعجز عن تحريكك وتقلك عن سوء العادة التى آثرتها على ربك فاستحيِ لِلبِّك ، واستبق ما أفضل الخِذلانُ من قوّتك ، قبل أن يستولى عليه الطبع ، ويشتد عليه العجز . أو ماعلمتَ ان المعصية تُثمر المذلة ، وتَفُل غرب اللسان مع السلاطة ؟ بل ماعلمت أن المستشعر بذل الخطيئة ، المخرج نفسه من كنف العصمة ، المتحلى بِدَنَس الفاحشة ، قَطِف الثناء ، زَمِرُ المرُوءة ، قَصِيُّ المجلس لا يشاوَر وهو ذو بذلاء ، ولا يصدَّر وهو جميل الرُّواء ؟ يسالم من كان يسطو عليه ، ويَضرع لمن كان يرغب إليه . يَجْذَل بحاله المبغض الشانى ، ويُثلب بقربه القريب الدانى . غامض الشخص ، ضئيل الصوت ، نزر الكلام ، متلجلج الحجة يتوقع الاسكات عند كل كلمة . وهو يرى فضل مزيته ، وصريح لبه ، وحسن فضيلته ؛ ولكن قطعه سوء ماجنى على نفسه . ولو لم تطّلع عليه عُيون الخليقة ،

لحجت العقول بادهانه . وكيف يمتنع من سقوط القدر وظن المتفرس من عَرِىَ من حلية التقوى ، وسلب طائع الهدى . ولو لم يتغشه ثوب سريرته ، وقبيح ما احتجن إليه من مخالفة ربه ، لأضرعته الحجة ، ولفسخه وهن الخطيئة ، ولقطعه العلم بقبيح ما قارف عن اقتدار ذوى الطهارة فى الكلام ، وإدلال أهل البراءة فى النداء . وهذه حال الخاطئ فى عاجل الدنيا ، فإذا كان يوم الجزاء الأكبر فهو عانٍ لا يُفك ، وأسيرٌ لا يفادى ، وعاريةٌ لا تُؤدَّى . فاحذر عادة العجز ، وإلف الفُكاهة وحب الكفاية ، وقلة الاكتراث للخطيئة ، والتأسف على الفائت منها وضعف الندم فى أعقابها

أخى ، أنعى إليك القاسى فانه ميت وإن كان متحركا ، وأعمى وإن كان رائيا فاحذر القسوة فانها رأس الخطايا ، وأمارة الطبع . وهى الشوهاء الماقر ، والداهية العُتام . وأراك تركض فى حبائلها ، وتستقبس من شَررها . ولا بأس أن يعظ المقصّر ما لم يكن هاذيا ، ولن يهلك امرؤ عرف قدره ، وربَّ حامل علم إلى من هو أعلم منه . علّمنا الله وإياكم مافيه نجاتنا ، وأعاننا وإياكم على تأدية ما كلفنا ، والسلام .

قال : وقلت لحباب : إنك تكذب فى الحديث فقال : وما عليك إذا كان الذى أزيد فيه أحسن منه ، فوالله ماينفعك صدقه ، ولايضرك كذبه ، ومايدور الامر إلا على لفظ جيد ومعنى حسن . ولكنك والله لو أردت ذلك لتلجلج لسانك ، وذهب كلامك

﴿ نوادر لبعض الاعراب ﴾

قال أبو الحسن : سمع أعرابى رجلا يقول : أشهد أن محمداً رسولَ الله . قال : يفعل ماذا ؟ وكان يقال أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره

أبو الحسن قال : قرأ رجل فى زمن عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

« فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »
فقال الاعرابى : لا يكون (١)

﴿ واعظ بين يدى المهدى ﴾

قال : ودخل على المهدى صالح بن عبد الجليل فسأله أن يأذن له فى الكلام فقال : تكلم فقال : إنا لما سهل علينا ما توعر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله ﷺ باظهار ما فى أعناقنا من فريضة الأمر والنهى عند انقطاع عذر الكتمان فى التقية ، ولاسيما حين اتسمت بميسم التواضع ووعدت الله وحملة كتابه إيثار الحق على ما سواه ، فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص ، ليتم مؤدبنا على موعود الأداء عنهم ، وقابلنا على موعد القبول ، أو يردنا تمحيص الله إيانا فى اختلاف السر والعلانية ويحلينا بحلية الكاذبين . فقد كان أصحاب رسول ﷺ يقولون : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل . وأشد منه عذاباً من أقبل إليه العلم وأدبر عنه . ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصر بها . فاقبل ما أهدى الله إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل ، لا قبولا فيه سمعة ورياء ، فانه لا يخلفك منا إعلام لما تجهل ، أو مواطأة على ما تعلم ، أو تذكير لك من غفلة ، فقد وطن الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ على نزولها تعزية عما فات وتحصينا من التمادى ودلالة على المخرج فقال : « وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » فاطلع الله على قلبك بما ينور الله به القلوب من إيثار الحق ومنابذة الأهواء ، فانك إن لم تفعل ذلك يُرى أثرك وأثر الله عليك فيه . ولا حول ولا قوة الا بالله

﴿ تعزية معاوية عن سن سقطت له ﴾

قال : ودخل رجل على معاوية وقد سقطت أسنانه فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) يريد الأعرابى أن المقام ليس مقام رحمة وغفران ، وهذا من سلامة طبعه . فقراءة الآية على هذه الصورة خطأ والصواب : فاعلم أن الله عزيز حكيم . وهذا مقتضى المقام

إن الاعضاء يَرِث بعضُها بعضا . فالحمد لله الذى جعلك وارثها ولم يجعلها وارثتك

﴿ تأبين عمر بن عبد العزيز لولده ﴾

وحدثنا اسماعيل بنُ علية قال : حدثنا زياد بن حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دَفن ابنه عبد الملك فلما سوّى عليه قبره بالأرض وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون إحداهما عند رأسه والاخرى عند رجليه ، ثم جعل قبره بينه وبين القبلة ، واستوى قائما وأحاط به الناس قال : رحمك الله يابنى ، فقد كنت بَرّاً بأبيك ، وما زلتُ منذ وهبك اللهُ لى بك مسروراً ، ولا والله ما كنت قط مسروراً بك ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى الموضع الذى صيرك الله إليه . فغفر الله لك ذنبك ، وجازاك بأحسن عملك ، وتجاوز عن سيآتك ، ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب ، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره ، فالحمد لله رب العالمين .

ثم انصرف .

﴿ حديث عمرو بن معاوية ﴾

وحدثنى محمد بن عبيد بن عمر قال : أخبرنى طارق بن المبارك عن أبيه قال : قال لى عمرو بن معاوية بن عُتبة : جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن ، كثير العِيال ، منتشر الأموال . فكنت لا أكون فى قبيلة إلا شُهِر أمرى . فلما رأيت ذلك عزمت على أن أفدى حرَمى بنفسى . قال المبارك : فأرسلَ إلىّ أن وافنى عند باب الامير سليمان بن عبد الملك . قال : فأتيته ، فإذا عليه طَيلسان أبيض مُطبق وسراويل وشيء مسدولة . قال : فقلت : ياسبحان الله ماتصنع الحدادة بأهلها ؟ إن هذا لبس من لباس هذا اليوم . قال : لا والله ، لكن ليس عندى ثوب إلا أشهى ماترى . قال : فأعطيته طيلسانى وأخذت طيلسانه ، ولويت سراويله إلى ركبتيه . قال : فدخل ثم خرج إلىّ مسروراً . قال فقلت له : حدثنا ماجرى بينك وبين الامير ؟ قال : دخلت عليه ـ ولم يرنى قبل ذلك ـ فقلت . أصلح الله الامير ، لفظنى البلاء اليك ، ودانى فضلك عليك ، فإما قبلتنى غانماً ، وإما رددتنى سالماً . قال :

من أنت أعرفك ؟ قال: فانتسبت له فقال : أقعد فتكلم غانماً سالما . ثم أقبل علىّ فقال : حاجتك يا ابن أخى ؟ قال فقلت : إن الحرم اللاتى أنت أقرب الناس إليهن معنا ، وأولى الناس لهن بعدنا ، قد خفن بخوفنا ، ومن خاف خيف عليه . قال : فوالله ما أجابنى إلا بدموعه . فقال : يا ابن أخى ، يحقن الله دمك ويحفظ حرمك ، ويوفر عليك مالك . ولو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلت . قال فقلت : أكون متوارياً أو ظاهراً ؟ فقال : كن متوارياً كظاهر . فكنت والله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمه . قال : فلما فرغ من الحديث رددت إليه طيلسانه فقال : مهلا ، إن ثيابنا إذا فارقتنا لم ترجع إلينا

﴿ بعض أحاديث النوكى ﴾

ومن أحاديث النوكى حُدثت عن أبى سعيد الرفاعى أنه سئل عن الدنيا والدايسة فقال : أما الدنيا فهذه التى أنتم فيها . وأما الدايسة فهى دار بائنة من هذه الدار لم يسمع أهلها بهذه الدار ولا بشىء من أمرها ، إلا أنه قد صح عندنا أن بيوتهم من قِثاء ، وسقوفهم من قِثاء ، وأنعامهم من قِثاء وهم فى أنفسهم من قثاء ، وقثاؤهم أيضاً من قثاء . قالوا له : يا أبا سعيد ، زعمت أن أهل تلك الدار لم يسمعوا بهذه الدار ولا بشىء من أمرها ، وكذلك نحن لهم ، وأراك تخبرنا عنهم بأخبار كثيرة ؟ قال : فمن ثمة أعجب زيادة

قالوا : ذم رجل عند الأحنف الكمأة بالعمى فقال : رب ملوم لا ذنب له

عبد الله بن مسلم عن شيبة بن عِقال أن رجلا قال فى مجلس عُبيد الله بن زياد : ما أطيب الأشياء ؟ فقال رجل: ما شىء أطيب من تمرة برسيان ، كأنها من آذان النوكى عليها بزبدة . وقال أوس بن حارثة لابن عامر :

ظَلَلتُ عقابُ النوكِ تَخفِقُ فوقَهُ ... رِخْوٌ طَفاطِفُهُ قَدِيمُ المَلْعَبِ

قد ظَلَّ يُوعِدُنِى وعَيْنَ وَزِيرِهِ ... خضراءَ خاشِعَةٌ كَعَيْنِ العَقْرَبِ

يعنى بوزيره عبد الله بن عُمير الليثى وكان أخاه لأمه ، أمهما دَجاجة بنت أسماء السلمية

وقال ابن مُناذر فى خالد بن عبد الله بن طليق الخزاعى ، وكان المهدى استقضاه وعزل عُبيد الله بن الحسن العنبرى :

أتى دهرُنا والدهرُ ليس بمُعتَبِ ... بآبدةٍ والدهرُ جمٌّ الأوابدِ
بعزلِ عُبيدِ اللهِ عنّا فيالَهُ ... خِلافاً واستعمالِ ذى النوكِ خالدِ
بحيرانَ عن قصدِ السبيلِ تصدُّهُ ... خيانةُ سلّامٍ وراحيةُ قائدِ
أذلكَ من ريبِ الزمانِ وصرفِهِ ... وأحداثِهِ أم نحنُ فى حلمِ راقدِ ؟

وقال أيضاً :

قُلْ لأميرِ المؤمنينَ الذى ... من هاشمٍ فى سِرِّها واللُّبابْ
إنْ كنتَ للسُّخطةِ عاقبتَنا ... بخالدٍ فهوَ أشدُّ العذابْ
أصمُّ أعمى عن سبيلِ الهُدى ... قد ضربَ الجهلُ عليهِ الحجابْ
يا عجباً من خالدٍ كيفَ لا ... يُخطِئُ فينا مرّةً بالصوابْ ؟

وقال :

خالدٌ يحكمُ فى الناسِ بحُكمِ الجاهليقِ ... يا أبا الهيثمِ ما كنتَ لهذا بخليقِ
لا ولا كُنتَ لِما حُمِّلتَ منهُ بمُطيقِ ... أيُّ قاضٍ أنتَ للظُّلمِ وتعطيلِ الحقوقِ ؟

وقال :

يقطعُ كفَّ القاذفِ المفترى ... ويجلدُ اللصَّ ثمانينا ؟
سَبْياً ورَغْياً لكَ من حاكمٍ ... يُحيى لنا السُّنّةَ والدِّينا

وقال زهرة :

يا قومُ مَنْ دلَّ على عالمٍ ... يعلمُ ما حدُّ حُرِّ سارقِ

وقال آخر :

وإنّى لمضّاءٌ على الهَوْلِ واحداً ... ولو ظلَّ ينهانى أُخَيفِشُ شاحجُ
تُشبِّهُ للنوكى أُموراً كثيرةً ... وفيها لأكياسِ الرجالِ مخارجُ

وقال آخر :

ولا يعرفونَ الشرَّ حتى يُصيبَهُمْ ... ولا يعرفونَ الأمرَ إلا تدبُّرا

غيره :

إذا ظَعَنُوا عَنْ دَارِ ضَيْمٍ تَعاذَلُوا عَليها وردُّوا وَفْدَهُمْ يَسْتَقِيلُها

وقال النابغة :

ولا يَحْسَبُونَ الخيرَ لا شرَّ بَعْدَهُ ولا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لازِبِ

والعرب تقول : أخزى الله الرأىَ الدَّبَرِىَّ

وقالوا : وجَّه الحجاج إلى مطهر بن عمار بن ياسر عبدالرحمن بن سليم الكلبى فلما كان بحُلوان أتبعه الحجاج مدداً ، وعجل عليه بالكتاب مع تُحيت الغلط ، وانما قيل له ذلك لكثرة غلطه ، فمر تحيت بالمدد وهم يُعرضون بخانقين ، فلما قدم على عبد الرحمن قال له : أين تركت مددنا ؟ قال : تركتهم يخنقون بعارضين قال : أو يعرضون بخانقين ؟ قال : نعم ، اللهم لا تخانق فى باركين . ولما ذهب يجلس ضرط . وكان عبدالرحمن أراد أن يقول : ألا تَغَدَّى ؟ فقال : ألا تضرط؟ قال : قد فعلت أصلحك الله . قال : ما هذا أردت . قال : صدقت ، ولكن الأمير غلط كما غلطنا . فقال : أنا غلطت من فمى وغلط هو من استه

﴿ باب من البَلَه الذى يُعترى من قِبَل العبادة ﴾

(وترك التعرض للتجارب)

وهو كما قال أبو وائل : أسمعكم تقولون : الدانق والقيراط ، فأيما أكثر؟ قالوا : وكان عامر بن عبد الله بن الزبير فى المسجد — وكان قد أخذ عطاءه — فقام إلى منزله ونسيه ، فلما صار فى منزله وذكره بعث رسولا ليأتيه به فقال له : وأين تجد ذلك المال ؟ قال : سبحان الله أو يأخذ أحد ماليس له ؟ أبو الحسن قال : قال سعيد بن عبد الرحمن الزبيرى : سُرقت نعل عامر بن عبد الله الزبيرى فلم يتخذ نعلا حتى مات . وقال : أكره أن أتخذ نعلا فلعل رجلا أن يسرقها فيأثم .

وقالوا : إن الخلفاء والأئمة أفضل من الرعية ، وعامة الحكام أفضل من المحكوم عليهم ولهم ، لأنهم أفقه فى الدين وأقوم بالحقوق وأردّ على المسلمين ،

وعلمهم بهذا أفضل من عبادة العُبَّاد ، ولأن نفع ذلك لا يعدو قمع رؤسهم ونفع هؤلاء بخص وبعم ، والعبادة لا تدلّه ولا تورث البَـلَه إلا لمن آثر الوحدة وترك معاملة الناس ومجالسة أهل المعرفة ، فمن هناك صاروا بُلهاً ، حتى صار لا يجيء من أعبدهم حاكم ولا إمام ، وما أحسن ما قال أيوب السختياني حيث يقول : في أصحابي من أرجو دعوته ولا أقبل شهادته . فإذا لم يجز في الشهادة كان من أن يكون حاكما أبعد .

وقال الشاعر :

وعاجزُ الرَّأيِ مِضْياعٌ لِفُرْصَتِهِ ... حتى إذا فاتَ أمْرٌ عاتَبَ القَدَرَا

ومن غير هذا الباب قوله :

إذا مَا الشَّيْخُ عُوتِبَ زَادَ شَرًّا ... ويَغْتَبُ بعْدَ صَبْوَتِهِ الوَلِيدُ

وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه : من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج .

وقال الشاعر :

إذا تَضايقَ أمْرٌ فانْتظرْ فَرَجاً ... فأضْيقُ الأمْرِ أدْناهُ منَ الفَرَجِ

وقال الفرزدق :

وإنّي وسَمْدًا كالحُوَارِ وأُمِّهِ ... إذا وَطِئَتْهُ لمْ يَضِرْهُ اعْتِمادُها

وقال أعرابي :

تَعلَّمْنِي بِعَيْشِ عِرْسِي كأنَّما ... تَبَصَّرُ فِي الأمْرِ الَّذِي أنا جاهِلُهْ

يَعِيشُ الفَتَى بالفَقْرِ يَوْمًا وبالغِنَى ... وكلٌّ كأنْ لَمْ يَلْقَ حِينٌ بُزَايِلُهْ

وقال آخر :

شَهِدْتُ وبَيْتِ اللهِ أنَّكَ بارِدُ الثَّـ ... ـنايا لَذِيذٌ لَثْمُها حِينَ تَلْثِمُ

وقال غيره :

اللهُ يَعْلَمُ يا مُغِيرَةُ أنَّنِي ... قَدْ دُسْتُهادَوْسَ الحِصَانِ الهَيْكَلِ

وأخذتها أخذ المتصبِّ شاتَه ... عجلانَ يشويها لقومٍ نزَّلِ

وقال آخر :

شهدتُ وبيتِ اللهِ أنكَ باردُ الثـ ... ـنايا وأنَّ الكشحَ منكَ لطيف

وأنكَ مشبوحُ الذراعينِ خلجمٌ ... وأنكَ إذ تخلو بهنَّ عفيفُ

وقال آخر :

فهلاَّ من وزارٍ أو حصينٍ ... حميتُم فرجَ حاضنةٍ كعابِ

وأقسمُ أنه قد حلَّ منها ... محلَّ السيفِ من قعرِ القرابِ

وقال آخر :

أترجو أن تسودَ ولن تعنَّى ... وكيف يسودُ ذو الدعةِ البخيلُ

وقال الهذلى :

وإنَّ سيادةَ الأقوامِ فاعلمْ ... لها صعداءُ مطلبُها طويلُ

وقال جرير بن الخطفى :

تريدينَ أن أرضى وأنتِ بخيلةٌ ... ومن ذا الذى يرضى الأخلاَّءَ بالبخلِ

وقال اسحق بن حسان بن قوهى :

ودونَ الندى فى كلِّ قلبٍ ثنيةٌ ... لها مصعدٌ حزنٌ ومنحدرٌ سهلُ

وودَّ الفتى فى كلِّ نيلٍ يُنيلهُ ... إذا ما انقضى لو أنَّ نائلهُ جزلُ

وقال آخر :

عزمتَ على إقامةِ ذى صباحٍ ... لشىءٍ ما يسوَّدُ من يسودُ

وقال آخر :

وتعجبُ إن حاولتُ منكَ تنصُّفاً ... وأعجبُ منهُ ما تحاولُ من ظلمى

أباحسنَ يكفيكَ ما فيكَ شائماً ... لعرضكَ من شتمِ الرجالِ ومن شتمى

وقال آخر :

كما قالَ الحمارُ لسهمِ رامٍ ... لقدْ جمَّعتَ من شتَّى لأمرِ

وقال آخر :

أَرَاكَ حَدِيدَةً فِي رَأْسِ قِدْحٍ ... وَمَنْ جُلَّةٍ مِنْ رِيشِ نَسْرِ

وقال آخر :

إِذَا مَامَاتَ مِثْلِي مَاتَ شَخْصٌ ... يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بَشَرٌ كَثِيرُ

وأشعر منه عَبْدَةُ بنُ الطبيب حيث يقول فى قَيس بن عاصم :

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ ... وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

وقال امرؤُ القيس فى شبيه بهذا المعنى :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً ... وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسَا

وقال آخر :

وَزَهَّدَنِي فِي صَالِحِ الْعَيْشِ أَنَّنِي ... رَأَيْتُ يَدِي فِي صَالِحِ الْعَيْشِ قَلَّتِ

وقالَ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ :

وَلَقَدْ بَدَا لِي أَنَّ قَلْبَكَ ذَاهِلٌ ... عَنِّي وَقَلْبِي لَوْ بَدَا لَكَ أَذْهَلُ

كُلٌّ يُجَامِلُ وَهْوَ يُخْفِي بُغْضَهُ ... إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْقِلَا يَتَجَمَّلُ

وقال رُكاض :

تُرَامِي فَتَرْمِي نَحْنُ مِنْهُنَّ فِي الشَّوَى ... وَيَرْمِينَ لَا يَعْدِلْنَ عَنْ كَبِدٍ سَهْمَا

إِذَا مَالَبِسْنَ الْحِلْيَ وَالْوَشْيَ أَشْرَقَتْ ... وُجُوهٌ وَلَبَّاتٌ يُنَلْبِسْنَنَا الْحِلْمَا

وَلَيْنَ السُّبُوبَ حُمْرَةً قُرَشِيَّةً ... زُبَيْرِيَّةً يَعْلَمْنَ فِي لَوْنِهَا عَلَمَا

وقال آخر :

أُعَلِّلُ نَفْسِي بِمَا لَا يَكُو ... نُ كَمَا يَفْعَلُ الْمَائِقُ الْأَحْمَقُ

وقال آخر :

تَوَلَّتْ بَهْجَةُ الدُّنْيَا ... فَكُلٌّ جَدِيدِهَا خَلَقُ

وَخَانَ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... فَمَا أَدْرِي بِمَنْ أَثِقُ

رَأَيْتُ مَعَالِمَ الْخَيْرَا ... تِ سُدَّتْ دُونَهَا الطُّرُقُ

فَلَا حَسَبٌ وَلَا أَدَبٌ ... وَلَا دِينٌ وَلَا خُلُقُ

وقال أبو الأسود الدؤلي :

لَنا جِيرَةٌ سَدُّوا المَجازَةَ بيْنَنا ... فإنْ ذَكَرُوكَ السَّدَّ فالسَّدُّ أكْيَسُ
ومِنْ خيرِ ما أُلْصِقْتَ بالدَّارِ حائِطٌ ... يَزِلُّ بهِ صُقْعُ الخَطاطِيفِ أمْلَسُ

وقال آخر :

عَقَمَتْ أُمٌّ أنْتَنا بكُمُ ... لَيْسَ فِيكُمْ رَجُلٌ غيرُ دَنِيّ
وإذا ما النّاسُ عَدُّوا اشْرَفاً ... كُنْتُمُ مِنْ ذاكَ فى بِلٍ رَخِيّ

وقال آخر :

قدْ بَوّأكَ بحَمْدِ اللهِ إنْ أغْنَى البَلاءُ
فإذا كلُّ مَوَاعِيدِكَ والجَحْدُ سَوَاءُ

وقال آخر :

ولقدْ هَزَزْتُكَ لِلْمَدِيحِ فكُنْتَ ذا نَفْسٍ لَكِيعَهْ
أنْتَ الرَّقِيعُ ابْنُ الرَّقِيعِ ابْنِ الرَّقِيعِ ابْنِ الرَّقِيعَهْ

وقال آخر :

لِكُلِّ أُناسٍ سُلَّمٌ يُرْتَقَى بِهِ ... وليْسَ إلَيْنا فى السَّلالِمِ مَطْلَعُ
وغايَتُنا القُصْوَى حِجازٌ لِمَنْ بِهِ ... وكلُّ حِجَازٍ إنْ هَبَطْناهُ بَلْقَعُ
وينْفُرُ مِنّا كلُّ وَحْشٍ وينْتَمِي ... إلى وَحْشِنا وحْشُ البِلادِ فيَرْتَعُ

وقال آخر :

لوْ جَرَتْ خَيْلٌ نُكُوصاً ... لَجَرَتْ خَيْلُ دِفَافَهْ
هيَ لا خَيْلُ رجَاءٍ ... لا ولا خَيْلُ مَخَافَهْ

وقال الخُزَيْمِيُّ :

إخْلَعْ ثِيابَكَ مِنْ أبى دُلَفٍ ... واهْرُبْ مِنَ الفَحْشاءِ الصَّلِفِ
لاَ يَعْجِبَنَّكَ مِنْ أبى دُلَفٍ ... وَجْهٌ يُضِيءُ كَدُرَّةِ الصَّدَفِ
إنى رَأيْتُ أخِى أبا دُلَفٍ ... عِنْدَ الفِعالِ مُوَلَّدَ الشَّرَفِ

وأنشد ابنُ الأعرابى :

أهْلَكَتْنى بِفُلَانٍ ثِقَتى ... وَظُنُونٌ بِفُلَانٍ حَسَنَهْ
لَيْسَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ ... نِلْتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ بَعْدِ سَنَهْ
كُنْتُ كالهَادِى منَ الطَّيْرِ رَأَى ... طَمَعًا أَدْخَلَهُ فى سَخْنَهْ
زَادَنى قُرْبُ صَدِيقى فاقَةً ... أَوْرَثَتْ مِنْ بَعْدِ فَقْرٍ مَسْكَنَهْ

وأنشدنا :

إذَا المَرْءُ أَوْلاكَ الهَوَانَ فَأَوْلِهِ ... هَوَانًا وإِنْ كانَتْ قَرِيباً أَوَاصِرُهْ
فإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ على أَنْ تُهِينَهُ ... فَذَرْهُ إلى اليَوْمِ الذى أَنْتَ قَادِرُهْ
وقَارِبْ إذا مالَمْ تَكُنْ لكَ قُدْرَةٌ ... وصَمِّمْ إذا أَيْقَنْتَ أَنَّكَ عاقِرُهْ

وقال بعض ظرفاء الأعراب :

وإذا خَشِيتَ منَ الفُؤَادِ لَجاجَةً ... فاضْرِبْ عليهِ بِجَرْعَةٍ مِنْ رَائِبِ

وهذا من شكل قوله :

ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةً فاصْطَدْتُ ضَبًّا ... وكُنْتُ إذا ذَكَرْتُكِ لا أَخِيبُ

وقال بعض المحدثين :

ما أَشْبَهَ الإِمْرَةَ بالوَصْلِ ... وأَشْبَهَ الهِجْرَانِ بالعَزْلِ

وقالت الخَنْسَاء :

لَمْ تَرَهُ جَارَةٌ يَمْشِي بِساحَتِها ... لِرِيبَةٍ حِينَ يُخْلِى بَيْتَهُ الجَارُ
مِثْلُ الرُّدَيْنِىِّ لَمْ تَدْنَسْ عِمامَتُهُ ... كأَنَّهُ تَحْتَ طَىِّ البُرْدِ إسْوَارُ

وقال آخر :

نادَيْتُ هِنْدَانَ والأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ ... ومِثْلُ هِنْدَانَ سَنَّى فَتْحَةَ البَابِ
كالهِنْدُوَانِىِّ لَمْ تَفْلُلْ مَضَارِبُهُ ... وجْهٌ جَمِيلٌ وقَلْبٌ غَيْرُ وَجَّابِ

وقال آخر :

أَرَى كُلَّ رِيحٍ سَوْفَ تَسْكُنُ مَرَّةً ... وكُلَّ سَمَاءٍ ذَاتِ دَرٍّ سَتُقْلِعُ

ولَسْتُ بِقَوَّالٍ إذا قامَ حالِبًا ... لَكَ الْوَيْلُ لاتَجْهَدْ لَعَلَّكَ تُرْضَعْ
ولكِنْ إذا جادَتْ بما دُونَ حلبِها ... جهدْنا ولمْ نَمْذُقْ بما نَتَوَسَّعُ

وقال آخر :

تَمَنَّى رِجالٌ أنْ أمُوتَ وغايَتِى ... إلى أجَلٍ أقْصَى مَدَاهُ قَرِيبِ
وَمارَغْبَتِى فى آخرِ الدَّهْرِ بعدَما ... لَبِسْتُ شَبَابِى كلَّهِ ومَشِيبِى
وأصْبَحْتُ فى قَوْمٍ كأنْ لَسْتُ مِنْهُمُ ... وَبَادَ قُرُونِى مِنْهُمُ وضُرُوبِى

وقال :

رأيْتُ النَّاسَ لَمَّا قَلَّ مَالِى ... وأكْثَرْتُ الْغَرَامَةَ ودَّعُونِى
فلمَّا أنْ غَنِيتُ وثابَ وفْرِى ... إذَا هُمْ لاَ أبَالِكَ رَاجَعُونِى

وقال آخر :

وكُنَّا نَسْتَطِبُّ إذا مَرِضْنا ... فصَارَ سَقَامُنا بِيَدِ الطَّبِيبِ
فكَيْفَ نُجِيزُ غُصَّتَنا بِشَىْءٍ ... ونَحْنُ نَغَصُّ بالْمَاءِ الشَّرِيبِ

وقال عَدِىُّ بنُ زَيد :

لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلْقِى شَرِقٌ ... كُنْتُ كالغَصَّانِ بالْمَاءِ اعْتِصارِى

وقال التوت اليمانى ـ ويروى التوب بالباء ، والتوت هو الصواب ـ وهو المعروف بتُوَيْتٍ فكبره هنا :

على أى بابٍ أطْلُبُ الإذْنَ بَعْدَما ... حُجِبْتُ مِنَ الْبابِ الَّذِى أنا حَاجِبُهْ

وقال آخر :

لاتَضْجَرَنَّ وَلاتَدْخُلْكَ مَعْجَزَةٌ ... فالنُّجْحُ بَيْنَ الْعَجزِ والضَّجَرِ

وقال محمد بن بشر :

إنَّ الأمُورَ إذَا انْسَدَّتْ مَسالِكُها ... فالصَّبْرُ يَفْتَحُ منها كلَّ ما ارْتَتَجا
لاتَيْأسَنَّ وَإنْ طالَتْ مُطالَبَةٌ ... إذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أنْ تَرَى فَرَجا
أخْلِقْ بِذِى الصَّبْرِ أنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... ومُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلأبْوَابِ أنْ يَلِجا

وقال بعض الاعراب :

فإنّ طعاماً ضمّ كفّى وكفّها ... لعمرُكَ عندى فى الحياةِ مباركُ
فمِنْ أجلِها أستوعِبُ الزّادَ كلَّهُ ... ومن أجلِها تهوِى يدِى وتُدارِكُ

وقال آخر :

كأنّى لمّا مسّنى السّوطُ مقرَمٌ ... منَ العُجمِ صعبٌ أنْ يُقادَ بفُورُ
فكمْ قدْ رأينا منْ لَبيبٍ موطّإٍ ... صبُورٍ على مَسّ السِّياطِ وقُورُ
وذِى كرَمٍ فى القومِ نهدٍ مُشيَّعٍ ... جزُوعٌ على مسّ السِّياطِ ضَجُورُ

وقال أُحَيْحَةُ بنُ الجلاحِ :

إستغنِ عنْ كلّ ذِى قُربَى وذِى رحمٍ ... إنّ الغنِىَّ منِ استغنَى عنِ الناسِ
والبسْ عدُوَّكَ فى رِفْقٍ وفى دَعَةٍ ... لِباسَ ذِى إربةٍ لِلدّهرِ لبّاسِ
ولا يغُرَّنْكَ أضغانٌ مُزَمَّلَةٌ ... قدْ يُضرَبُ الدَّبِرُ الدامى بأحلاسِ

وقال أحَيْحَةُ أيضاً :

إستغنِ أوْ مُتْ ولا يغرُرْكَ ذُو نشَبٍ ... منِ ابنِ عمٍّ ولا عمٍّ ولا خالِ
إنى أُكِبُّ على الزَّوْراءِ أعمُرُها ... إنّ الكريمَ على الأقوامِ ذُو المالِ
يُلوُونَ ماعِندهُمْ عنْ حقّ أقربِهِمْ ... وعن عشِيرَتِهِمْ والمالُ بالوَالِى

وقال آخر :

سأتبِيكَ مالاً بالمدِينَةِ إنّنى ... أرَى عازِبَ الأموالِ قلّتْ فواضِلُه

وقال آخر :

ولاخيرَ فى فضلٍ إذا لمْ يكُنْ لهُ ... على طُولِ مرِّ الحادِثاتِ بقاءُ

وقال العباس بنُ الأحنَفِ :

لمْ يصفُ حُبٌّ لِمعشُوقيْنِ لمْ يذُقا ... وصلاً يمُرُّ على مَنْ ذاقَهُ العسَلُ

وقال بعض سفهاء الاعراب :

لاخيرَ فى الحُبِّ أباالسَّنَوَّرِ ... أوْ يلتقِى أشعَرُها وأشعَرِى
وأُطبِقُ الخُصيَةَ فوقَ المبعَرِ

وقال آخر :

وحظكَ زَوْرَةٌ فى كلِّ عامٍ ... مُوَاقفةً على ظَهْرِ الطَّرِيقِ
سَلَامًا خالِيًا منْ كل شىْءٍ ... يَعُودُ بهِ الصَّدِيقُ على الصَّدِيقِ

وقال عُطَارِدٌ :

ولا يَلْبَثُ الحَبْلُ الضَّعِيفُ إذا الْتَوَى ... وجَاذَبَهُ الأَعْدَاءُ أنْ يَتَخَذَّما
وما يَسْتَوِي السَّيْفَانِ سَيْفٌ مُؤَنَّثٌ ... وسَيْفٌ إذا ما عَضَّ بالعَظْمِ صَمَّمَا

وقال طُرَيح بن اسمعيل فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشكْرِ فيما صَنَعْتَ بى ... فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وإنِّى لَشَاكِرُ
لأَنَّكَ تُعْطِينِى الجَزِيلَ بَدَاهَةً ... وأنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتَ من ذاكَ حاقِرُ
فأَرْجِعُ مَغْبُوطًا وأَرْجِعُ بالَّذِي ... لَهَا أوَّلٌ فى المَكْرُماتِ وآخِرُ
وقد قُلْتُ شِعْرًا فيكَ لكنْ تَقُولُهُ ... مَكَارِمُ فِيما تَبْتَنِي ومَفَاخِرُ
قَوَاصِرُ عَنْها لمْ تُحِطْ بِصِفَاتِها ... يُرَادُ بِها ضَرْبٌ منَ الشِّعْرِ آخَرُ

وقال آخر :

فَكَمْ منْ مُلِيمٍ لمْ يُصِبْ بِمَلَامَةٍ ... ومُتَّبَعٍ بالذَّنْبِ لَيْسَ لهُ ذَنْبُ
وكَمْ مِنْ مُحِبٍّ صَدَّ عنْ غيرِ عِلَّةٍ ... وإنْ لَمْ يَكُنْ فى وَصْلِ خُلْتِهِ عَتْبُ

وقال آخر :

لعلَّ لهُ عُذْرًا وأَنْتَ تَلُومُ ... وكَمْ لائِمٍ قَدْ لامَ وَهْوَ مَلِيمُ

كما قالَ الأَحْنَف : رُبَّ مَلُومٍ لا ذَنْبَ لهُ . وقال ابن المقفع :

فلا تَلُمِ المَرْءَ فى شأْنِهِ ... فَرُبَّ مَلُومٍ ولمْ يُذْنِبِ

وقال سعيد بنُ عبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابت الانصارى :

وإنَّ امْرَأً يُمْسِى ويُصْبِحُ سَالِمًا ... منَ النَّاسِ إلاَّ ما جَنَى لَسَعِيدُ

فهرس الجزء الثانى

من كتاب البيان والتبيين

	صفحة
استدراك وتكميل لترجمة الجاحظ	٢
مقدمة الجزء الثانى	١٨
قصائد العرب المسماة	٢١
رؤبة بن العجاج : ترجمته	٢١
تسمية العرب لطبقات الشعراء	٢٢
بشر بن ابى خازم : ترجمته	٢٣
سويد بن كراع : ترجمته	٢٤
الحطيئة : ترجمته	٢٥
الربيع بن أبى الحقيق : ترجمته	٢٦
كلام للنبى لم يسبقه إليه عربى	٢٧
يزيد بن المهلب : ترجمته	٢٧
عبد الرحمن بن الاشعث : ترجمته	٢٨
قيس بن الخطيم : ترجمته	٢٩
عمرو بن قميئة : ترجمته	٣٠
خطبة حجة الوداع	٣٨
قيس بن عاصم : ترجمته	٤٠
محمد بن كعب القرظى : ترجمته	٤٠
صالح المرى : ترجمته	٤٢
الشعبى : ترجمته	٤٣
سعيد بن سلم : ترجمته	٤٤
قتيبة بن مسلم : ترجمته	٤٦
أبو مجلز : ترجمته	٤٦

	صفحة
خطبة لأبى بكر الصديق	٤٧
وصية ابى بكر لعمر	٤٨
وصية عمر للخليفة من بعده	٤٨
رسالة عمر إلى أبى موسى الاشعرى في القضاء	٥٠
ابو موسى الاشعرى : ترجمته	٥٠
خطبة لعلى بن أبى طالب	٥١
ابو عبيدة معمر بن المثنى : ترجمته	٥١
خطبة لعلى بن أبى طالب	٥٢
» » » » »	٥٤
» » » » »	٥٤
خطبة عبدالله بن مسعود : وترجمته	٥٥
خطبة عتبة بن غزوان : وترجمته	٥٦
خطبة لمعاوية بن ابى سفيان	٥٦
خطبة زياد بن ابى سفيان ــ البتراء وترجمته	٥٨
ابو بلال مرداس بن أدية : ترجمته	٦٠
مقطعات من كلام البلغاء ومواعظ النساك	٦١
عبد الملك بن عمير : ترجمته	٦٣
أكثم بن صيفى : ترجمته	٦٣
عيسى بن طلحة : ترجمته	٦٣

	صفحة
عروة بن الزبير : ترجمته	٦٣
ابو الاسود الدؤلى : ترجمته	٦٥
عتبة بن ابى سفيان : ترجمته	٦٦
يزيد بن عمر بن هبيرة : ترجمته	٧٢
المغيرة بن شعبة : ترجمته	٧٣
سعيد بن العاص : ترجمته	٧٣
مروان بن الحكم : ترجمته	٧٣
كتاب عبد الله بن معاوية بن جعفر الى أبى مسلم	٧٥
ابو مسلم الخراسانى : ترجمته	٧٥
كتاب معاوية الى قيس بن سعد	٧٦
جواب قيس لمعاوية : وترجمته	٧٦
عبد الله بن الزبير : ترجمته	٧٨
عبد الرحمن بن ابى ليلى : ترجمته	٨١
ابو الذيال شويس : ترجمته	٨٣
يحيى بن أكثم : ترجمته	٨٥
شعبة بن الحجاج : ترجمته	٨٩
الفضيل بن عياض : ترجمته	٩٠
سفيان الثورى : ترجمته	٩٠
رجاء بن حيوة : ترجمته	٩١
هريم بن عدى : ترجمته	٩١
عبد الله بن خازم السلمى : ترجمته	٩١
يونس بن حبيب : ترجمته	٩٤
عبد الله بن شداد : ترجمته	٩٥
باب مزدوج الكلام	٩٦
خطبة عبد الله بن الاهتم	٩٧
خطبة عمر بن عبد العزيز	٩٩
» » » » »	١٠٠

	صفحة
خطبة ابى حمزة الخارجى : وترجمته	١٠٠
خطبة قطرى بن الفجاءة : وترجمته	١٠٣
خطبة محمد بن سليمان	١٠٥
خطبة عبيد الله بن زياد	١٠٦
وصية معاوية بن أبى سفيان	١٠٦
الضحاك بن قيس الفهرى : ترجمته	١٠٦
خطبة قتيبة بن مسلم	١٠٧
هبنقة القيسى : ترجمته	١٠٨
خطبة الأحنف بن قيس	١٠٩
خطبة جامع المحاربى	١٠٩
الحجاج بن يوسف : ترجمته	١٠٩
خطبة الحجاج بن يوسف	١١١
خطبة كلثوم بن عمرو (وفى الأصل عمرو بن كلثوم وهو خطأ) .	١١١
خطبة يزيد بن الوليد بن عبد الملك	١١١
خطبة يوسف بن عمر : وترجمته	١١٢
كلام زعماء الوفود عند عمر	١١٣
خطبة الحجاج بن يوسف	١١٤
فضيلة الصبر على المصيبة	١١٥
خطبة زياد بن أبى سفيان	١١٦
باب من اللغز في الجواب	١١٦
ابن شبرمة : ترجمته	١١٦
الهيثم بن عدى : ترجمته	١١٦
عبد المسيح بن بقيلة : ترجمته	١١٧
أيوب السختيانى : ترجمته	١١٨
كتاب عمر إلى معاوية	١١٩
أبو يوسف القاضى : ترجمته	١١٩
أبو عثمان المازنى : ترجمته	١٢٠

obeikandl.com

	صفحة
باب في صفة الرائد للغيث . الخ	١٢١
خطبة عبد الرحمن بن الأشعث	١٢٢
ابن المقفع : ترجمته	١٢٨
مسلمة بن عبد الملك : ترجمته	١٣١
خطبة للحجاج	١٣٤
باب أن يقول كل انسان على قدر طبعه	١٣٥
ما يجب على الآباء للأبناء	١٣٨
وصية المهلب لبنيه : وترجمته	١٤٣
مالك بن دينار : ترجمته	١٤٥
ابرهيم النخعي : ترجمته	١٤٧
كلمات لعلي بن أبي طالب في الدنيا	١٤٨
ميمون بن مهران : ترجمته	١٤٩
خالد بن عبد الله القسري : ترجمته	١٥٢
باب اللحن	١٥٥
ابن مناذر : ترجمته	١٥٧
عيسى بن عمر الثقفي : ترجمته	١٦٠
باب من لحن البلغاء	١٦١
هشيم بن بشير : ترجمته	١٦٢
باب النوكى والمجانين	١٦٤
باب في العمى	١٦٩
عتاب بن ورقاء الرياحي : ترجمته	١٧٠
وكيع بن أبي سود : ترجمته	١٧٠
عبيد الله بن زياد بن ظبيان : ترجمته	١٧٤
ابو سلمة العوفي : ترجمته	١٧٧
ابو الزناد : ترجمته	١٧٧
طرفة بن العبد : ترجمته	١٧٧
ابو فديك الخارجي : ترجمته	١٨٢
محمد بن عبد الملك الزيات : ترجمته	١٨٣
الافشين بن كاوس : ترجمته	١٨٣
واجبات الملوك والأمراء	١٨٤
رجع إلى النوكى	١٨٥
عدى بن الرقاع الشاعر : ترجمته	١٩٠
أسد بن كرز القسري : ترجمته	١٩٧
باب من الكلام المحذوف	١٩٨
عبيد الله بن قيس الرقيات : ترجمته :	١٩٩
فضالة بن شريك الأسدي : ترجمته	١٩٩
أبو عبيدة عامر بن الجراح : ترجمته	١٩٩
ابرهيم بن عبد الله بن حسن العلوي : ترجمته	٢٠١
كلام لعمر بن الخطاب	٢٠٤
كتاب عمر إلى ابي موسى الأشعري	٢٠٨
كلام لعائشة في قتل عثمان	٢٠٩
بين زياد والحكم بن عمرو	٢١٠
كلام بعض الأعراب	٢١٠
كلام عمرو بن العاص لابن عباس	٢١١
وصف الابل	٢١١
كتاب الحسن بن علي إلى زياد ورد زياد عليه	٢١٢
كتاب معاوية إلى زياد	٢١٢
خطبة مصعب بن الزبير	٢١٢
عمرو بن العاص وابن عباس	٢١٣
كلام عمرو بن عتبه	٢١٣
خصمان عند زياد	٢١٤
تأبين عائشة لأبي بكر الصديق	٢١٤
تأبين الأحنف بن قيس	٢١٤

obeikandl.com

	صفحة
وصف عمرو بن العاص لمعاوية	٢١٤
كلام لعمر بن الخطاب	٢١٥
بين معاوية وعائشة	٢١٥
وصية عالم لابنه	٢١٥
فضل الشورى	٢١٥
الحجاج واختراعاته	٢١٥
كلام لبعض الاعراب	٢١٥
النضر بن شميل : ترجمته	٢١٦
ابن الاعرابى : ترجمته	٢١٦
احمد بن المعذل : ترجمته	٢١٧
خطبة للحجاج	٢١٨
كتاب الحجاج الى قطرى بن الفجاءة	٢١٩
جواب قطرى بن الفجاءة للحجاج	٢٢٠
بين معاوية وعدى بن حاتم	٢٢٠
هجاء وائلة السدوسى لعبد الملك بن المهلب	٢٢١
رثاء بشار لعمر بن حفص العتكى	٢٢٢
الحجاج وامرأة خارجية	٢٢٣
عمر والزبرقان والحطيئة	٢٢٤
من كلام العرب	٢٢٤

	صفحة
عمر والشعر	٢٢٥
لص ينطق بالحكمة	٢٢٥
عبد الملك وتعقله	٢٢٥
الكرخى المتفقة	٢٢٦
عقيل بن أبى طالب	٢٢٨
تشابيه من الشعر	٢٢٩
المنصور والشاب الهاشمى	٢٢٩
آداب الملوك	٢٢٩
شىء من نوادر الاعراب	٢٣١
كلام فى الشيب	٢٣٢
كلمات لاشعب	٢٣٢
كلام بعض المتكلمين من الحطباء	٢٣٣
نوادر لبعض الأعراب	٢٣٥
واعظ بين يدى المهدى	٢٣٦
تعزية معاوية عن سنه	٢٣٦
تأبين عمر بن عبد العزيز لولده	٢٣٧
حديث عمرو بن معاوية	٢٣٧
بعض أحاديث النوكى	٢٣٨
باب من بله العباد	٢٤٠

تنبيه

وقعت بعض أغلاط أثناء الطبع ولما كانت لا تخفى على أقل الناس إدراكا فقد أغفلنا بيانها .

obeikandl.com